المعجم المفصّل بأسماء الملابس عند العرب

للمستشرق الهولندي - رينهارت دوزي

ترجمة الدكتور أكرم فاضل مدير الفنون والثقافة الشعبية
وزارة الاعلام / بغداد /

البلغة وجمعها البلاغي

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس
وارى ، كما يرى Dombay فى كتابه (Gramm. ling. Mauro-Arabica, pag. 82
ان هذه الكلمة تعني حذاء فى المغرب (1) .

البلوطة والجمع بلاليط ، والبملوطة والجمع بملاليط

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .
ويترجم بيدرو دي الكالا فى كتابه (مفردات اسبانية وعربية) saya de muger (تنورة نسائية) بكلمة بلوط وجمعها بلاليط ، ويترجمها كذلك بـ : ملوطة . ولكن يخيل الى ان بلوطة ليست سوى تحريف للوطة (راجع هذه الكلمة) ، ذلك لان العرب طالما ابدلوا حرف الميم بحرف الباء فيقولون مثلا (منفسج) بدل بنفسج (راجع الكالا فى كلمة فيولتا violeta والصيغة نفسها نصادفها فى كتاب الف ليلة وليلة) الخ . ويترجم الكالا كذلك sayo de varon (رداء رجالي فضفاض) بكلمة بلوط والجمع بلاليط .

البنـد والجمع البنـود

تعني هذه الكلمة حزاما . (راجع مسالك الابصار ، فى كتاب كاترمير ، ملاحظات ومقتبسات ، ح 8 ، ص 295) حيث نقرا : « يشدون المناطق فى البنود » . وينبغي اضافة هذا المعنى لكلمة بند الى القاموس .

البنـش او البنيـش

لا وجود لهذه الكلمة فى القواميس العربية ولا التركية ولا الفارسية . ومع ذلك فهي على وجه التأكيد ليست من اصل عربي ، ولما كنت لم اصادفها مطلقا لدى المؤلفين العرب فانني ارى ان الملبس الذى تشير اليه لم يرتد الا فى العصور الحديثة .

ونحن نقرا فى كتاب بوكوك ، وصف الشرق ، (ج 1 ، ص 1) : « وفوق هذا الثوب ، لعله الخفتان) يلبس القوم ثوبا آخر ردناه ضيقتان شبيها بثوب يوناني يدعى
« Gelijk een Grieksche tabbaand »
وهو الثوب الاعتيادي » . ويضيف الرحالة ان الناس

---

(1) قال دوزي فى كتابه « المستدرك على المعاجم العربية » ما يلي :
« البلغة هي النعل المتخذة من الحلفا، وهي التى يسميها اهل الاندلس ومن صاقبهم من اهل العدوة بالبلغة . وقد ورد ذكرها فى مطلع قصيدة لابن عبد الملك يمدح بها المأمون ابا العلاء بن منصور من بني عبد المؤمن :

لتبليغها المضطر تدعى ببلغة وان قست بالتشبيه شبهتها نعلا

وكلمة بلغة ما تزال مستعملة فى المغرب وفى مصر .

في سورية يرتدون البنيش Benisj الحريري . ولكن هذا الثوب لا وجود له في مصر . ويكتبه نيبور ، في كتابه (رحلة الى الجزيرة العربية . ج 1 ، ص 152) على هذه الصورة Benisch . ويوسعنا ان نرى هيئة تفصيل هذا الكساء في وصف الجزيرة العربية في اللوحة السادسة عشرة من كتابه (وصف الجزيرة العربية) . ويصف الكونت دي شابرول ، في كتابه (وصف مصر . ج 8 . ص 108) الثوب الذي نحن بصدد التحدث عنه على هذه الصورة . فيقول : « البنيش ثوب واسع فضفاض . ردناه كبيرتان للغاية . بحيث انها تفوق كثيرا في طولها طول الذراع وطول اليد . وهاتان الردنان مشقوقتان من نهايتيهما » . وبعد ذلك نطالع (ص 110) : « ان البنيش Benych هو ثوب واسع من الجوخ. ونقرأ ذلك في وصف مصر (الاطلس . ج 2 شروح الصور ص 11) حول موضوع تجار مكة : « انهم يضيفون الى ثوبهم الاعتيادي بوصفهم مسلمين بنيشا طويلا عريضا من الصوف مخطط بخطوط طويلة بيضاء وسوداء » . ويصف لايت Light الزي الدرزي في كتابه (رحلات الى مصر والنوبيا والارض المقدسة وجبل لبنان وقبرص . ص 220) فيذكر وجود ازار غليظ من الصوف يدعى بنيشا Beneesh وهو مخطط بخطوط سوداء وبيضاء » . ونقرأ لدى فون ريشتر . رحلة الى الشرق الاوسط (ص 142): « فجلب لي القواص بنايش اي ازرا تلف الجسم كله . فاشتريت منها بنيشا واحدا . لان القوم اخبروني انجبتي كانت غاية في الدمامة والسماجة بحيث لا يصح عرضها في مجتمع انيق اناقة دمشق. وهكذا فقد مضيت بهذا الزي الرائع المصنوع من الجوخ الازرق والمزركش بالذهب الخ » . وفي كتاب مؤلفه بركهارت وعنوانه (رحلات في الجزيرة العربية . ج 1 ص 338) نقرأ : « يا له من بنيش لونه لون القرنفل مبطن بالاطلس » . وجاء في رحلة بكنكهام الى بلاد ما بين النهرين . ج 1 . ص 443) : « ان اثقل ثوب معروف لدى سكان ماردين هو الجبة او البنيش لدى سكان انقرة وضواحيها » (راجع كذلك الجزء الاول ، الصفحة السادسة) من كتاب فريزر المعنون (رحلات الى كردستان وبلاد ما بين النهرين) فهو يتحدث عن البنيش او الرداء المصنوع من الجوخ الناعم المطرز في الاغلب الاعم -- حين يتطرق الى اتراك بغداد ، كما يتحدث عنه روبل Rûppel في كتابه (رحلة الى الحبشة ، ج 1 ، ص 24) ، واليكم ما يقوله لين في كتابه (المصريون المحدثون ، ج 1 ص 41) : « من هؤلاء القوم من يلبسون ايضا البنش او البنيش ، وهو ثوب من الجوخ . له ردنان طويلتان ، شبيهتان بردني القفطان ولكنهما اوسع ، واذا توخينا الحقيقة قلنا ثوب المراسيم والاحتفالات ، ويجب ارتداؤه فوق الثوب الجوخي الآخر واعني الجبة » ولكن هناك الكثيرون الذين يرتدونه عوض الجبة » . وبمقدورنا ان نرى شكل الكساء في كتاب لين (ج 1، ص 40 ، الصورة اليسرى) .

والبنش ، حسب راي النقيب ليون ، في كتابه (اسفار في الشمال الافريقي ، ص 6) الذي يكتبه Beneish هو ثوب يرتديه رجال طرابلس الغرب . ويضيف هذا الرحالة ان البنيش يشبه القفطان من حيث الهيئة ولكنه يختلف عنه من جهة التطريز . ويرد ذكر « البنيش الحريري اللازوردي» في كتابي دنهام وكلابرتون (اسفار في شمال افريقيا . ج 1 ، ص 27) .

ونحن نرى ان البنيش ما زال يرتدي في ايامنا هذه في طرابلس الغرب ، وفي مدن مصر وسورية، وفي الجزيرة ، وفي العراق العربي ، وفي شبه الجزيرة العربية .

البناقة وجمعها البنائق

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ويقول دييكو دي هيدو في كتابه (خطط مدينة الجزائر) في معرض حديثه عن نساء مدينة الجزائر: « ان جميع النساء ــ مغربيات كن او تركيات او مرتدات ــ يحملن على رؤوسهن اول ما يحملن نوعا من التيجان Una como escofia يخفين فيها شعرهن ــ ويسمينها باللغة المغربية Lartia, ou, beniga . وهي معمولة من التيل ومطرزة من الجهة الامامية بالحرير الملون الاخضر والاصفر ــ الخ . وفي اعقاب هذا الكلام يكتب : Albanega ويترجم بيدرو دي الكالا في كتابه (مفردات اسبانية عربية) هذه الكلمات : « Cofia de muger, et, alvanega cofia : بكلمة بناقة وجمعها بنائق .

وقد راينا ان دييكو دي هيدو يكتب كلمة بناقة Albanega : ولكنه يكتبها ايضا : El beniga :

والحقيقة ان المؤلفين الاسبان يجعلون في غالب الاحيان ا ــ التي يلفظها عرب المغرب ا او) وهيدو نفسه يكتب الكلمة العربية شلشية هكذا: Xixia وفي كتاب مفردات بيدرو دي الكالا نجد ان (ءا) العربية تنقلب دائما الى ا (ا)) . ومع ذلك ليس هناك من شك في وجوب كتابة بناقة وليس بنيقة ــ لان الكلمة العربية البنقة قد تسللت الى اللغة الاسبانية في صيغة Albanéga او Alvanéga وفي اللغة الاسبانية (é) تجاوب (ا) العربية . ويجزم كوباروفياس في كتابه ا الكنز ــ مدريد ــ 1611 ا بان الكلمة الاسبانية Albanega او Alvanega وهي في اللاتينية Reticulum عبارة عن شبكة على هيئة دائرة تضعها النساء عادة على رؤوسهن ــ فيغطين بهذه الوسيلة شعورهن ــ وهي كلمة عربية مشتقة من فعل ا بنق ا Venega ومعنى ذلك جمع ــ سوى (Resserrer - Rassembler)

وربما ينبغي علينا التسليم بهذا الراي الاشتقاقي للغوي الاسباني ــ لان المعاجم العربية تنص على أن جملة بنق كلامه تعني جمعه وسواه . ولعل بوسعنا ان نرى مع ذلك ان كلمة عربية اخرى ــ وهي كلمة بنيقة التي تشير الى قطعة القماش التي توضع في ردن قميص تحت موقع الابط والمساة نفاجة او نقرة الابط ــ قد ولدت فعلا هو فعل بنق . والواقع ان فعل بنق يعني فيما يعنيه : وضع نقرة الابط في قميص . وجملة بنق كلامه لا تعني اذن شيئا آخر سوى وضع نقرات الابط لخطابه اي جمع الافكار والجمل في نظام متصل متسق . ومن المحتمل كذلك ان تكون كلمة بناقة تحريفا لكلمة بنيقة ــ وان يكون هذا النوع من التيجان في العصور الغابرة منحصرا في قطعة من التيل توضع فوق رؤوس النساء . وقد استعارت العائلة الاسبانية Vanega اسمها من الكلمة العربية بناقة . وبوسعكم ان تروا في كتاب كوباروفياس المناسبة التي منح بها فارس من فرسان هذه الاسرة هذا الاسم .

البـــوش

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس بالمعنى المراد.

ولكننا نقرا في كتاب بركهارت ا ملاحظات حول البدو والوهابيين ــ ص 27 ا : « ان عباء بغداد هي افخر العباء اما العباء التي تصنع في حماه ذات الاردان القصيرة العريضة فتسمى Bouch ويقول نفس الرحالة في كتاب آخر ا رحلات في سورية ــ ص 147 ا في معرض حديثه عن حماه : « والعباء ــ او الاردية الصوفية التي تعمل هنا هي غاية في الجودة وحسن السمعة » .

واعتقد ان هذه الكلمة مشتقة من اسم مدينة مصرية تدعى بوش (1) كما يمكن رؤية ذلك في قاموس فريتاك وهذه المدينة كانت مشهورة بالثياب التي تصنع فيها .

ولعل مدينة بوش ومصانعها قد عفى عليها النسيان في الازمنة الحديثة . ولكن كلمة بوش ما تنفك حية مشيرة الى نوع من القماش ا الصوفي ــ كما اظن ا .

وهكذا فقد طبقت كلمة بوش خطأ على الاقمشة المعمولة في حماه ــ ثم سميت بها العباء التي تصنع في هذه البلدة .

التـــبـــان

هذه الكلمة ــ كما سبق ان لاحظنا ــ ليست سوى تحريف للكلمة الفارسية تنبان التي تعني سراويل من الجلد يستعملها المصارعون (2) كما تعني سراويل

---

(1) تحدث العديد من المؤلفين عن هذا المكان ــ راجع مثلا ابا الفداء ا البلدان ــ ص 107 ا ويكتب لي في كتابه ا اسفار ابن بطوطة ــ ص 14 ا الكلمة هكذا Bauch ــ وهذا غلط ــ فاليكم ما قراته في رحلة ابن بطوطة ا مخ دي كيانكوس ــ ص 14) « مدينة بوش وضبطها بضم الباء الموحدة وآخرها شين معجم . وهذه المدينة اكثر بلاد مصر كتانا . ومنها يجلب الى سائر الديار المصرية والى افريقيا » . حقيقة ان الرحالة لا يتحدث عن الثياب الصوفية التي تصنع في هذه المدينة ــ ولكنه يقول بعد ذلك ــ في معرض حديثه عن مدينة البهنسة القريبة من بوش : « وتصنع بهذه المدينة ثياب الصوف الجيدة » . فاذا تحقق كذلك وجود مصانع للثياب الصوفية في بوش فان تخميني حول أصل كلمة بوش ــ البادي في النص ــ يكون قد تأيد .

(1) ان هذا التبان هو اللباس الوحيد للمصارعين في الشرق ــ كما نستطيع رؤية ذلك لدى نيكولو نيكولي Nicol de Nicolai في (Navigationi et Viaggi, fol. 174, 175)

من الكتان يرتديها الملاحون . وهذه الكلمة قد احتفظت بالمعنى الاخير أثناء مسراها الى اللغة العربية . واليكم ما يقوله الجوهري (ج 2 ـ مخ 85 ـ ص 343) حول هذه الكلمة : « والتبان بالضم والتشديد سروال صغير مقدار شبر يستر العورة المغلظة فقط يكون للملاحين . وفي حديث عمار انه صلى في تبان فقال : « اني ممثون » .

ويترجم بيدرو دي الكالا Pedro de Alcala في كتابه (مفردات عربية اسبانية :
(Vocabulario Español-Arabigo)
كلمة Bragas بكلمة تبان . راجع كوبارروفياس Cobarruvias في كتابه (كنز اللغة القشتالية) مدريد. 1611 Tesoro de la lengua Castellana, حول كلمة (Bragas) .

التتريـة جمعهـا تتريـات

ان هذه الكلمة التي ـ كما نرى ـ ليست في الحقيقة والواقع الاصفة منسوبة لكلمة تتر لا وجود لها في القاموس . وهي تشير الى قبء مصنوع على الطريقة التترية . راجع ملاحظة كاترمير في كتابه (تعليقات ومقتبسات عربية ـ ج 1 ـ ص 213) . ونستخلص من عبارة المقريزي التي اوردها هذا العالم الجليل ، ان التتريات كانت مؤلفة من الحرير الاحادي اللون المزركش الحواشي والمطعم بالذهب .

التحتانيـة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ولكننا نجد في مخطوطة بخط النويري نفسه (تاريخ مصر ـ مخ 1 ـ ـ ص 33) : « وخلع عليه اطلسا معدنيا ابيض وتحتانية اطلس بطرز زركش على الفرجيتين » . واعتقد ان التحتانية كانت فرجية تحتانية ـ وان الفرجية الفوقانية كانت تدعى تحتانية (راجع هذه الكلمة) .

ويقول ابن بطوطة (الرحلة ـ مخ دي كاينكوس ـ ص 259) في كلامه عن سومطرة : « واخرج من البقشة ثلاث فوط . احداها من خالص الحرير والاخرى حرير وقطن . والاخرى حرير وكتان . واخرج ثلاثة اثواب يسمونها التحتانيات من جنس الفوط »

التكـة ، وفـي لهـجـة مصـر الدكـة

ان تبابين (سراويلات) الشرقيين لا فتحة لها من الجهة الامامية مثل تبابيننا . فنجم عن هذه الحالة عدم تزودها بالازرار . ولربطها يستعمل الشرقيون التكة . ويفسر القاموس (ط كلكتا . ص 1351) هذه الكلمة بانها رباط السراويل . وحسب تقرير ليين . في كتابه الموسوم (المصريون المحدثون . ج 1 ص 39) ان الدكة او التكة هي رباط او مشد مطرز النهايتين بالحرير الملون . ولو انه محجوب بالملابس الفوقانية . وباحاطته بالجسم يستعمل لربط التبان . ونحن نقرأ في الكتاب المعنون مجمع الانهر (ط القسطنطينية . ج 2 ص 299) وفي القنية « تكره التكة المعمولة من الابريسم ـ هو الصحيح ـ لكن في الفتاوي الصغرى والذخيرة وشرح القدوري لا تكره التكة من الحرير عند الامام وعن ابي يوسف تكره » .

ونجد لدى السيوطي (حسن المحاضرة . مخ 13 . ص 334 . حوادث سنة هـ 28) : « زفت مطر الندى (قطر الندى ؟) بنت خمارويه بن احمد بن طولون من مصر الى الخليفة المعتضد . ونقل ابوها في جهازها ما لم ير مثله . كانت من جملتها الف تكة مجوهرة » .

وجاء في كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن . ج 1 . ص 333) او ط هابيخت . ج 4 . ص 394) : « لا يصح له ذلك لانه مكتوب على دكة لباسي قول صعب » . ونقرأ في مكان آخر من ط هابيخت . ج 4 ص 397) : « فمد يده وملس على جسدها . ثم مر بيده على بطنها . ونزل الى سرتها . ونزل فوجد اللباس مربوطا . فنزل بيده على سراويلها ودكتها وجذبها فانتبهت » . وبعد ذلك نقرأ (ط مكناكتن . ص 596) : « وقد رشقت اطراف قميصها من داخل دكة اللباس: وهي كانت تعمل شغلا » . ويتحتم علينا لفهم هذه العبارة ان نتذكر ان اهل الشرق يلبسون القميص فوق التبان (. ونطالع في مكان آخر (مكناكتن . ج 1 . ص 596) « فحط قمر الزمان يده في دكة لباسها فجذبها وحلها لما اشتهاها خاطره » . وهناك عبارة لمؤلف اسمه روولف في كتابه (وصف حقيقي لرحلات) يتحدث فيها عن سكان طرابلس الشرق . وفي هذه العبارة يتحدث المؤلف ايضا عن التكة . وبعد ذلك (ص 133) يتزيا هذا الرحال نفسه اثناء سفره من حلب الى

بغداد بزي سكان البلاد الاصليين ؛ فيصف هذا الزي . فيقول فيما يقوله انه اوصى لنفسه بعمل : « سروال فضفاض من الموسلين (الموصلي) المربوط تحت القميص وهو الجسد العاري برباط هو التكة». ويعرب كوكتوفيك Cotopic في كتابه : الرحلة Itinerarium ص 485) في معرض التحدث عن ازياء الشرقيين بصورة عامة بهذه الكلمات : « انهم لا يربطون سراويلهم بصديرياتهم بالحملات . كما نصنع نحن بربط سراويلنا بقماصلنا Camisoles » . (وكان المؤلف قد زار الشرق عام 1598) ولكنهم يربطونها كيفما اتفق برباط من القطن » .

وافخر التكك ؛ حسب راي النويري ؛ هي « نهاية الارب . مخ 273 . ص 96) تلك التي ترد من ارمينيا (تكك ارمينية) . ويعد المقريزي (لدى دي ساسي . طوائف عربية . ج 1 . ص 199) من بين الثروات التي تركها بعد موته احد كبراء مصر : « الف تكة حرير ارمني » . وفي ايامنا هذه يروج هذا المثل في مصر : « الفندورة المخفية التكة والطاقية » (1). وان بركهارت في كتابه (امثال عربية . رقم 101) يلاحظ هذه الملاحظات على هذا المثل فيقول : (لقد طبقه المصريون على المنافقين ؛ او على الجبناء ؛ الذين ينادون بالويل والثبور على الطرز الانيقة . ولكنهم في الوقت نفسه يستعملونها ولكن سرا . والتكة El Tikke هي حزام Sach من الحرير او من الموصلي . وهي في اغلب الاحيان مطرزة موشية ؛ ويستعملها الرجال والنساء على حد سواء لربط التبان حول مدار السرة ؛ ولكن تحجبها الثياب . والتكة هي الهدية الاولى التي تهديدها عشيقة لعشيقها . وبعد فان التكة نبع غزير للملح والنوادر والامازيح اذا استخف الطرب عقول سمار النوادي » .

ويبدو ان كلمة تكة او دكة كانت مستعملة دائما لدى العرب . وهي تشير الى مشد السراويل ؛ ويخيل الينا ان هذا الشعب لم يستعمل كلمة سواها للدلالة على هذا الجزء من اللباس (2) .

التكلاوات

ان هذه الكلمة ؛ التي هي ولا ريب كلمة جمع ؛ لا وجود لها في القاموس ؛ ونحن لسنا على ثقة حتى من صحة رسمها .

وقد وجد كاترمير (راجع كتابه : تعليقات ومقتبسات ؛ ج 8 ؛ ص 213) في « مسالك الابصار » ولدى « المقريزي » كلمة تكلاوات التي لابد انها تدل على ضرب من اللباس يرتدى في الهند وفي مصر من قبل الامراء . ويرى كاترمير ان هذه الكلمة صحيحة ؛ ولكن لعدم وجود نصوص اخرى ،

---

(1) تأخذ كلمة غندرة والصفة المشتقة منها غندور مفهومات عدة . ولما كان البحث عن هذه الكلمات في المعاجم ضربا من ضروب العبث ؛ فلا يبدو لي من فضول القول طرح الملاحظات التالية بين يدي القاريء . فكلمة غندور تعني في اسبانيا والمغرب الرجل الباسل . ويترجم بيدرو دي الكالا (مفردات اسبانية عربية) كلمة (Baragan) paliente

بكلمة غندور ؛ ويتحدث ديكو دي توريس في (قصة الشرفاء ، ص 372) عن خمسين الفا من المغاربة تجمهروا في فاس . ويدعون Gandores ومعنى ذلك البسلاء ، الذين يعتبرون انفسهم نواب الجمهورية والمدافعين عنها ؛ ولذلك منحوا هذا اللقب ؛ في حين ليسوا من ذلك في شيء . ولكن غندور كانت تعني في اسبانيا متمردا او شقيا ومصطلح غندرة يعني عصابة قطاع طرق (راجع الكالا) . ويلاحظ بركهارت بمناسبة المثل الوارد في النص قائلا : « تعني الغندرة في اللهجة المصرية الدارجة المرح والابتهاج والاريحية والبشاشة وحلاوة العشرة ودماثة الخلق . وكلمتا غندور وغندورة شائعتا الاستعمال ، لانهما بانطباقهما على افراد سواد الشعب في علاقاتهم الودية يعطيان معنى لطيفا . اما في مالطا فتعني كلمة غندور الانسان الانيق . (راجع فاسيلي ؛ قويميس مالطي ؛ مج 319) .

(2) ان جميع الذين يرتدون السراويل يتخذونها ذات تكك . وهذه السراويل تغني الجسم تماما والقمصان فوقها . وعندما يحتاجون الى التبرز يجلسون القرفصاء ؛ وينزعون ملابسهم حول اجسامهم كالنساء ؛ ويتجهون الى الشمال ، مخالفين اتجاههم الى الجنوب ؛ لدى قيامهم بالصلوات . فيعملون ما يحلو لهم

ولجهلنا اصل هذه الكلمة ؛ يستحيل علينا الدخول في تفاصيل حول هذا الموضوع .

التـــــاج

ان كلمة تـاج بما تعنيـه الكلمـة الفرنسيـة Couronne غير داخلة في نطاق موضوعنا . ولكن لفظة تاج لدى الفرس تنطبق على نوع خـاص مـن اغطية الراس للزينة . كما اننا نصادف هذه الكلمـة بهذا المعنى لدى الكتاب العرب المحدثيـن . فحسب راي ابي الفـداء (التاريـخ ـ المترجـم مـن قبـل راسموسين) وطبقا لقول ريجاردسون في كلمة تاج ـ واخذا براي هامر بركستـال ـ في كتابـه (تاريـخ الامبراطورية العثمانية) نستخلص بان حيـدر هـو الذي اتخذ التاج (طاقيـة من النسيـج الاحمـر) لنفسـه او لانصاره . ولكن ميلا مع راي اوليازبـوس في كتابه (رحلات الى موسكوفيا وبـلاد التاتـار وفارس . ص 814) ومع كامفر في كتابه (التحـف النادرة . ص 70 ـ 71) ومع مالكولـم في كتابـه (تاريخ فارس . ج 1 . ص 503) نرى ان ابن حيدر شاه اسماعيل هو الذي تبنى التاج . وقد ورد ذكر البيريه Berretton-Béret في رحلة بيترو دلافاله في كتابه (الرحلة . ج ؛ ص 160) ؛ وهـي البريـه الحمراء التي اسمها تاج وهي تقابل الكلمة الفرنسية Couronne ويلبسها جنود المليشيا La milice ولكنهم لا يضعونها على رؤوسهم الا فـي الحـالات النادرة ـ وفي الاحتفالات الرسمية فقط . ويقول اولياربوس (813) واصفا التيجان . « انها طاقيات حمراء منفوخة من اثنتي عشرة طية ـ وتكـد تشبه كل الشبه القناني التي يستعملها سكـان اقليمـي لاندوك وبروفنس . ولها بطن مسطح وعنق غاية في الطول والضيق » . ويتحدث بعد ذلك (ص 814) عن الطاقيات الحمراء ذوات الثنيات الاثنتي عشـرة تخليدا لذكرى ائمتهم او اوليائهم الاثني عشر. واليكم ما نقرا في كتاب كامفـر (ص 44) « ان التـاج Taadsj طاقية عالية ـ لها هيئة خاصة ـ والتاج يستعمل في بلاط فارس ـ وبه يتوج الملك نفسـه ـ كما سبق ان قلنـا ـ اما اعيـان المملكـة فانهـم يتزينون به في اعظم الاعياد الرسميـة ـ بحضـور الملك ـ وهو منسوج من الصوف المكفت بالذهب ـ وتحف به صفوف من المجوهرات والاحجار الكريمة ـ ولهذه العلة سماه القوم Tadsji tomàr (تـاج تومـار) وهذا المعنى لتومار او طومـور يجـب ان يضاف الى المعاجم الفارسية ـ ومعنى ذلك (عقال ملفـوف) Pileus circumligatus ـ لاجـل تمييزه عن تاج آخر اشد بساطة منه ـ وهو مستعمل لدى النخبة الممتازة من ميليشيا القبيلة التركية ـ التي سنتحدث عنها قريبا . ولدى النـوبي Sopi او اليسولي Jesauli وهذا يعني حجـاب البـلاط الملكـي Atrienses او كبار حراس القصر الداخلي للملك . وهذا التاج احمر لا زينـة له . ودونكـم شكله : « ضيق من الجبهة ولكنه ياخذ في الارتفاع ويمعن في الاتساع . هو من الاعلى مسطح ولكنـه مؤلف من اثنتي عشرة طية او ثنية ـ طبقـا لعـدد الائمة ـ ويعلـو فـي وسـط قمتـه شبـه سـاق Ex cujus medio stylus erigitur ضيق صلب له طول شبر .

ويتحدث كامفر (ص 241) في عبارة اخرى من كتابه الجميل عن عرف خاص يستعمل فيه التاج. واليكم كلمة الرحالة « بحكم الانتظار حظيت مرتين برؤية منح التاج الذي يشبه التاج الاسقفي (البرطل) لمن يدعون لدينا

La mitre aulique des Sophis - (Le Tadsj)
Mitram Sophorum aulicam

اما مواطنونا فتسمى لديهم هـذه العمليـة : « منح وسام الروسية الفرسي . وقد ادخل شابان في القاعة الثانية ـ وكان الاول يطمح في احراز رتبة حجابة القصر الملكي في مدينة كشفر . Keskèr اما الآخر فيطمح في وظيفة مماثلة . وهذان المنصبان يتطابان اداريا حائزا على الانتسـاب الى تلك الطبقة. ولما عرض اعتماد الدولة رغبتهما وقف كل منهمـا مسمرا في مكانه الى ان فرغ الملك من تأملهمـا مليـا والرضاء عن سمت كل منهما فانتهى الى استجابـة طلبيهما . وبعد ذلك خرج من القصر صحبة يساول باشا ـ رئيس الحراس في القصر ـ فبدل عمامتـه بتاج من تيجان الـ Les Sophis وكان هذا الرئيس يأتي في الدرجة الثانية بعد الماريشال . ولدى رجوعه امر المرشحين ان ينبطحا على بطنيهما وان يمد كل منهما ذراعيه حتى فخذيه ، وانتظر بعد ذلك طويـلا ـ بهيئة محتشمة ـ وهو رافع عصاه طوال الـوقت ـ اشارة الملك ـ ولكن طال انتظاره كثيرا ـ لان الملك كان مسترسلا في حديث مع عظماء المملكة . ولما حصل اخيرا على هذه الاشارة ضرب كلا منهما ضربا مبرحا ـ ثلاث عصي ـ كل ذلك وهو يتمتم ببعض العبارات . وعلى هذه الشاكلة قبلهمـا في سلـك

الـ Sophis . ومنذ تلك اللحظة سمح لهما بتزيين رأسيهما برمز ذلك السلك واذن لهما بأن يشرئب عنق كل منهما ـ باسم صاحب الجلالة ـ الى كافة انواع المناصب حسب اقتدار كل منهما . وبعدئذ انتصب كل منهما على ركبتيه ـ وقد اعتمر رأسه بالزينة ـ وقبلا عصا من ضربهما بالعصا ـ اظهارا منها للاحترام والاعتراف بالجميل . ثم قلد الشخص نفسه كلا منهما خنجرا ـ وانصرفا بعد ان اشبعا رغبتيهما . ومضى على هذه العملية بعض الوقت فنودي على جنديين من الجنود ـ وقد تشفع لهما الماريشال ـ ليحلا محل اثنين من الـ Sophis او حرس قصر الملك اللذين انتقلا الى رحمة الله . وجرت المراسيم على نفس الشاكلة فى البهو السفلي. وبعد انتهاء هذه العملية استعاد كل من الرجلين سلاحه الذى اودعه على امل التبديل السريع لخوذته بالطاقية النبيلة » . ويخيل الي ان فى العبارة التالية من تاريخ مصر لمؤلفه ابن اياس اشارة الى عادة مماثلة. فاننا نقرا فى هذا الكتاب امخ 367. ص 149، حوادث عام 803) : « نزل من القلعة هو وبقية النواب واخذوا فى رقابهم مناديل وتوجهوا الى تمرلنك يطلبون منه الامان . فلما تمثلوا بين يديه اخلع عليهم اقبية مخمل احمر والبسهم تيجانا مذهبة » .

راجع كذلك ابا الفداء فى تاريخه (ج 2 ، ص 179) . واذا آمنا بما يقوله مؤرخ ارمني هو Tschamtschean فى كتاب ـ نوادر ارمينية ـ لدي بيترمان ، ص 2) فان هذه العادة ترقى الى عهد سحيق ـ وكانت تمارس فى عهد آرام ونينوس . فنحن نقرا فى هذا الكتاب : « فمنحه تاجا مرصعا بالجواهر والاحجار يزين به راسه ـ وكانت هذه المنحة فى ذلك العصر دلالة على اعلى درجات المجد والفخار (1) .

التاسوم التاسومة التسومة

ان هذه الكلمة هي مرادف لكلمة نعل Sandale فى عرف فخر الدين (لدى دي ساسي ـ طرائف عربية ـ ج 1 ـ ص 42 من النص العربي) . ومع ذلك فان Germano de Silesia (pag. 740, 776) الذى سبق للمستشرق دي ساسي ان ذكره ـ قد ترجم الكلمة بـ : Pantofola, pianella

ولعل هذه الكلمة قد تحور معناها منذ فترة من الزمن . وان التاسومات التى يتحدث عنها فخر الدين كانت معمولة من الليف ـ ليف النخيل . كما يقول العلامة دي ساسي .

ولم تكن هذه الكلمة مجهولة فى اوروبا . ولكن يخيل الينا انهم فى شبه الجزيرة قد استعملوا كلمة تواسم ـ ذلك لأن بيدرو دي الكالا فى كتابه (مفردات اسبانية عربية) يترجم الكلمة الاسبانية Calçon بكلمة توازن (كذا) وجمعها توازنات .

الثبات وجمعه الثبابيت

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

واذ انها مشتقة من الفعل العربي ثبت ـ فقد كانت تعني فى الاندلس ـ ما يعطي القوة والاعتدال للقدم . ومعنى ذلك الخف او النعال (راجع بيدرو دي الكالا ، فى كتابه (مفردات اسبانية عربية) حول هذه الكلمات :

«Calçado con çapatos, calçado comun, çapato».

ومن هذه الكلمة العربية اشتقت الكلمة الاسبانية (Zapato - çapato) تباتو . كما لاحظ Guadix ذلك بنفاذ بصيرة تبعث على الاعجاب الاب وديبكو دي اوريا . لدى (كوبارروفياس . كنز اللغة القشتالية . مدريد . 1611 . ص 264 . مع 1) . وان الكلمة الفرنسية Savate سافات مشتقة من الكلمة الاسبانية Zapato . وقد كتب دونياي فى كتابه (النحو المغربي العربي . ص 82) هذه الكلمة سباط او سباط . مع حرف السين وحرف الطاء . ولكنني لا اعتقد بصحة هذا المنحى .

الثربة جمعها الثراب ، الثردة جمعها الثراد

لا وجود لهذه الكلمات فى القاموس .

ويترجم بيدرو دي الكالا . فى كتابه . مفردات اسبانية عربية : Botin de la muger بوتان دي لا موخير بثربة وثراب . كما يترجم كذلك بوتان اسي Botin assi بثردة وثراد . اذن فهذه الكلمة تشير الى خف امراة .

---

(1) ان كلمة تاج تعني كذلك نوعا من زينة الراس تحمله النساء العربيات والذي نستطيع ان نراجع بشانه مراجعة مثمرة ليس فى ترجمته (الف ليلة وليلة . ج 1 ، ص 424) . وبهذا المعنى نصادف هذه الكلمة فى (مقتطفات من قصة عنترة ..)

الثوب فى اللهجة المصرية التوب

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس بالمعنى المراد .

ونحن نعلم ان كلمة ثوب تعني منبوسا بصورة عامة ، ولكن له فى هذا اليوم معنى خاصا فى مصر. فكلمة ثوب ، حسب تقرير ليين فى كتابه المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص61) تشير الى نفس الملبوس الذى تشير اليه كلمة سبلة، ومعنى ذلك رداء واسع فضفاض عرض ردنيه يساوي على وجه التقريب طول الجلباب نفسه ، وهو مصنوع من الحرير ولونه لون القرنفل فى معظم الاحوال او لونه وردي او بنفسجي وترتدي النساء هذا الرداء حين يردن مغادرة منازلهن ليؤلفن التزييرة . ومعنى ذلك الحلة التى يضعنها فوق اردیتهن الاخرى . وبوسعنا رؤية هيئة هذه الكسوة فى كتاب لين (الصفحة 64 ، الصورة اليسرى) . والنساء غالبا ما يلففن رؤوسهن باردان هذا الكساء ، اما لتسوية هندامهن واما لاحلال هذه الكسوة محل الطرحة . (راجع الصورة اليمنى فى كتاب لين ، ص 64 و 65 و 66) .

ان كلمة توب او ثوب لم تكتسب هذه او تلك هذا المعنى الا حديثا . فان الكونت دي شابرول لا يسمى الكساء الواسع الفضفاض للنساء الا بكلمة سبلة : ولم اقع ابدا على كلمة ثوب بهذا المعنى لدى المؤلفين العرب . حقيقة اني زعمت مواجهة كلمة ثوب فى بضع عبارات من كتاب الف ليلة وليلة ولكن تمحيصا اعمق جعلني اعترف بأن رايي لم يكن قائما على اساس .

ان للطوارق قميصا من نسيج القطن غاية فى السعة والفضفضة ، وهو فى الاغلب الاعم ازرق او ابيض ، وله ردنان هائلتان . وهم يسمون هذا القميص Tobe او Tob . راجع هونمان فى كتابه (مذكرات حول رحلة من القاهرة الى مرزوق ، ص 69) . وراجع كذلك النقيب ليون فى كتابه (اسفار فى الشمال الافريقي ، ص 110) . وانظر اخيرا دنهام وكلابرتون فى كتابيهما (اسفار ، ج 1 ، ص 251) . ان كلمة Tob او كلمة Tobe ليست على وجه الاحتمال الا الكلمة العربية (الثوب) او (التوب) .

الجبة وفى اللهجة المصرية الجبة (بالكسر)

اننا واجدون فى صحاح البخاري (ج 2 ، مخ 356 ، ورقة 167) بابين عنوان الاول منهما : (باب من لبس جبة ضيقة الكمين فى السفر) : « انطلق النبي صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم اقبل فتلقيته بماء فتوضا وغسل فى جبة شامية فمضمض واستنشق وغسل وجهه فذهب يخرج يديه من كميه فكانا ضيقين ، فأخرج يديه من تحت الجبة فغسلهما ومسح يديه براسه وعلى خفيه » . كما نجد فى باب لبس جبة الصوف فى الغزو .. قال : « كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فى سفر فقال: امعك ماء ؟ قلت « نعم » فنزل عن راحلته فمشى حتى توارى عني فى سواد الليل . ثم جاء فافرغت عليه الاداوة فغسل وجهه ويديه وعليه جبة من صوف فلم يستطع ان يخرج ذراعيه منها حتى اخرجهما من اسفل الجبة فغسل ذراعيه ثم مسح براسه . ثم اهويت عليه لانزع خفيه فقال : « دعهما فاني ادخلتهما طاهرتين » فمسح عليهما – والحديث الاخير يرويه عروة بن المغيرة .

وقد ورد فى مجمع الانهر (ط القسطنطينية ، ج 2 ، ص 258) : « روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لبس جبة مكفوفة بالحرير ».

ان هذه العبارات ترقى الى العهود الاسلامية الاولى . ولكن قبل ان نضرب فى شعاب هذا البحث لا يبدو من العقم ملاحظة ان الجبة من حيث هيئتها تشابه قليلا او كثيرا اردیتنا الليلية Nos robes de chambre ولكن طراز العصر السائد قد غير من طولها ومن نوع نسيجها – الخ . ولنبدأ بسورية . ولما كان كوتوفيك قد قال فى كتابه (الرحلة ، ص 485) فى معرض حديثه عن ثياب الشرقيين بصورة عامة : « ان الثوب القطني يلبسه بعضهم مسبلا حتى الاقدام – ويرتديه بعضهم مسبلا حتى منتصف الساقين – فى حين انه من

الجهة الخلفية اقصر قليلا من جهته الامامية ـ فاننا لا يخالجنا اي ريب فى ان العبارة التالية للمؤلف روولف تمس اللباس الذى نتحدث عنه الآن . فان هذا الرحالة يقرر ـ فى معرض حديثه عن سكان طرابلس الشرق فى كتابه (وصف حقيقي للرحلات ، ص 49) : « وتحت هذا القباء يلبسون ايضا ثوبا آخر ـ مصنوعا من الجوخ ـ هو فى العادة أزرق اللون ـ لاسيما لدى الجنود ـ وهو اقصر من الجهة الامامية منه من الجهة الخلفية ـ وله ردنان واسعتان ـ على انه محروم من الياقة » . ويقول كوتوفيك فى (كتابه القيم المذكور) انه (Collariis caret) وارى ان عبارة داندیني التالية فى كتابه (رحلة من جبل لبنان ، ص 40) وهو يتكلم ايضا عن سكان طرابلس الشرق تخص الجبة كذلك . قال : « أن لهم سترتين . السترة التحتانية وهي الجلباب مع حزام » . (اما السترة الفوقانية فهي العباءة) . ويذكر ريشتر فى كتابه (رحلة الى الشرق الاوسط ، ص 123) من بين الالبسة التى اقتناها ـ للمضي من بيروت الى قلب سورية « جبة حمراء Dshûbbeh rouge » وهي عبارة عن (ردنكوت Redingote بلا بطانة) .

اما فى مصر فقد كانت الجبة مستعملة كذلك ـ وما برح المصريون يرتدون هذا اللباس حتى فى ايامنا هذه . فنحن نقرأ لدى النويري (تاريخ مصر، مخ 2 ، ص 32) : « وكانت الخلعة جبة عتابي (1) حمراء وفوقها فرجية » . كما نقرأ لدى ابن اياس (تاريخ مصر ، مخ 367 ، ص 281) : « وكان السلطان لابسا جبة صوف بيضاء . »

وهذه الكلمات نفسها موجودة بعد ذلك (ص 288) . وفى كتاب الف ليلة وليلة (ط هابيخت، ج 3 ، ص 139) نرى وصف جبة صياد فقير على هذه الصورة : « جبة فيها مائة رقعة من الصوف الخشن وجيش من القمل المذنب » . لا ريب ان الموضوع هو موضوع الجبة فى العبارة التالية للرحالة هيلفريش فى كتابه المعنون (تقرير واقعي مختصر عن رحلات ، ص 393) فان هذا الجوابة يعبر عن الموضوع بهذه الكلمات : « يرتدي هؤلاء القوم بدلا من سترة القرون الوسطى (Eines Wammes) سترة طويلة (Leibrock) اقصر قليلا من الجهة الامامية منها من الجهة الخلفية ـ وهي مصنوعة من الجوخ الاحمر او الازرق او السنجابي » . ـ

ويصف الكونت دي شابرّول فى كتابه (وصف، مصر، ج 18، ص 103) على هذا المنوال الجبة فيقول، « الجبة هي رداء آخر مفتوح كذلك ـ ويوضع فوق الرداء الاول وهو القفطان . ردنا الجبة قصيران بالنسبة لردني القفطان . وتبطن الجبة فى الشتاء ببطانة من الفرو » . ونقرأ فى كتاب لين (المصريون المحدثون ، ج 1 ص 41) كما يقرأ فى ترجمته لالف ليلة وليلة (ج 1 ، ص 485) : « ان الرداء الاعتيادي الفوقاني هو قباء طويل من الجوخ المنون كيفما اتفق . ويسمي الاتراك هذا القباء الجبة Jubbeh ويسميه المصريون Gibbeh . ولا تصل ردنا هذا القباء حتى المعصم » . ويسمى لين الجبة ثوبا فوقانيا بالنسبة للقفطان الذى يلبس تحت الجبة Djibbah . ومع ذلك فالقوم يرتدون فوق الجبة اما بنيشا واما فرجية واما عباءة . وبوسعنا رؤية هيئة الجبة فى كتاب (المصريون المحدثون، ج 1، ص 40 ، الفرد الاوسط) . وعلي قبل ان اغادر مصر ان الاحظ كذلك ان جبة رهبان القديس انطوان ـ كانت تختلف اختلافا جوهريا عن الجبة المصرية من حيث انها لم تكن مفتوحة من الجهة الامامية . ويعد (فانسليب) بين ثياب هؤلاء الرهبان جبة او قباء من الصوف الادكن . وهذه الكسوة مخيطة خياطة غليظة عدا كونها غير مفتوحة من الجهة الامامية » . راجع (قصة جديدة لرحلة الى مصر ـ ص 307) . وكانت الجبة فى القديم مستعملة فى مملكة مراكش ـ ذلك لان مؤلف تاريخ المرابطين والموحدين فى كتابه الموسوم بالحلل الموشية (مخ 24 ، ص 9) يعد بين الهدايا الممنوحة من قبل الامير يوسف بن تاشفين لعمه ابي بكر بن عمر خمسين جبة اشكرلاط ملف

(1) راجع حول كلمة عتابي ـ كاترمير (تاريخ السلاطين المماليك ، ج 1 ، ق 1 ، ص 241 ، و ج 2 ، ق 1 ، ص 70) لترى ان هذا القماش قد استعار اسمه من اسم شارع فى بغداد ـ كما لاحظ ذلك دي كايانكوس فى كتابه (تاريخ السلالات المحمدية فى الاندلس ، ج 1 ، ص 358) .

رفيع (1) ولكنني اكاد اجزم ان هذا اللباس لم يكن يرتديه عرب هذا القطر – منذ القرن الخامس عشر حتى ايامنا هذه . وما زالت الجبة مستعملة لدى نساء مدينة الجزائر ومدينة تونس . (راجع بانتته – في كتابه رحلة . ج 2 ، ص 10 من الترجمة الهولندية) .

وكانت الجبة مستعملة في الاندلس – واليكم ما نقرا لدى المقري ، نفح الطيب – مخ غوتا – ص 373) : « ورأى ان يلبسوا في الفصل الذي بين الحر والبرد المسمى عندهم الربيع من مصبغهم جباب الخز والملحم والمحرر » . هذا رأي الموسيقار الشهير زرياب – الذي قدم الى الاندلس في ايام حكم عبد الرحمن الثاني (1) .

ويقول بيير مارتير في قصة سفارته الى مصر – خلال عام 1501 – الموجهة الى فريناند وايزابيلا (سفارة بابلية . ص 104) : « ان ثياب القوم الفوقانية هنا تختلف قليلا عن ثياب غرناطييكم التي يسمونها الجيوبة ويسميها الاسبان Marlotas مرلوطة » .

وتستعمل الجبة كذلك في الجزيرة . راجع بكنكهام (اسفار في بلاد ما بين النهرين ، ج 6 ، ص 343) الذي كتبها جبه Jubba .

وتلبس الجبة في مكة المكرمة حتى ايامنا هذه – اذ ترتدى فوق البدن – وهي مصنوعة من الجوخ الخفيف – او من نسيج الحرير الهندي . وفي ايام الحر اللاهبة لايرتديها الناس مطلقا – ولكنهم يطرحونها على الاكتاف . راجع بركهارت في كتابه (اسفار في الجزيرة العربية . ص 335 و 336 . ج 1) وفي المدينة المنورة حيث يرتدي الفقراء ايضا هذا الرداء نرى الجبة مصنوعة من الجوخ . (المرجع السابق ، ج 2 ، ص 242) .

لم نتحدث حتى هذه اللحظة الا عن جبة الرجال – فيترتب علينا الآن ان نمنح بعض التفصيلات جبة النساء . يقول لين عن اليلك في كتابه (المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص 58): « ان النساء المترفهات يرتدين جبة من الجوخ ومن المخمل او من الحرير – وهي عادة مطرزة بالذهب او بالحرير الملون – والفرق الرئيسي بين Djobbah ou djibbah

---

(1) ان كلمة ملف التي ربما كان يلفظها اللافظون (ملف) والتي تلفظ هذا اليوم (ملف) تشير في بلاد البربر الى نفس النوع من هذا القماش . راجع هوست (اخبار من مراكش – ص 269) فانه يقول ان (ملف انجليس) الجوخ الانكليزي – و (ملف فلمينك) الجوخ الفلمنكي (الهولندي) – ويترجم دونباي في كتابه (النحو المغربي العربي . ص83) كلمة ملف الى بانوس Pannus وحسب تقرير النقيب ليون في كتابه (اسفار في الشمال الافريقي – ص 315) فان كلمة Melf تعني في سخنة (الجوخ) . ونقرا في رحلة ابن بطوطة (مخ دي كايانكوس ، ص 138) : « وتكسى باللبد او الملف » . وفي مكان آخر (ص 151) : وفيها كرسي كبير مبطن بالملف يجلس فوقه قاضيهم». وبعد ذلك (ص 152) : « فرأيت شيخا حسن الوجه واللمة عليه لباس الرهبان وهو الملف الاسود» (في القسطنطينية) . وفي نفس المرجع : «شقة ملف من عمل البنات وهو اجود انواعه » . وفي موضع آخر (ص 155) : « قد كسيت حيطانها بالملف الملون » . وبعد ذلك (ص 286) : « عليهم جباب الملف الاحمر ». واخيرا (ص 185) : « ستور ملف » . ويترجم بيدرو دي الكالا في كتابه المعنون (مفردات اسبانية عربية) كلمات Orillo de paño بـ (حاشية الملف). ونقرا في الاحاطة لابن الخطيب (مخدى كايانكوس ، ص 32) الخبر التالي : « اشترى ملفا فبلها فانتقصت كما يجرى في ذلك فدرعها بعد البل فانتقصت فطالب بذلك بائع الملف فأخذ يبين له سبب ذلك فلم يفهم .

ويلاحظ ان ابن الخطيب يستعمل هذه الكلمة بصيغة التانيث ويستعملها ابن بطوطة بصيغة التذكير . ومع ذلك فبوسعنا ان نفترض ان المؤلف حين كتب كلمة (ملف) فكر حينئذ باسم لباس لجنس النساء – وعلى سبيل المثال في كلمة جبة . والواقع ان المؤلف نفسه في موضع آخر (المخ . ص 14) قد عد بين الاقمشة التي يرتديها الغرناطيون الملف المصبوغ . وهكذا نرى كلمة ملف في صيغة التذكير .

واليوم تشير كلمة ملف (mleff,) في مالطة الى رداء قرمزي للاطفال . (راجع فاسيلي في كتابه (قوبميس مالطي . مج 509) .

هذه الجبة وبين جبة الرجال ينحصر فى انها ليست غاية فى الاتساع ـ وهذه الحالة بادية على وجه الخصوص فى الجهة الامامية، وطولها طول اليالك » . (ومعنى ذلك انها تلامس الارض او انها اطول من ذلك بنحو عقدتين او ثلاث عقد فهي تكنس اديم الغبراء) . وفى الصورة التى يعرضها لين (ج 1، ص 57) عن جبة المراة ـ نرى ان ردنيها يكادان يبلغان حد المعصمين . ولم يمض زمن طويل على مصر يوم كان ردنا الجبة لا يصلان الى الساعدين ـ كما نستطيع ان نرى ذلك فى اطلس اوليفييه : (اللوحة المرقمة 26 ، رحلة الى الامبراطورية العثمانية ومصر وفارس) وفى (مصور وصف مصر ، ج 2 ، اللوحة 293) .

والواقع اننا نقرا لدى الكونت دي شابرول (وصف مصر ، ج 18 ، ص 113) : الجبة رداء يسبل على ثياب اخرى. وللجبة ردنان غاية فى القصر ـ وهي مبطنة بالفراء شتاء ـ فهي حينئذ تأخذ اسم (وجه فروة) Ouech faroueh

ولعل داندیني فى كتابه (رحلة من جبل لبنان ، ص 48) يتحدث كذلك عن الجبة الخاصة لنساء طرابلس ـ حين يقول ترتدي النساء جبة اقصر من جباب الرجال ـ بدل ما يدعى السبان Spain او العباءة Abb

ويبدو ان جبة المراة فى الازمنة القديمة كانت كذلك اقصر مما هي عليه الآن . راجع (مصور وصف مصر ، ج 2 ، اللوحة 266) . ويتحدث ريشتر فى كتابه (رحلة الى الشرق الاوسط ، ص 212) عن جبة نساء بدو سورية (Dshübbeh) التى لها لون الشوكولاته عادة » . ويضيف قائلا : « ان هذا اللون عزيز على قلوب الرجال ايضا » . اما فى مصر فيستبان ان السيدات كن يرتدين ايضا جبة عصر مارمول ـ لاننى ارى ان العبارة التالية لهذا المؤلف تشير الى هذا اللباس موضوع البحث (وصف افريقيا ، ج 3 ، ص 112) : « ان لهذه الصايات Las sayas هيئة الجباب التركية» . (Aljubas turques) وارى ان المؤلف يضيف ما يضيف لتمييزهن من الجباب الفرناطية المسبلة حتى الاقدام ـ والمشغولة من مختلف انواع الحرير ـ او المنسوجة من الذهب او المكفتة به . وترتدي النساء كذلك الجوخ ذا الاكمام الضيقة المطرزة باسراف بالذهب والحرير » .

وفى مصوع يلفظ الناس كلمة جبة كلفظ اهالي صر لها . وهذا اللباس يصنع فيها من الجوخ الملون (روبل ـ رحلة الى الحبشة ـ ج 1 ، ص 200) . والجبة كانت شائعة الاستعمال بين التركمان . فنحن نقرا لدى فريزر فى كتابه (رحلة الى خراسان ـ ص 266) : « عندما يشتد البرد ترتدي النساء فوق ما يرتدين جبابا او اردية شبيهة بأردية الرجال ـ وهي مصنوعة من نسيج الحرير او من القطن المخطط». ويضيف الرحالة الى ذلك ملاحظة : « ان الجبة هي رداء واسع فضفاض يلتحف به ـ وهذه الجبة لها ردنان مضغوطان على الرسغين ـ ولكنهما واسعان من الجهة العليا ـ وهي مفتوحة من الجهة الامامية وواسعة سعة مفرطة بحيث يمكن طيها طيات عديدة حول الجسم. كما يمكن طرح هذه الجهة على الاخرى. ولهذه الجبة شبه كبير بالبيرونة الفارسية Le baroonee ولكنها تصنع عادة من الاقمشة الغليظة . والجبة الخراسانية تعمل فى معظم الاحيان من الصوف الاسمر او الضارب الى الحمرة ـ وقد تصنع كذلك من وبر البعير . وهي دثار فاخر جدا ـ ذلك لان حياكتها المحكمة لا تسمح بنفاذ المطر فيها بسهولة ـ وهي تقي صاحبها كثيرا من المطر » . وبعد ذلك نقرا : « اما الفقراء من الدرجة السفلى فى الادقاع فيرتدون جبة قصيرة او قميصا من الصوف » . ونطالع كذلك : « بعضهم يرتدي الزي الوطني التركماني او الازبكي الذى يقتصر على عدة اردية او جباب تعلو الركب قليلا وتربط بحزام ـ والقماش الذى تصنع الجباب منه امشاج من الحرير والقطن مخططة بخطوط زرقاء وارجوانية وحمراء وخضراء ـ والاتراك يحافظون على زيهم الخاص محافظة تامة وذلك بارتدائهم الجباب المنسوجة من وبر البعير فوق البستهم فى معظم الحالات » .

وما تزال الجبة مستعملة لدى من يدعون (Les Guèbres) من اتباع زرادشت ـ يسكنون فى ايران والهند) راجع فريزر ـ المرجع السابق ـ ص 22) كما بقي استعمالها لدى الاوزبكيين فى شيوا Chiwa (المرجع السابق ـ ص 68) . والمصريون يتمثلون بهذا المثل حتى يومنا هذا : « صقل جبته ونقش لحيته » ، حين يريدون ان يقولوا ان فلانا قد استعد للقيام باحدى المهمات . راجع (بركهارت ـ الامثال العربية ـ ص 367) .

ومن هذه الكلمة العربية « جبة » استنبط الاسبان Aljuba, jupa, chupa, jubon

واشتق البرتغاليون Aljuba

واحدث الايطاليون Giuppa و Giuppone

واستحدث الفرنسيون Jupe و Jupon .

الجديل والجديلة

حسب راى الجوهري (ج 2 ، مخ 85 ، ص 188) يدعى الوشاح فى معظم الاحيان جديلا (Ceinture) ويورد اللغوي بهذا الصدد بيتا من الشعر نجده ايضا فى الحماسة (ص 556) ـ حيث يقول التبريزي ان الجديل مصنوع من قطع الجلد ـ وهذه القطع مبرومة على بعضها . وتستعملها الجواري والاماء فقط ـ ولا تستعملها النساء العربيات . اما راى القاموس اطكلكتا ـ ص 1411) فهو ان (الجديلة شبه اتب من ادم يأتزر به الصبيان والحيض) . وانني اشك كل الشك ان كلمة جديلة فى هذا المعنى تعني نوعا من الحزام ـ بل ارى ان الكلمة تشير الى نوع من السراويل .

الجربية

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ويقص علينا ابن الخطيب فى (الاحاطة ـ دى كايانكوس ـ ورقة 32) عدة امثلة على غفلة العلماء فى مناسبات بسيطة للغاية ـ والمؤلف يروي لنا حكاية تحكى لخياط من تونس : قال لي ابو الحسن حاسم من قرطاجنة (وهو مؤلف المقصورة المشهور) ان المستنصر خلع علي جبة جربية (كذا) من لباسه وتفصيلها ليس من تفصيل اثوابها بشرق الاندلس . واريد ان تحل اكمامها ونصيرها مثل ملابسنا . فقلت : وكيف يكون العمل ؟ فقال : نحل راس الكم ويوضع الضيق بالأعلى والواسع بالطرف . فقلت : وبما يحير الاعلى (1) فانه اذا وضع فى موضع واسع سطت علينا فرج ما عندنا ما يصنع فيها الى ان وقعنا بغيرها . فلم يفهم . فلما يئست منه تركته وانصرفت . ونحن نرى من هذه العبارة ان الجربية تعني نوعا من الجبة ذات الكمين . ومارمول فى كتابه وصف افريقيا (ج 2، ص 40 ، مج 4) يكتب الكلمة حريفيا Gerivia ولكن الوصف الذي يصف به هذا الملبوس لا ينطبق كل الانطباق مع كلمات ابن الخطيب . ويقول فى وصف اقليم غزولا Gezoula فى مملكة مراكش « ان الزي الاعتيادي لهؤلاء الناس ينحصر فى الجربيات Gerivias الصوفية ـ وهي ضيقة لا اكمام لها ولا ياقة ـ وتنسدل حتى الركب ـ ويرتديها الناس فوق الجلد مباشرة » .

وانني اجهل ما اذا كانت كلمة الجربية هي نفس كلمة Gerba التي ذكرها النقيب ليون فى كتابه (رحلات فى شرقي افريقيا ـ ص 6) التي يقول عنها : « انها قفطان ذو كمين قصيرين ـ وان الناس يرتدونها غالبا بدلا من البنيش او البنش » . « Beneish » .

الجريد

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس بالمعنى المراد.

ويقرر النقيب ليون فى كتابه (رحلات الى الشمال الافريقي ، ص 39) ان العرب فى طرابلس الغرب يصنفون البركانات Barracans الى ثلاثة اصناف . فاغلظ هذه الاصناف يدعى Aba والارق هو الجريد Jereed اما اوسط الثلاثة فاسمه خولي Kholi . والجريد يرتدي ايضا فى مرزوق ، من قبل الرجال والنساء على حد سواء (المرجع السابق ، ص 170 ، 171) .

ان كلمة جريد هي بدون شك من اصل عربي . وان فعل جرد يعني الخ .

Scalpsit, abrasit ; mundavit gossipium

ان صيغة جريد بوسعها ان تعبر عن اسم المفعول كصيغة قتيل ، المشتقة من فعل قتل . فافترض اذن

---

(1) يخيل الي وجوب ترجمة الفعل يحير على هذا المنوال الذي الفظ الكلمة به (يحير) . وانظر فى القاموس الصيغة الخامسة لهذا الفعل . ونقرأ فى الكتاب المعنون (اخبار الملوك (مخ 639 ـ ص 131): وامر المعتمد عبد الجليل بن وهبون ان يحير البيت الاول . وارى من المحتم على ان احل فعل يحير محل الفعل (يجير) بحيث يكون المعنى : « امر الامير الشاعر اجازة البيت الاول باضافة بيت ثان » . لعل المؤلف اراد فعل (يجيز) فتوهم فكتبها (يجير) المترجم .
وقع المؤلف فى وهمين . الوهم الاول انه اراد ان يقول بوجوب احلال فعل (يجير) محل الفعل (يحير) فقال العكس . والوهم الثاني انه اراد ان يقول (يجيز) فقال (يجير) المترجم .

وجوب اضمار اسم الموصوف (بركان) وعلى وجه الاحتمال نقول كان يقال فى الماضي (بركان جريد) .

الجـــرز

اننا نقرا لدى الجوهري (ج 1 ، مخ 85 ، ص 388) : الجرز بالكسر لباس من لباس النساء من الوبر ويقال هو الفرو الغليظ . كما نطالع فى القاموس (ط كلكتا ، ص 699) : لباس النساء من الوبر وجلود الشاء .

الجرمـــوق

ارجع كلمة سرموجة .

الجزويـــرة وجمعها الجـــزاور

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس ، ولم اقع عليها الا فى لهجة مالطة .

ولكن توجد هذه الكلمة وجمعها جزاور فى كتاب فاسالي ، فوميس مالطي ، مجم 311) ، وقد لاحظها هذا اللغوي ، وهو مجمع ، كما نعلم ، عربي اصولي صميم ، مصوغ صياغة الاسم الموصوف الرباعي . وهذا ما يجعلنا نشك فى ان كلمة جزويرة هي من اصل عربي ، ومع ذلك فلست مؤمنا بذلك ، ويخيل الي ان كلمة جزويرة ليست الا تحريفا قويا بعض القوة فى الواقع ، للكلمة الايطالية Giustacuore

وايا كانت الحالة ، فان الجزويرة ما زالت ترتدي حتى يومنا هذا من قبل سكان مالطة العرب . وفى كتاب فيسكيه (رحلة الى الشرق ، ص 6) يجري البحث حول الكزويرة ، التنورة المفتوحة من احدى الجهات ، التي ترتديها المالطيات .

وقد تفضل اماري Amari الصقلي المولد فاعلمني ان ما يدعى فى مالطة بالجزويرة هو تنورة صغيرة من النسيج المخطط بخطوط زرق وبيض ولها طيات صغيرات . وهي مفتوحة من احدى الجهات ومشدودة بشرائط صغيرة » .

الجقشيـــر

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

وهي من اصل تركي جقشير ، او على الوجه الاصح جاقشر وتشير الى : بنطلون من الجوخ . ويعبر دارفيو عنها بهذه الكلمات فى كتابه (رحلة من فلسطين صوب الامير الاعظم) فيقول : « تحت هذا القفطان وفوق التبان المنسوج يرتدون Chakchier او بنطلونا من الجوخ الاحمر نهايته من السختيان الاصفر . ويجب ان تكون هذه البنطلونات دائما من اللون الاحمر او الارجواني او البنفسجي والا تكون ابدا من اللون الاخضر ، لان محمدا كان يحب هذا اللون ، وان ذراريه يحملون العمامة الخضراء، والناس يعتقدون بايذائه اذا لبسوا الثياب الملونة باللون الأخضر ولم يكونوا من احفاده . وهم يعتبرون الفرس هراطقة بارتدائهم السراويل والتبابين الخضر » . ويشرح نيبور فى كتابه (رحلة الى الجزيرة العربية ، ج 1 ، ص 152) كلمة Schakschir بانها « سروال احمر واسع الفضفضة » . ويخطىء من يقرا شرشير فى كتاب (وصف مصر ، ج 18 ، ص 107) . ويفسر الكونت شابرول هذه الكلمة بانها : « سروال شتائي من الجوخ » .

الجلبـــاب ـ الجلبـــاب

سلف ان رأينا فى كلمة ازار ـ ان كلمة جلباب قد استعملت فى عبارة للبخاري بوصفها مرادفا لكلمة ازار ـ ونستخلص من ذلك ان الجلباب يشير الى هذه الملحفة الهائلة ـ التي يلتحف بها النساء فى الشرق ـ من الراس الى القدمين ـ حين يردن الخروج من منازلهن. والواقع ان الجوهري (ج 1 ـ مخ 85 ـ ص 35) يفسر كلمة جلباب بملحفة وعلى ذلك فان الملحفة تشير الى ما يشير اليه الازار . ويضيف اللغوي الى ذلك قائلا : قالت امراة من هذيل ترثي قتيلا :

تمشي النسور اليه وهي لاهية
مشي العذارى عليهن الجلابيب

ولعل ابن خاقان كان ينظر الى معنى الكلمة نفسه حين قال (لدى هوكفليت ـ مقتطفات من كتاب ـ مختلفين حول اسرة الافطيين المالكة والشاعر ابن عبدون ـ ص 47) :

وغدا مصرعهم من نجيمهم وارس الجلباب

وتشير هذه الكلمة ـ حسبما ورد فى القاموس (ط كلكتا ـ ص 58) الى قميص ـ والى ثوب واسع للمرا دون الملحفة ـ فهو فى هذه الحالة نفس الثوب الذ يدعى هذا اليوم فى مصر سبلة او (توب) ـ او هو اخيرا الخمار نفسه .

وعلى كل حال فقد كان بشير قديما الى ثـــوب ترتديه النساء . ويخيل الي ان هذه الكلمة قد اكتسبت في الازمة المتاخرة مفهوما خاص مختلفا في المغرب . اذ يقرر شو Shaw في كتابه : (رحلة الى بلاد البربر والشرق ، ج 1 ، ص 322

« Reizen door Barbarijen en het Ooste

ان كلمة الـ Jillebba تشيـــر الى نوع قمصلة Camisole بكمين او بدون كمين — ولكنها تختلف قليلا عن قباء Tunique الرومان . وهذه القمصلة تشد بالحزام خصوصـا في اوقـات العمل وهي ترتدي تحت الحيك . وانني اعتقـد ان كلمة Jillebba هي كلمة جلباب العربية التي بتر منها الحرف الاخير . وقد زاد تيفنو هذه الكلمة افسادا في كتابه (قصة رحلة الى المشرق — ص 53 ، حين كتبها Jillet . وهو يقول في معرض وصفه لمدينة تونس : « لبست ملابس البربر مشابهة تماما لملابس الاتراك لانهم بدلا من البذلة العسكرية المزركشـة يرتدون قمصلة يسمونها Camicole ويكتبها مؤلف (مهمة تاريخية في مراكش — ص 71 — مج 2 — ص 73 — مي 1 — ص 320) هكذا Chilivia وهـو يعتبرها سترة صغيرة من قماش غاية في الفلاظة . لها كمان ضيقان ومزودة بقبع كقبع الرهبان الكبوشيين مزفتة لوقاية الراس — وهذا الثوب قصير بحيث انه لا يتعدى الحزام » . ونقرا في رحلة وندس (رحلة الى مكناس — ص 29) « ان المغاربة الاشد ادقاعا يرتدون لباسا يدعى Gelebia وهو مصنـوع من قمـاش صوفي غليظ — وهذا الثوب لا اكمام له — ولكنه مزود بثقوب لامرار الذراع فيه — وهو يتدلـى حتى يبلـغ الركبتين — ويلتف كيفما اتفق حول الجسم على هيئة كيس » . ويكتب ريلي الكلمة في كتابه (بوار تجـارة السفن الشراعية ، ص 197 — 198 — 248) هكـذا Galabbia وهو يراها عباءة من الصوف لها كمان قصيران ومزودة بقبع كبوشي . اما علي بيـك في كتابه (الاسفار — ص 278 — ج 2) فيكتب الكلمـة على هذا المنوال Djilabia وهو يعتبرها قميصا او عباءة (Shirt or cloak) من قماش مخطط بخطوط دقيقة بيضاء وسوداء . ونطالـع في كتـاب كرابر دي هيسوامرآة جغرافية واحصائية للامبراطورية المراكشية — ص 82) ان طبقة الدهماء في مراكش والفقراء يرتدون لباسا واحدا وهو على هيئة كيس من القماش الغليظ ويدعى Gellabia : « وقد قورت في هذه الجلابية ثقوب من الجهة العليا ومن الجوانب لاجل ادخال الراس والذراعين » .

ومن المحتمل الا تكون هذه الكلمة قد اشتقت كليا من كلمة جلباب — وان هـذا النـوع من القمصلـة Camisole او الدراعة قد اشتق اسمه من الكلمـة البربرية Thelebeh التي تعني حسب قول فنتور في كتابه (رحلـة هورنمـان — ج 2 — ص 440) تـوبـا . Habit .

الجمـازة ، الجمـازة

اننا نجد في طبعة كلكتا للقاموس ، وفي افضل مخطوطة من مخطوطات ليدن لهذا السفر . ان الحرف الاول عليه فتحة . ولكن الجوهري (ج 1 ، مخ 85 ، ص 389) ينص نصا قاطعا على ان : « الجمزة بالضم مدرعة صوف . ويضيف الى ذلك قائلا :

قال الراجز :

يكفيك من طاق كثير الاتمـان
جمازة شمر منهـا الكمـان

ويرى القاموس ان كلمة جمازة تشير الى سترة او (دراعـة من صـوف) قمصلـة :
Une veste ou camisole en laine .

الجـنـة

اننا نقرا في القاموس (ط كلكتا ، ص 1734) : « الجنة كل ما وقى وخرقة تلبسها المراة تغطـي من راسها ما قبل ودبر غير وسطه وتغطي الوجه وجنبي الصدر وفيه عينان مجوبتان كالبرقع » .

الجنينـة

يرى القامـوس (ط كلكتـا ، ص 1734) ان « الجنينة هي لباس من حرير على هيئة الطيلسان . (الجنينة مطرف كالطيلسان) .

الجنبـل

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ويقرر دييكو دي هيدو في كتابه (خطط مدينة الجزائر ، مج 4 ، ص 27) ان النساء في الجزائـر يضعن فوق البناقة ثلاث زينات للراس . الزينة الثانية

هي شبه عصابة (Trançado morisco) موريسكية من نسيج حريري دقيق مسترسل للغاية وهو يشبه ما يسمى Cendal ويكون عادة ملونا . وهن يلففن هذه الزينة حول رؤوسهن كما هي حالة الزينة الاولى تاركات الاطراف مسبلة فوق الاكتاف حتى موضع الحزام ، وهن يسمين هذا النوع من القلانس Chimbel (Este tocado) ولا ارتاب مطلقا فى ان نساء مدينة الجزائر العربيات قد صغن كلمتهن (جنبل) من الكلمة التركية (جنبر) التى هي الكلمة ذاتها بالتمام ، مع استبدال الراء باللام ، هما حرفان من نفس الطبقة والصنف . والعرب والفرس والاتراك يلفظون النون امام الباء مثل الميم وليس مثل النون . اذن احسن دييكو دي هيدو صنعا بكتابة (Chimbel) وليس (Chinbel) (1) .

الجـــوب

يفسر الجوهري (ج 1 ، مخ 85 ، ص 37) هذه الكلمة بكلمة (بقيرة) . ويفسر القاموس (ط كلكتا ، ص 60) هذه الكلمة بانها (درع المرأة) . Une chemise de femme

الجـــوخـــة

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ولكن دونكم بادىء الامر مقالة شائقة للمقريزي (وصف مصر ، ج 2 ، مخ 372 ، ص 350) : « سوق الجوخيين : هذا السوق يلي سوق اللجميين . وهو معد لبيع الجوخ المجلوب من بلاد الفرنج (2) لعمل المقاعد (3) والستائر وثياب السروج وغواشيهم (4)

---

(1) يقول كوباروفياس حول كلمة صندل Cendal (الكنز ، مدريد 1611) ما يلي :
« قماش مصنوع من الحرير الناعم او من نسيج من الكتان الرقيق الخفيف . والذين يعتقدون بانه مصنوع من الحرير يقولون بأن اصل الكلمة Sedal وبعد اضافة حرف النون الذي سقط تصبح الكلمة Sendal اما الذين يقولون بانه نسيج الكتان الرتبق فيرجحون ان اصل الكلمة هو Sindone . (نص لاتيني بنفس المآل) ــ المترجم .
ويقول الاب Guadix بأن اصل الكلمة هو عربي مشتق من الاسم العربي صندالي Cendali والذي يعني غالبا الورق الخفيف الرقيق ، وهو الاسم الذي يطلقه العرب على الحرفي الذي يقوم بطرق صفائح الذهب الرقيقة ، وهو فى الاسبانية Batihoja اى طارق الاوراق الصفائح الذهبية) . (ترجمة لويس رومانوس)

(2) لعل البلد المصدر الرئيس هو البندقية. راجع سيلفستر دي ساسي فى كتابه ، (طرائف عربية ج 1 ، ص 87) .

(3) المقاعد تعني الصفف . لانني اقرا فى كتاب نادر للغاية اقتني الجزأين الاول والثاني منه (الجزء الثالث نادر) وعنوانه (Les Voyages du sieur de la Moraye en Europe, Asie et Afrique, tom. I, pag. 85
ان الصفة هي مصطبة مصنوعة من الألواح الخشبية ، وترتفع عدة اقدام عن الارض وتستند الى الحائط .
وتوضع فوقها المنادر ، وهي حشايا مغطاة بقطع من الاقمشة واسمها مكات Maccates ، ولها وسائد مغطاة كذلك ومستندة الى جدار العرفة لتتكئي عليها الظهور وقد التفت الساق بالساق ، كما يصنع الخياطون » .
ان كلمة مكات Maccattes التي اوردها هذا الرحال تعني بلا ريب كلمة مقاعد التي ذكرها المقريزي .

(4) من العبث كل العبث ان نتحدث عن كلمة غاشية ، بعد ان افاض فى شرحها العلامة الجليل كاترمير فى كتابه (تاريخ السلاطين المماليك ، ج 1 ، ص 4 ــ 7 ، ق 1) فقد اغترف بشأن هذه الكلمة من كنوزه الغزيرة ما لا قبل لنا بمباراته . ولكن هناك كلمة اخرى تدل كذلك على غطاء يوضع على ظهر الحصان او البغل ، وكان يصنع فى الغالب من الجوخ ؛ فيتحتم علي ان اقول بعض الكلمات عن هذا الغطاء .
اريد ان اتحدث عن كلمة زناري . فنحن نقرأ لدى السيوطي (حسن المحاضرة) وهو يتحدث عن القضاة ؛ ومراكبهم البغال . ويعمل بدلا من الكنبوش الزناري . وتقابل كلمة كنبوش الكلمة الفرنسية

وادركت الناس وقل ما تجد فيهم من يلبس الجوخ وانما يكون من جملة ثياب الاكابر جوخة لا تلبس الا فى يوم المطر . وانما يلبس الجوخ من يرد من بلاد المغرب ، والافرنج واهل الاسكندرية وبعض عوام مصر . فاما الرؤساء والاكابر والاعيان فلا يكاد يوجد فيهم من يلبسه الا فى وقت المطر . فاذا ارتفع المطر نزع الجوخة . واخبرني القاضي الرئيس تاج الدين ابو الفداء اسماعيل بن احمد بن عبد الوهاب بن الخطباء المخزومي خال امي رحمه الله قال : كنت انوب فى حسبة القاهرة عن القاضي ضياء الدين المجتسب فدخلت عليه يوما وانا لابس جوخة لها وجه صوف مربع فقال لي : وكيف ترضى ان تلبس الجوخ ؟ وهل الجوخ الا لاجل البغلة ؟ ثم اقسم علي ان اخلعها . وما زال بي حتى عرفته ان اشتريتها من بعض تجار قيسارية الفاضل . فاستدعاه فى الحال ودفعها اليه وامره باحضار ثمنها . ثم قال لي : لا تعد الى لبس الجوخ استهجانا له . فلما كانت هذه الحوادث وغلت الملابس دعت الضرورة اهل مصر الى ترك اشياء مما كانوا فيه من الرقة وصار معظم الناس يلبسون الجوخ. فتجد الامير والقاضي ومن دون من ذكرنا لباسهم الجوخ . ولقد كان الملك الناصر فرج ينزل احيانا الى الاسطبل وعليه ممجون من جوخ . وهو ثوب قصير الكمين والبدن يخاط من الجوخ بغير بطانة من تحته ولا غشاء من فوقه . فتداول الناس لبسه واجتلب الفرنج منه شيئا كثيرا لا توصف كثرته . ومحل بيعه بهذا السوق » .

قبل ايراد ترجمة هذا النص للمقريزي ، ارى لزاما علي ان احملكم على ملاحظة ان كلمة جوخ ، التي اشتقت منها كلمة جوخة ، هي الكلمة التركية جوقة التي تشير الى الجوخ . ولعل الكلمة اليونانية الحديثة روخن مدينة بأصلها الى هذه الكلمة التركية .

وتوجد كلمة جوخة فى هذا النص للنويري (تاريخ مصر ، مخ 2 ، ص 192) : ولبس السلطان جوخة مقطعة .

هذا النص الذي يبدو منه ان المقريزي نسخه عنه فى كتابه (تاريخ السلاطين المماليك ، ج 1 ، ق2 ، ص 63) . كما اننا نقرا لدى ابن اياس (تاريخ مصر ، مخ 367 ، ص 37) : قلع تخفيفته ولبس عمامة وجوخة من فوق ثيابه . ويفسر كانيس فى كتابه (ص 171 ، نحو عربي اسباني) الجوخة بانها لباس من الجوخ شبيه بالرداء الفرنسي الردنكوت Redingote .

الجوذياء

يرى القاموس (ط كلكتا ، ص 436) ان الجوذياء هي (مدرعة من صوف للملاحين) .

الجورب

تدل هذه الكلمة ـ حسب راي القاموس (ط كلكتا ـ ص 56) على (لفافة الرجل) .

واعتقد ان النص التالي للرحالة نيبور فى كتابه (رحلة الى البلاد العربية ، ج 1 ، ص 153) بوسعه ان يلقي ضوء او بعض الضوء على هذا التفسير . يقول الرحالة : « ان الشرقيين يلفون اقدامهم وسيقانهم بخرق صوفية كبيرة ـ وفوق هذه اللفافات يلبسون خفافهم الواسعة . وعلى ذلك فان خطواتهم ثقيلة ـ ولكن هذه الخرق تدفيء اكثر مما تدفيء جواربنا . فاذا تبللت هذه الخرق مرة ـ فانها لن تدفيء بعد ذلك الا قليلا ـ وعلى نقيض ذلك ـ فان هذه اللفافات يمكن ان توضع حول الساقين بشكل يختلف عن شكل الامس ».

ويرى ابن بطوطة (الرحلة ـ مخ دي كايانكوس ـ ص 47) ان المسلمين يرتدون الجوارب حين طوافهم حول الكعبة لحماية اقدامهم من الحرارة اللاهبة .

لاهوس la housse . . وان المستشرق دى ساسي الذي نشر هذا النص فى كتابه المنوه به (ج2 ، ص 297) ـ راجع كذلك تعليقه ، ص 270 ـ قد توهم فى طبع الكلمة هكذا (زنادي) فى حين انها (زناري) وهي موجودة فى مخطوطتي ليدن لكتاب السيوطي (مخ113 ، ص 354 ، ومخ 376 ، ص 460) ، ولا مرية ان الشك قد انقطع استنادا الى النص التالي لمخطوطة بخط النويري نفسه (تاريخ مصر ، مخ 19 ب ، ص 121) حيث نقرا : انعم عليه ببغلة بسرج وزناري جوخ . وقد قرات فى جزء آخر من نفس الكتاب (مخ 2 ، ص 116) : وركب فرسا اشهب من مراكيب السلطان بزناري اطلس احمر بدائر اصفر برقبة سلطانية مزركشة وسرج سلطاني محلى بذهب .

راجع بركهارت فى كتابه (تعليقات على البدو والوهابيين ، ص 121) .

راجع كذلك حول كلمة رقبة تعليق « كاترمير » فى كتابه « تاريخ السلاطين المماليك ، ج 1 ، ق 1 ، ص 135 » .

ويفسر بيدرو دي الكالا فى كتابه (مفردات اسبانية عربية) هذه الكلمات Calças de muger بأنها جورب . ولعله يستعمل كلمة Calças لا بمعنى تبان Caleçon او سروال Culotte وانما بمعنى جورب Medias, calzas, bas .

المجـــول

يظهر ان هذه الكلمة تشير الى ثوب صغير للمرأة . فنحن نقرأ لدى الجوهري (ج2 ، مخ 85 ، ص 191) : « المجول ثوب صغير تجول فيه الجارية. ويستشهد اللغوي فى هذه المناسبة بالشطر التالي من معلقة امرىء القيس (الطويل) :

اذا ما اسبكرت بين درع ومجول (1)

والدرع هو قميص المرأة الكبيرة ، والمجول هو قميص المرأة الصغيرة .

ويرى الفيروزبادي (القاموس ـ ط كلكتا ـ ص 1418) ان هذه الكلمة تشير الى (ثوب للنساء وللصغيرة) . وكان العرب القدامى يستعملون هذا الثوب فى لعبة الميسر . ويقول النويري انه (ثوب ابيض) . راجع راسموسين Rasmussen ذيل تاريخ العرب قبل الاسلام ـ ص 28 من النص العربي .

الحبـرة ـ الحبـرة

تدل هذه الكلمة على نوع من البرد ـ مصنوع فى اليمن ـ ومعنى ذلك ان الحبرة هي رداء واسع مخطط. ولذلك استطاع احد الشعراء (اليتيمة ـ مخ لي Lee ص 14) ان يقول وهو يتلقى كتابا من احد الاصدقاء (البسيط) :

وروضة من رياض الفكر دبجها
صوب القرائح لا صوب من المطر
كأنما نشرت ايدي الربيع بها
بردا من الوشى او ثوبا من الحبر (2)

وهكذا نرى ان الشاعر هنا ينظر امامه الى رياض تتفاوح بالازهار وتتماوج بالالوان ـ فيشبهها بالملابس المخططة الملونة المسماة بالبرود والحبر .

ونحن نقرأ فى صحيح البخاري (ج 2 ، مخ 356، ص 128) فى باب البرد والحبرة والسملة ـ الحديث التالي ـ المروي عن انس الذي يرويه هو بدوره عن قتادة . قال : قلت له اى الثياب كان احب الى النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : الحبرة . ونقرأ كذلك فى الباب نفسه ان المرأة التي كانت عزيزة على قلب الرسول ـ وهي عائشة ـ قالت : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توفى سجى ببرد حبرة .

واستنادا الى الكتاب المعنون : عيون الآثار (مخ 340 ، ص 188) نعلم ان الرسول ترك فيما ترك حين توفى حبرة . ويظهر ان هذه الثياب ما كانت تصنع الا فى اليمن (الجوهري ـ ج : ـ مخ 85 ص 276 ـ والقاموس ط كلكتا ـ ص 491) . ويتحتم علي ان اعترف ما يميز الحبرة من البرد .

وفى العصور الحديثة اصبحت هذه الكلمة تدل على شىء آخر مختلف كل الاختلاف . اذ لما شعرت نساء مصر أن الازار اصبح مزريا بشموخهن شرعن بارتداء هذا الرداء الحريري ـ او المصنوع من التفتا او من الشال ـ وخلعن عليه اسم الحبرة ـ هذه التسمية الموجودة فى كتاب (وصف مصر ، ج 18 ، ص 114) ـ وبوسعنا رؤية هيئة هذا اللباس فى الاطلس (ج 1 ـ اللوحة 41) .

ونحن نرى فى اللوحة العشرين من (رحلة ويتمان فى تركيا الاسيوية وسورية ومصر ـ ص 384: Wittman (Travels in Asiatic Turkey, Syria and Egypt)

« ان النساء يرتدين رداء اسود واسعا يغطي على وجه التقريب كل الجسم ويتدلى حتى العقبين » .

---

(1) الشطر الاول من هذا البيت هو : الى مثلها يرنو الحليم صبابة .
راجع شراح معلقة امرىء القيس كالزوزني والشنقيطي والتبريزي وغيرهم (المترجم) .

(2) ان كلمة وشي تشير الى نوع من القماش الثمين . فالادريسي (الجغرافية ، ج 2 ، ص 128) يعلمنا ان هذا القماش كان يصنع فى اصفهان . وفى نص لابن سعيد ذكره المقري (تاريخ الاندلس مخ غوتا ص 40) نقرأ : فقد اختصت المرية ومالقة ومرسية بالوشى المذهب الذي يتعجب من حسن صنعته اهل المشرق اذا راوا منه شيئا. وفى تاريخ العباسيين للنويري (مخ 2 ، ص 150) ورد ذكر وشى اليمن ووشى قرمز . وهذه الكلمة الاخيرة تنم على ان الوشى هو نوع من (الاسقلاط ـ القرمزي ـ الارجواني écarlate) .) . والكلمة تدل كذلكعلى لباس ملون. وبوسعكم ـ للتعمق فى هذا الموضوع ـ مراجعة الجزء الاول من كتابي : (تاريخ بني عباد ، ص 86 ـ 87 ـ ت 753) .

ونقـــرا فى كتـــاب تيرنـــر ـ ص 396 ـ ج 2
(Turner, Journal of a Tour in the Levant,
« ان الميسورات الحال ـ ســـواء كن مسلـــمات او مسيحيات ـ يستترن ـ لدى خروجهن من مساكنهن ـ برداء واسع من الحرير الاسود » . واخيرا اليكـــم الوصف الدقيق للحبرة ـ الذي يعرضه لنا ليـــن فى كتابه (المصريون المحدثون ج 1 ، ص 61) : « ان حبرة المرأة المتزوجة تتألف من عرضي قماش من الحرير الاسود الملمع . وكل عرض من هذين العرضين عرضه ذراع وطوله ثلاث اذرع ـ وهما مخيطان معا فـــوق طرفي القماش او قربهما (حسب ارتفاع القامة) ـ فى حين ان الخياطة موضوعة بصورة افقية ـ بالنسبة للهيئة التي يرتدي بموجبها هذا اللباس . وهناك قطعة دقيقة من شريط اسود مخيطة داخل الجزء العلوي ـ على بعد نحو ست بوصات من الجانـــب ـ لتكـــون ملفوفة حول الراس . ـ اما الاوانس فيرتدين حبرة من الحرير الابيض ـ او حبرة من الشال » . امـــا فى ايامنا هذه فان الحبرة ما زالت مستعملة فى الجزيرة العربية ـ فى سورية وفى الجزيرة . ويعلمنا بركهارت فى كتابه ـ رحلات فى الجزيـــرة العربيـــة ـ ج ـ ص 329 (Burckhardt : Travels in Arabia
ان نساء مكة يرتدين الحبرة الحريرية السوداءالفضفاضة كما ترتديها نساء سورية ومصر » .
ويؤكد بكنكهام ـ فى كتابه ـ رحلات فى بلاد ما بين النهـــريـــن ـ ج 1 ـ ص 392
Buckingham : Travels in Mesopotamia,
ان نساء ديار بكر يرتدين احيانا خمارا واسعا من الحرير الاسود ـ كما هي العادة فى القاهرة بين نساء الطبقة المـــرفهـــة » .

الحريـــم ، الاحـــرام

نحن نعلم ان كلمتي حريم واحرام تشيـــران الى نوع من القماش يستعمله المسلمون اثناء تأدية فريضة الحج الى مكة المكرمة . ومع ذلك فان كلمة احـــرام لا وجود لها فى القاموس بهذا المعنى .

ويرى وايلد فى كتابه (وصف رحلـــة اسيـــر مسيحي ، ص 64) ان « الاحرام Ehram هو قطعة من الشعر » . وبمقدورنا رؤية هيئة الاحرام Ihrâm فى الجزء الثاني من كتاب (صورة عامة للامبراطورية العثمانية لمرجي دوسون Mouradgea d'Ohsson .

واخذا بوجهة نظر احد شراح الحريري (المقامات، ص 255) تشير كلمة احرام كذلك الى : نوع من غطاء الراس شبيه بالمئزر (راجع هذه الكلمـــة) الـــذي يستعمله عرب اسبانيا وافريقيا . والواقع ان بيدرو دي الكالا فى كتابه (مفردات اسبانية عربية) يؤكد ان كلمة احرام تدل على نوع من اغطية الـــراس يشبـــه المئـــزر ... « Toco como almyzar »

وبهذا المعنى صادفته لدى ابن بطوطـــة (مخ دي كايانكوس ، ص 4) : « وسرنا الى ان وصلنا الى مدينة قسطنطينية . ونزلنا خارجها واصابنا مطر جود اضطرنا الى الخروج عن الاخبية ليلا الى دور (1) هنالك. فلما كان من الغد تلقانا حاكم (2) المدينـــة وهـــو من الشرفاء الفضلاء يشهر بأبي الحسن . فنظر الى ثيابي وقد لوثها المطر فأمر بغسلها فى داره . وكان الاحرام منها خلقا . فبعث مكانه احراما بعلبكيا (3) وصر فى

---

(1) ان كلمة دور تشير تماما الى مجموعة من خيام العرب البداة . وهذه الكلمة موجودة بهذا المعنى لدى معظم الرحالين الذين طوفوا فى شمال افريقيا فى مختلف الحقب .

(2) راجع حول استعمال كلمة حاكم فى المدن المغربية ، لمبريير Lempriere فى كتابه (رحلـــة الى مراكش ، ص 256) . وراجع ايضا كرابر دي همسو فى كتابـــه (مرآة جغرافيـــة واحصائيـــة للامبراطورية المراكشية ، ص 211) اذ يكتب الكلمة هكذا Hhakem . راجع كذلك :
Charant (Letter in answer to divers cutious questions, pag. 51, 52, 53)
وارجع ايضا الى توريس فى كتابه (قصة الشرفاء ، ص 193 ـ 259) .

(3) معنى ذلك : من القطن البعلبكي الابيض . راجع التعليقات فى مادة بغلطاق .

احد طرفيه دينارين من الذهب ، فكان ذلك اول مـــا فتح (1) به علي فى وجهتي » (2) .

وبوسعنا ايضا مراجعة : النص التالي لرحالتنـا الوارد فى (ص 40) .

الحـــــزة

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ونحن نعلم ان حزة تدل فى اللغة العربيـــة على الباكية (3) حيث مجرى التكة . ومعنى ذلك الحزام الذي يستعمل لربط التبان . وقد اكتسبت كلمة حزة فى مالطة من جمعها حزز مفهوما اشد اتساعا ، اذ انهـا فى ايامنا هذه تشير الى التبان مع التكة او الحزام . راجع فاسيلي فى كتابه (مج 262 قويميس مالطي) .

الحـــــزام

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس ، بالمعنـــى المـــراد .

وتشير كلمة حزام فى مصر الى الزنار الـــذي يشده الرجال فوق القفطان ، والذي تشده النساء فوق اليلك او فوق الانطاري . يقول الكونت دي شابرول فى كتابه (وصف مصر ، ج 18 ، ص 108) واصفـا زي الرجال : « الحزام مصنوع من الموصلي ومن الصوف او من الحرير ، وهو يشد فوق القفطان » . ويقول بعد ذلك (ص 113) وهو يصف زي النساء : « الحـزام يكون فى الصيف من الحرير او من الموصلي ، ويكون فى الشتاء من شال الصوف الكشميري . وهو حين يربع يتدلى الى الوراء على هيئة مثلث » . ولم تدخل هذه الكلمة حديثا الى اللغة العربية . فانني اقرأ لدى ابن بطوطة (الرحلة ، مح دي كايانكوس ، ص 113): « اخذت بالحزام وشددت وسطي » . وفى موضـــع آخر (146) يقول المؤلف نفسه فى مقالته المهمـة ، وهو يفيض فى اتحافنا بأعجب التفصيلات عن بلغـــار الفولغا : « وياتي الباروجي وهو مقطع اللحم وعليـــه ثياب حرير قد ربط عليها فوطة حرير وفى حزامه جملة سكاكين فى اغمادها » . ونجد فى كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 1 ، ص 904) : « البسه قميصـــا وثوبا من ثيابه وعمامة لطيفة وحزاما رفيعا » . ولما لم يكن لعرب مصر ــ حسب علمي ــ كلمة اخرى للاشارة الى الحزام المعمول من القماش ، الذى يشـد علـى القفطان ، فلا يريبني اى شيء مطلقا فى ان العبارات

---

(1) الترجمة الحرفية : « الفتوح الاولى التي تلقيتها » . وحسب رأي مؤلف كتاب (التعريفات) ان كلمـة فتوح تعني : «احراز شيء من جانبلا يتوقع احراز شيء منه . راجع تعليق سيلفستر دى ساسي فى كتابه (تعليقات ومقتبسات ، ج 7 ، ص 336) .والكلمة تشبه كلمة الصدقة لدينا (Aumône) لان ابن بطوطة يقول فى مكان آخر (مخ ، ص 140) وهو يتحدث عن الفقراء : « وعيشهم من الفتوح » . كما يقول كذلك (ص 77) : « يعيشون من فتوحات الناس . وان جملة فتح به عليه الموجودة فى نصنا تصادف كذلك فى عبارة اخرى لابن بطوطة (مخ . ص 227) . فنحن نقرأ فيه : كان ياخذ منهم مقدار ما يعطي الفقراء . ويقول لمن اخذ ذلك منـــه : اقعد حتى تاخذ اول ما يفتح به علي فى ذلك اليوم . (كان يتلقى الهدايا الصغيرة من صغار الخبازين والفاكهانيين) .

(2) ان كلمة وجهة تعني رحلة ، سفرة . فنحن نقر فى موضع آخر لدى ابن بطوطة (مخ . ص 100) : « وفى هذه الوجهة توفيق » . وبعد ذلك (ص 138) نقرأ : « وسافر ايضا معه فى هذه الوجهـــة امامه» . ودونكم هذا البيت ، الوارد فى احدى مخطوطات كتاب ابن خاقان (قلائد العقيان ، مخ 35 ، ص 15) شاهدا على ذلك وهـــو لابن اللبانـــة (البسيـــط) :

وان تكن وجهتي من فوق مذهبـــه فليس تضرب فى وجهـــي الملمـــات

ونجد فى كتاب مطمح الانفس لابن خاقان (مخ سان بطرسبورك ، ص 84) : « نشأت له ريح صرفته عن وجهته » . وفى الاحاطة لابن الخطيب (مخ دي كايانكوس ، ص 54) : « ولما انصرف من وجهتـه اعادهما معه قافلا الى مراكش » . وفى رسائل نفس الكاتب (مخ 11 ، ص 6) : « استفهم عن سبب وجهته » . وفى رحلة خالد بن عيسى البلوي (مخ غوتا ، ر 1154 ، رقة 2 (الوجه) نقرأ : الرحلة الحجازية ، وذكر معاهد الوجهة المشرقية .

(3) راجع سعد الخادم ، الازياء الشعبية ، المكتبة الثقافية ، ص 20 و 22 . ويسمى مدار التكة كذلـــك حجزة السراويل . المخصص لابن سيدة ، ج 4 ،ص 81 ، المطبعة الكبرى الاميرية ، 1317 هـ (المترجم)

التالية تشير الى الحزام . فنحن نقرأ في قصة بوكوك (وصف الشرق ، ج 1 ، ص 327) وفوق كل الثياب (يعني الصديري والبلك والخفطان (القفطان) عدا الثوبين الفوقانيين (البنيش والفرجية والكسرك) يلبسون حزاما من الحرير او من المنقاش . (الزملوط (Camelot) او من الصوف الذي يوضع فيه سكين بغمده » . اما لدى نيبور (رحلة الى الجزيرة العربية ، ج 1 ، ص 152) فنقرأ : « وفوق الانطاري يرتدون قفطانا . وفوق هذا القفطان يشدون اوساطهم بحزام كبير ، يطوي فيه ذلذل من القفطان لاستطاعة المشي بحرية تامة ، ولاجل ان يظهر الانطاري ويبين الشكشير » . الجقشير ؟ Schakschîr

ويقول لين ايضا في كتابه (المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص 41) ان الزنار الذي يشده القوم فوق القفطان ، الذي هو (شال ملون ، او قطعة طويلة من الشاش الموصلي الابيض وفيه تصاوير وتهاويل) يحمل اسم حزام . وفي موضع آخر (ج 1 ، ص 58) يصف هذا المؤلف حزام السيدات بهذه الكلمات : « انه شال مربع ، او طرحة مطرزة مبطنة بقطع منحرفة ، وهو يوضع كيفما اتفق وسط الانسان ، اما نهايتاه ، فمطويتان احداهما على الاخرى وتتهدلان الى الوراء ».

وكلمة حزام مستعملة ايضا في المغرب . ويترجم دونباي في كتابه (النحو المغربي العربي ص 83) كلمة حزام (كذا) « Cingulum ex serico vel linteo » ويكتبها كرابر دي همسو (المرآة ، ص 141) هكذا : Hhazàm

ويكتبها هوست (اخبار من مراكش ، ص 115) : Hazem . وهي في نظره : « زنار واسع من الحرير يشده الناس فوق القفطان ، ويصنع في فاس ، ويباع فيها بعشرين ماركا او بمائة مارك » . وبعد ذلك (ص 119) يؤكد الرحالة نفسه أن النساء يشددن حزاما على الحيك Hazem . ولا يساورني اقل ريب في ان العبارات التالية لمارمول تخص الحزام . فنحن نقرأ لدى هذا المؤلف في كتابه (وصف افريقيا ، ج 2 ، ص 87 ، مج 3) : « وبالقرب من هذه الحوانيت توجد حوانيت اخرى حيث تصنع الحزم الحريرية والصوفية التي تستعملها النساء . وهذه الحزم منسوجة على حبال غليظة من القنب ومزودة في نهاياتها بأرمال Houpes طويلة للغاية . وهي تبرم مرتين على الجسم فتتدلى الارمال من الجهة الامامية اى الاقبال . وهي زينة عظيمة للنساء . ويستعملها على الاخص (الاعرابيات ؟) Alaravias . وفي موضع آخر (ج 2 ، ص 103 ، مج 2) : « ان نساء الاعراب ، اولئك اللواتي يعشن في فاس ، وكل نساء البربر ، لهن عادة لبس امثال هذه الاحزمة التي تصنع ، كما سبق ان قلنا في Alcayceria ، ومع ذلك فهن لا يستعملن هذه الاحزمة قط اذا لبسن الثياب المسماة المرلوطات (Marlotas) ، ولكنهن يستعملنها لحزم الحيكات او الاكسية (Les haiks ou kissâs) . وفي مالطة تشير كلمة حزام (Hzym) كذلك الى زنار . راجع فاسيلي (قويميس كالطي ، مج 267) . ومن كلمة حزام تولد الصيغة السابقة انحزم ، التي لا وجود لها في القاموس . فانني اقرأ لدى ابن بطوطة (مخ دي كايانكوس، ص 120) : «وكل واحد منهم منحزم . (1)

المحشا ، المحشاء

لا وجود لجمع هذه الكلمة (المحاشي) في القاموس، طبقا لراي الجوهري (ج 1 ، مخ 85 ، ص 6).

ويقول اللغوي نفسه : « تشبير هذه الكلمة استنادا الى راي ابي زيد الى كساء غليظ » . ونقرأ في القاموس (ط كلكتا ، ص 13) : « والمحشا كمنبر ومحراب كساء غليظ او ابيض صغير يتزر به او ازار يشتمل به » .

راجع بهذا المعنى للازار المادة التالية .

الحشية ، الحشى ، المحشاة

تشير الكلمتان الاولى والثانية الى ما يدعى بالفرنسية Une tournure عظامة ، وكذلك الى ما تضعه المراة على ثديها لتظهيره اضخم . فنحن نقرأ في القاموس (ط كلكتا، ص 1863) : «مصدغة تعظم بها المراة ثديها او عجيزتها كالمحشى » . ونطالع في الجوهري (ج 2 ، مخ 85 ، ص 423) : « الحشية واحدة الحشايا . والمحشى العظامة تعظم بها المراة الرسحاء عجيزتها » . قال الشاعر :

جما غنيات عن المحاشي

ولكننا نقرأ كذلك لدى اللغوي نفسه : قال الاصمعي . « المحاشي اكسية خشنة واحدها محشاة».

---

(1) ربما كان الاصح : متحزم

وعلى ذلك فيبدو ان كلمة محشاة كانت تدل على لباس غليظ . والواقع انه بمكننا أن نستخلص من عبارة للمقري (نفح الطيب ، مخ غوتا ، ص 373) ان الثوب المسمى محشاة والجمع محاشي ، كان يلبس فى الاندلس من قبل عامة الشعب (المحاشي ثياب العامة) .

الحقب ، الحقاب

هاتان الكلمتان مفسرتان فى القاموس (ط كلكتا، ص 29) على هذه الشاكلة : « شيئى تعلق به المراة الحلى وتشده فى وسطه » . وقد راينا آنفا (ص 71 ، مادة البربم) ان شارح جرير يفسر كلمة البربم بكلمة الحقاب .

الحقو ، الحقو ، الحقاء

يرى بركهارت Burckhardt فى كتابه (ملاحظات حول البدو، ص28 (Notes on the Bedouins) ان كلمة حقو تشير لدى العنزيين Anazis الى نفس ما تشير اليه كلمة بريم لدى اهل الشمال . راجع كلمة بريم . ويرى القاموس (ط كلكتا،ص 1865) والتبريزي (شرح الحماسة ، ص 793) ان كلمة حفو او حقو تشيران كذلك الى الازار ، ومعنى ذلك الاشارة الى نوع من التبان تستر به العورة .

الحلية

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ويرى لين (المصريون المحدثون ، ج 1 ص 29) ان القوم يسمون نوعا من القماش الصوفي الاسمر الداكن حلية ، وهو الذي تستعمله النساء فى الأصقاع الجنوبية من مصر العليا ، لا سيما ما وراء اخميم . فهن يسترن به اجسادهن ويشددن اطرافه العليا بعضها فوق بعض ، على كل كتف . انظر هيئة هذا اللباس فى كتاب لين ، ج 1 ، ص 68 .

الحور

يقول القاموس (ط كلكتا ، ص 503) : الحور ما تحت الكور من العمامة . فهل الحور طاقية ام طربوش؟

الحوف

ليس بوسعي اضافة اى شيء الى التفاصيل التي اوردها فريتاك Freytag حول هذه الكلمة . والجوهري (ج 2 ، مخ 85 ، ص 69) يقول : الرهط وهو جلد يشق كهيئة الازار تلبسه الحائض والصبيان.

أما بقية التفصيلات التي نقراها فى المعجم فهي مستعارة من القاموس .

الحياصة وجمعها الحوائص

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس ، بوصفها تشير الى حزام . وكاترمير فى تاريخ السلاطين المماليك ، ج 1 ، ق 1 ، ص 31) هو الذي استنبط هذا المعنى من الكلمة ، وذلك بايراده طائفة من العبارات لمؤلفين عرب ما استطاع الى ذلك سبيلا . ومن العبث ذكر امثلة اخرى من هذا النوع للبرهنة على الامر نفسه ، ولكن كاترمير لم يتحتم عليه ان يؤلف كتابا خاصا موضوعه اسماء الملابس لدى العرب. اذن لن يضيره ولن يسوءه ، وانا واثق من ذلك كل الوثوق ، اذا اضفت هنا بعض التفصيلات الى تعليقاته القيمة . وما دام المقريزي يقول إن الحياصة هي ما كان يسمى قديما بالمنطقة ، فانني سأجعلكم تلاحظون ان هذا النوع من الحزام كان دائما من الفضة او من الذهب. ولن تقراوا ابدا عن حياصة او عن منطقة كانت من الجلد او من قماش من الاقمشة . واليكم الان التفصيلات التي هيأها لنا المقريزي فى كتابه (وصف مصر ، ج 2 ، مخ 372 ، ص 352) :

سوق الحوائصيين

« هذا السوق يتصل بسوق الشرابشيين . وتباع فيه الحوائص . وهي التي كانت تعرف بالمنطقة فى القديم . فكانت حوائص الاجناد اولا اربعمائة درهم فضة ونحوها . ثم عمل المنصور قلاوون حوائص الامراء الكبار ثلثمائة دينار والامراء الطبلخانه (1) مائتى دينار ومقدمي الحلقة من مائة وسبعين الى مائة وخمسين دينارا . ثم صار الامراء والخاصكية (2) فى الايام الناصرية وما بعدها يتخذون الحياصة من الذهب

(1) راجع كاترمير ، تاريخ السلاطين المماليك ، ج 1 ،ق 1 ، ص 173 .
(2) راجع كاترمير ، تاريخ السلاطين المماليك ، ج 1 ،ق 2 ، ص 158 – 159 .

ومنها ما هو مرصع بالجوهر . ويفرق السلطان فى كل سنة على المماليك من حوائص الذهب والفضة شيئا كثيرا . وما زال الامر على ذلك الى ان ولى الناصر فرج . فلما كان فى ايام الملك المؤيد شيخ قل ذلك . ووجد فى تركة الوزير الصاحب علم الدين عبد الله بن زينور لما قبض عليه ستة آلاف كلوتة جهاركس (1). وما برح تجار هذا السوق من بياض (2) العامة . وقد قل تجار هذا السوق فى زمننا وصارت اكثر حوانيته يباع فيها الطواقي التي تلبسها الصبيان وصارت الان من ملابس الاجناد » .

ويتحتم على كذلك ان الاحظ ان الحياصة كانت تستعمل ايضا لدى النساء . فنحن نقرأ فى كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 1 ، ص 732) : وفى وسطها حياصة مرصعة بأنواع الجواهر . ونقرأ فى موضع آخر (ط مكناكتن ج 2 ، ص 102) : فسحبت خنجرا من حياصتها .

الحيك او الحائك

لا وجود لهاتين الكلمتين فى القاموس . ومع ذلك فانني اعتقد انهما من اصل عربي وانهما مشتقتان من الفعل حاك Tisser . تيسيه .

يقول مارمول فى كتابه (وصف افريقيا ، ج 2 ، ص 4 ، مج 2) فى معرض حديثه عن بربر ولاية حاحة Héha اشد ولايات مملكة مراكش غربية : «ان النساء يرتدين نوعا من الازار (Unos alquiceles) وهذا الرداء اسمه (Hayque) quellaman hayques وهو مصنوع على هيئة ملاحف (Almalafas) غرناطة ، ولكنه محروم من نعومتها » . ويقول المرجع السابق نفسه بعد ذلك ؛ وهو يصف السرر والمنامات (Camas) : « بدلا من شراشف السرر (Savanas) يفرشون احد هذه الازار التي يسمونها كما قلت (حيك Hayques» وفى موضع آخر (ج 2 ، ص 83 ، مج 2) يقول واصفا مكناس : « والنساء يتجولن ملفوفات لفا تاما ببعض الازار البيض (Con unos alquiceles) . الفضفاضة بافراط المصنوعة من الصوف والمسماة Hayques ، بحيث لا يستطيع احد رؤية وجه احدى النساء » . واخيرا (ج 2 ، ص 102 ، مج 3) نجده يتحدث عن سواد الناس فى فاس فيقول : « اما اولئك اللواتي لسن من الغنى بحيث يستطعن شراء الثياب (Sayos) فانهن يرتدين الازر يلتففن بها : (De aquellos alquiceles rebueltos al cuerpo) .

ويقول دييكو دي هيدو (خطط مدينة الجزائر ، مج 2 ، ص 28) عن نساء مدينة الجزائر انهن يرتدين ازرا بيضا لدى خروجهن من منازلهن (Unos mantos blancos) وهذه الازر مفرطة الفضفضة ، وهي مصنوعة من الصوف الناعم او منسوجة من الصوف والحرير ، وهن يبذلن ما فى اطواقهن لجعلها غاية فى البياض بفضل بذل الصابون بسخاء ، كما يعطرنها بالكبريت وباشياء اخرى . وهن يسمينها Alhuyque الحيك . وهذه الازر هي كالملاحف التي سبق لنا ان تحدثنا عنها ، او هي شبه قطعة من الجوخ المربع طولها نحو ثلاثين شبرا وعرضها اربعة عشر او خمسة عشر شبرا . والنساء يلتففن بهذه الازر ويعلقن احد اطرافها على الصدر بمعونة بعض الابازيم او الدبابيس الكبيرة المعمولة من الفضة المذهبة ، وهن يطرحن جماع الازار على الاكتاف والراس ، اما الجانب الآخر ، وهو الطرف التحتاني فانهن يسترن به الذراع اليمنى . وعلى هذه الطريقة يختفين اختفاء تاما بحيث لا يبقى لهن الا المجال الضروري لاستطاعة مواصلة السير . وهكذا فان هذه الازر تشبه بعض الشبه Une bourguignotte وهو القناع الكامل الذي كان مستعملا فى نهاية القرن الخامس عشر وفى نهاية القرن السابع عشر ، حين كان يرتديه رجال السلاح . وعلى هذه الصورة يدرجن فى الدروب مختبئات فى ازرهن اختباء تاما بحيث ان ازواجهن انفسهم لا يستطيعون تشخيصهن ، اللهم الا من اسلوب مشيتهن او عن طريق صواحبهن او مرافقتهن » .

ونجد بعد ذلك دييكو دي هيدو (ص 28 ، مج 3) يقول عن الامساء : « انهن يرتدين نفس الازر (Los mismos mantos) التي ترتديها سيداتهن ، ولكن ازرهن ليست على درجة جمال ازر مالكات رقهن » . ويتحفنا دابر كذلك فى كتابه (وصف حقيقي دقيق لاقاليم افريقيا ، مج 2 ، ص 239) بتفاصيل

---

(1) الكلوتات الجركسية ذكرها المقريزي ، واوردها كاترمير فى كتابه (تاريخ السلاطين المماليك ، ص 138 ، ق 1 ، ج 1 .

(2) هذا المعنى لكلمة بياض لا وجود له فى القاموس . وستجدون مثالا آخر فى تعليقة على مادة قباء .

قيمة عن الحيك Le hayk ، خلال وصفه لازياء سفراء ملك مراكش وفاس ، الذين جاؤوا الى استردام عام 1659 . واليكم ما يقوله : « كان ابراهيم ماينو يلف حول جسمه ثوبا ابيض محوكا من الصوف المرسل ، المملوء بندف القطن من الجانبين ، ويبلغ طول هذا الثوب خمس او ست اذرع ، اما عرضه فذراع ونصف ذراع ، وهذا هو اللباس الاعتيادي للرجل والمراة في هذا البلد ، ولكنه يرتدي اكثر ما يرتدي لدى خروج صاحبه من منزله . واهل مراكش يحسنون تفصيله وتكفين الجسم به بهيئات مختلفة ، وهم يسمونه باللغة العربية الحيك ، كما يسمونه كساء Kissa . وتتدلى من الاسفل خيوط مبرومة على الاكثر او قياطين مغزولة بالمغزل ، يدعونها مرسلة فيه اثناء الحياكة ، وتدعى لديهم (هدو Hudou) ، ويقول دابر بعد ذلك (ص 241، مج 1) ان احد خدم السفراء كان يرتدي حيكا فضفاضا مصنوعا من قماش أسود غليظ » . ويكتب جارنت في كتابه (رسالة جوابا على مختلف الاسئلة الغريبة ، ص 40 و 41) عن الحيك Alhaique فيفسر هذه الكلمة بانها : « ازار من الصوف الابيض ، يبلغ طوله اربع او خمس اذرع وعرضه يصل الى ذراع ونصف الذراع . ويكتب رولان فريجوس عن الحيك Haicque في كتابه (رحلة الى موريتانيا ، ص 44) ويفسر هذه الكلمة بانها ازار. ويتحدث كذلك سان اولور في كتابه (الحالة الراهنة للامبراطورية المراكشية ، ص 90 ، 92 ، 94) عن هذا الازار الذي يسميه Hayick . . ويكتب موت كلمة حيك هكذا : Haique في كتابه (قصة غزوات مولاي ارشي ، ص 381 ، 384) . وفي الكتاب المعنون (مهمة تاريخية في مراكش ، ص 519 ، مج 2) يتحدث مؤلفه عن كلمة Xayque . ويكتب وندس الكلمة هكذا : Alhague في كتابه (رحلة الى مكناس ، ص 28 ، 30 ، 57) . ويتحدث شو ايضا في كتابه (رحلات الى بلاد البربر والشرق ، ج 1 ، ص 319) عن هذا اللباس . ويكتبه Hyke . ويقول ان طول هذا الثوب في العادة ثماني عشرة قدما وعرضه خمس اقدام . ويضيف الى ذلك ان العربي يرتديه اثناء النهار ويستعمله كغطاء سواد ليلته . ولكن دونكم الوصف الدقيق لهذا اللباس الذي هيأه لنا هوست في كتابه (اخبار من مراكش ، ص 115 ، 116) : « يلبس الرجل في مراكش وفاس حيكا Haik فوق القفطان، وهو يحتوي على قطعة من القماش الصوفي الابيض ، يبلغ طوله عادة تسع اذرع ويصل عرضه الى ثلاث اذرع . والجميع يلتفون بهذا الازار ابتداء بالملك وانتهاء بأهون مراكشي ، وهذا الارتداء يكون على انماط مختلفة : ومع ذلك فان اشيع هذه الانماط هو وضع الحيك على الراس وطرح نهايته على الكتف اليسري ، كما يوسعنا ان نراه في اللوحة الثانية عشرة ، الصورة الاولى .

اما لدى المثول بين يدى الملك فيجب نزعه عن الراس ، ويجب وضع عقدة فيه تدعى Achât Errua اخط الروة (1) .

وهذا اللباس عميم الفائدة على الفقراء بوجه الخصوص . فبصرف النظر عن امكانهم الاستغناء عن الملابس الاخرى فانهم يستعملونه بدلا من دثار السرير او شرشفه لينامو فوقه ، علاوة على انهم يستعملونه استعمال الكيس ، حين يكون لديهم ما يحملونه . كذلك يمكن استعماله كمنديل يتمخطون فيه وينشفون به الانوف ، واخيرا يمكن استعماله ثوبا للصيد يستطيعون الصيد فيه لتزجية الوقت ، خلال ساعات ، دون ان يضايقهم شيء . ولكنه يضايقهم اثناء العمل ، لانه يربك اليدين في كل لحظة ويسقط بصورة مشوشة . فترتب على ذلك انهم يخلعونه عادة اثناء هذه الحالات ليسلم من الاتساخ » . ويقول نفس الرحالة في موضوع آخر (ص 119) : « والنساء ايضا يرتدين الحيك ، ولكن بشكل آخر مختلف عن شكل الرجال . فهن يشددنها الى الصدر بابازيم من الفضة يسمينها (بسيم) ويختفية Chetfia وبينهما سلسلة . ومعظم النساء يرتدين هذا الحيك فوق الجسم العاري . اما الفتحات فمن الجوانب ، واذا ارادت امراة ارضاع طفلها فانها

(1) . اعتقد وجوب كتابة عقد الرواء ، لان كلمة رواء تبدو لي انها تشير الى عقدة . راجع (الكالا) حول : Lazo de çapatos

تخرج حلمة ثديها من هذه الفتحة ، وهذا الوضع ملائم كل الملاءمة للطفل الذي تحمله امه على ظهرها ، وعلاوة على ذلك فان النساء هنا ذوات حلمات كبيرة للغاية ، ما دمن يافعات » .

ويخبرنا المؤلف نفسه بأن بعض النساء يرتدين:

1 ـ القميص ؛ 2 ـ القفطان ، 3 ـ المنسرية ،

4 ـ الحيك مع الحزام (1) .

وكلمة حيك او حائك ذكرها الرحالة لمبريير فى كتابه (رحلة الى مراكش ، ص 39 ، 293 ، 295 ، 386) الذي كتب كلمة حيك هكذا Haick . كما ذكرها علي بيك فى كتابه (الرحلات ، ج 1 ، ص 16 ، 29 ، 73 ، 80) الذي كتب الكلمة هكذا Hhaik وهناك عدة رحالين زاروا المغرب فى ايامنا هذه امثال ريلي (بوار تجارة السفن الشراعية الامريكية ، ص 407 ، 492) ، وجاكسون (تقرير عن مراكش ، ص 138)، وكابردى همسو (مرآة جغرافية وإحصائية للامبراطورية المراكشية ، ص 81) والعقيد سكوت (يوميات اقامة فى مخيم عبد القادر الجزائري ، ص 5) والليدي كروفنر رحلة بحرية فى البحر الابيض المتوسط خلال عام 1840) فتحدثوا عن هذا اللباس وكتبوه على هذه الصورة Haick, hayk, hhaik, haik » .

الخرقة

تشير هذه الكلمة الى الثوب ـ او الى الرداء الغليظ ـ الذى يلبسه الفقراء ـ ولاسيما المتصوفة منهم فى الشرق . ويقول المقري (تاريخ الاندلس ـ مخ غوتا ـ ص 201) عن احد المتصوفة انه كان : « بركة لابسي الخرقة ». وفى مخطوطة تتملكها مكتبة ليدن وتحتوي على عدة كنانيش خاصة بالمتصوفة (مخ فارسية ، 1038 ، ص 22) نجد : در كريبان خرقه نوشته بود يا عزيز يا ستار يا لطيف يا حليم در مهان خرقه نوشته بود يا صبور يا شكور يا كريم

---

(1) هذه الكلمة لا تكتب هكذا (بسيم) ولكن (ابزيم) والجمع بزائم ، وهي تشير بكل تأكيد الى كلمة اكراف الفرنسية . وقد راينا آنفا ان دييكو دى‌هيدو يتحدث عن (Hevillas) agrafes التي بواسطتها تعلق النساء الحيك ، وعلى ذلك فان بيدرو دي الكالا يترجم فى كتابه (مفردات عربية) كلمة Hevilla الى كلمة ابزيم . ويترجم دونباى فى كتابه (النحو المغربي العربي ص 82) كلمة Fibulae الى كلمة بزائم ، وتشير قواميسنا الى ان كلمة ابزيم تدل على كلمة Agrafe مع حاملها .

وانني اعتقد بوجوب كتابة هذه الكلمة (ختفية) خطفية ، بالطاء ، وليس بالتاء . وسأجعلكم تلاحظون ان حتف لا وجود له قط فى اللغة العربية ، وان خطف على العكس من ذلك معروف وشائع ، وان الاشتقاق بجانب افتراضي او زعمي . والحقيقة ان فعل خطف يعني Abriouit ، وان كلمة خطاف هي سنان حديدي معقوف فى نهايته صنارة ، ابزيم . وهناك كلمة عربية اخرى مشتقة من نفس هذا الاصل ، وهي ، مثل خطفية ، لا وجود لها فى القاموس . وأود ان اتحدث عن كلمة مخطاف .

يرى بيدرو (مفردات اسبانية عربية) ان كلمة مخطاف تقابل : (Anzuelo (garavato) garavato وتقابل كلمة مخطاف قطعة حديدية معقوفة لها صنارة صغيرة ، او هي الصنارة ذاتها . والواقع ان ابن بطوطة (الرحالة ، مخ دى كايانكوس ، ص 234) يخبرنا ان عبيد تجار الهند يحملون ما هو (عود غليظ له زج حديد وفى اعلاه مخطاف حديد فاذا اعيا ولم يجد دكانة يستريح عليها ركز عوده بالأرض وعلق حمله منه .

وكلمة مخطاف تعني كذلك عصا مسلحة من احدى نهايتيها بقطعة من الحديد المدبب المعقوف وتعني مرساة . راجع الكالا فى كلمة : Cayado de pastor عصا الراعي .

راجع كذلك دونباي فى كتابه (النحو المغربي العربي ، ص 103) .

يا عليم در دامن خرقه يا احد يا صمد يا فرد (1) .

لن اترجم النص لانه فى غاية الصعوبة ايجاد كلمات فرنسية مقابلة تماما لمختلف الصفات الالهية التى وردت فى هذا الكلام. ولكنني ساقتصر على ملاحظة انني يخيل الي وجوب ترجمة كلمة مهان بكلمتي (الثياب الدخيلة) . وستجدون لدى كلمة دلق معلومات وتعليمات اوسع عن ثوب المتاملين الشرقيين .

ويبدو ان كلمة خرقة تدل ايضا على : « نوع من رداء يستعمله البدو . لانني اقرا لدى ابن جبير (الرحلة ، مخ 320، ص 72 . 73) : فمن العجب امر هؤلاء المائرين انهم لا يبيعون من جميع ما ذكرناه بدينار ولا بدرهم انما يبيعونه بالخرق والعباءات والشمل . فأهل مكة يعدون لهم من ذلك مع الاقنعة والملاحف المتان وما اشبه ذلك مما يلبسه الاعراب ويبايعونهم به ويشارونهم » .

الخفاف

كانت الخفاف مستعملة فى عهد النبي محمد (ص) اذ يخبرنا النووي (تهذيب الاسماء ، ص 33) ان الرسول كان هو نفسه يلبس الخفاف . ونقرا فى صحيح البخاري (ج 2 ، مخ 356 ، ص 167) ان محمدا حرم على المسلمين ليس الخفاف اثناء الحج الا لمن لم يجد نعلين ، فقد سمح له بلبس خفين مع وجوب قطعهما اسفل من الكعبين (ولا الخفاف الا احد لا يجد النعلين فليلبس خفين وليقطعهما اسفل من الكعبين) .

وكانت الخفاف تلبس قديما فى مصر ، من قبل الرجال والنساء على حد سواء . فنحن نقرا لدى السيوطي (حسن المحاضرة ، مخ 113 ، ص 337) ان الخليفة الحاكم بامر الله (منع الخفافين من عمل الاخفاف لهن (النساء) . والواقعة نفسها يحدثنا عنها النويري (تاريخ مصر ، مخ 2 ، ص 104) : منع الاساكفة من عمل الخفاف لهن وشدد فى ذلك. ونرى فى نص آخر لهذا المؤلف الاخير (تاريخ مصر ، مخ 2 ، ص 16) ان الخفاف كانت تلبس من قبل الرجال فى النصف الاول من القرن السابع الهجري ، ويخبرنا نص لابن اياس (تاريخ مصر ، مخ 2 ، مخ 367 ، ص 17) ان الرجال ايضا كانوا يستعملون الخفاف فى القرن الثامن الهجري . واستنادا الى قول المقريزي (وصف مصر ، ج 2 ، مخ 372 ، ص 350) فان الامراء والجنود والسلطان نفسه كانوا يلبسون اثناء حكم السلالة التركية (الجركسية) خفافا من الجلد البلغاري الاسود (2).

---

1) ان كلمة خرقة وجمعها خرق تعني كذلك : قطعة قماش . فانني اقرا لدى النويري (تاريخ مصر ، مخ 2 ، ص 204) « اعطاه ـ خرق كتان فرنجي مائتي ذراع . وفى كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 1 ، ص 209) : « عمد الى الخرقة وعمل منها كيسا » . وفى الاحاطة باخبار غرناطة لابن الخطيب (مخ كايانكوس ـ ص 51) : « انه لم يجتمع عند احد من نظرائه ما اجتمع عنده من عين وورق ودفاتر وخرق وآنية ومتاع واثاث وكراع . وتعني كلمة خرقة نفس المعنى فى مالطة كما تعني علاوة على ذلك سروالا للصغار . راجع فاسيلي فى كتابه (قويميس مالطي ـ مج 279). ويسمى بائع الخرق بالخرقى . راجع المقريزي (وصف مصر ، ج 2 ، مخ 372 ، ص 354 ـ357). ويبدو ان ريسكه قد علق على هامش كتابه كوليوس بأن هذه الكلمة تدل على محفظة نقود . والحقيقة انني وجدت الكلمة مستعملة بهذا المعنى من قبل ابن بطوطة (مخدى كايانكوس ، ص 191) : « ومن عوائدهم فى يوم العيد ان كل من بيده قرية منعم بها عليه ان يأتي بدنانير ذهب مصرورة فى خرقة مكتوب عليها اسمه فيلقيها فى طست ذهب هنالك » .
وقد ذكر بيدرو دي الكالا فى كتابه (مفردات اسبانية عربية) صيغة اخرى من نفس الاصل تشير كذلك الى محفظة نقود الا وهي كلمة مخرقة .

(2) ان الجلد البلغاري كان ذائع الصيت . ويوسعكم مراجعة العلامة فريهن فى كتابه (اقدم تاريخ عربي عن بلغار الفولغا ، ص 8) حول هذا الموضوع. وماتزال الخفاف حتى ايامنا هذه مستعملة فى عدة اقطار من آسيا خصوصا فى بلاد الفرس ـ حيث حرفوا الكلمة فاصبحت Bhulkhal كما يخبرنا فريزر فى كتابه (رحلة انى خراسان ـ ص 69) . فهذا الرحالة الالمعي قد اصاب كل الاصابة فى ان اصل الكلمة الاصلية هي بلغار Bulghar .

وكانت الخفاف تلبس ايضا من قبل الرجال بعد فتح الاتراك لمصر ، ويؤيد ما ذهبنا اليه النص التالي من كتاب الف ليلة وليلة . فنحن نقرأ في هذا السفر (ط هابيخت ، ج 3 ، ص 248) ان الاميرة بدورا ، اخذت ملابس زوجها « فلبست الخف والمهماز » . وحتى في ايام الحملة الفرنسية على مصر كانت الخفاف تلبس من قبل الرجال والنساء على قدم المساواة ، لاننا نقرأ في كتاب وصف مصر (ج 18 ، ص 109) : « كان الناس يلبسون الخفاف اذا ارادوا ركوب الخيل او اذا شاءوا الطواف بالمدينة لشراء ما يحتاجون اليه او لشؤون اخرى ، وهذه الخفاف هي نوع من النعال ، وتصنع من الجلد المراكشي الاحمر او الاصفر ، ويستعملها الرجال كما تستعملها النساء » . ولم تعد الخفاف تلبس في مصر في ايامنا هذه من قبل الرجال ، اما النساء فما زلن يلبسنها كما نرى شاهد ذلك في كتاب (المصريون المحدثون) تأليف لين . وسنذكر بعض التفصيلات عن هذه الخفاف النسائية . يروي المقريزي (وصف مصر ، ج 2 ، مخ 372 ، ص 359) عن وجود سوق في مصر للاخفاف (سوق الاخفافيين يباع فيه الاخفاف للنسوان ونعالهن) . وفي عهد كتاب الف ليلة وليلة ، اي بعد غزو الاتراك لمصر ، يبدو أن خفاف سيدات القصور وخفاف الجواري والاماء العائدات لسادة اغنياء مترفين كانت في غاية الروعة والبهاء . ونحن نقرأ في الكتاب الذي فرغت الآن من ذكر اسمه (ط منتكازا ، ج 2 ص 56) : وقفت عليه امراة بخف مزركش بحاشية قصب وشريط لاعب (1)

ونجد في موضع آخر (مكناكتن ، ج 1 ، ص 425) ان رجلا اشترى لجاريته الراحلة في سفرة (خفا مزركشا بالذهب الاحمر مرصعا بالدر والجوهر) . (وينبغي ان نلاحظ أن كلمة خف تعني فردتين في هذه النصوص) . ويبدو ان الصرف على هذا الجزء من الهندام قد اخذ بالتناقص فيما بعد . فنحن نقرأ في قصة غليوم ليتعرف (رحلات برية في القرن التاسع عشر، مج 1، ص 171) : « ان النساء في القاهرة يلبسن الانعلة الجلد كما يلبسها الرجال » . ونطالع في قصة منتكازا (رحلة الى اورشليم والشرق ، ص 90) ان النساء يلبسن انعلة من مختلف الالوان تصل الى منتصف سيقانهن او الى اعلى من ذلك » . ويقرر لين في كتابه (المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص 63) ان الخفاف هي انعلة او احذية مصنوعة من الجلد المراكشي الاصفر » . ولم تعد سيدات مصر في ايامنا هذه ترتدي الخفاف الا اذا اردن الخروج من بيوتهن . ولكن هل كن يلبسنها في العهود الغابرة في منازلهن ؟ هذا ما يحملني على الاعتقاد به نص من نصوص الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 3 ، ص 141) .

ويخيل الي ان داندیني (رحلة من جبل لبنان ، ص 48) في معرض حديثه عن طرابلس الشرق ينظر الى الخفاف ، حين يقول : « ان النساء هنا اذا اردن ان يمشين مشية مريحة في الدروب اثناء المطر والوحل فانهن يلبسن بواتين من الجلد المراكشي تصل الى ركبهن — وهن يشمرن عن ثيابهن من كل جانب — فيدرجن في كل مكان على رسلهن — دون ان تبتل ملابسهن او تتلطخ بالاوحال والاوضار » . ويذكر دارفيو كذلك في كتابه (مذكرات — ج 5): « البواتين المراكشية الجلد الصفراء التي تلبسها نساء حلب . ولدى بدو سورية تلبس الخفاف من قبل الرجال كما تلبسها النساء » . ويخبرنا دارفيو في كتابه (من فلسطين صوب الامير الاعظم ، ص 208) ان الامراء والشيوخ يركبون الخيول وهم منتعلون بواتين صغيرة من الجلد المراكشي الاصفر — بدون جوارب — وهذه الانعلة خفيفة ومخصوفة من الباطن — وهم كذلك يستطيعون المشي بها على الاقدام بل حتى العدو دون ان يستطيع الماء اختراقها» . وبعد ذلك (ص 211) : « ان النساء يدرجن حافيات الاقدام على الابسطة والسجاجيد — حين يكن في منازلهن — وهن يلبسن خفافا متغضنة لدى بروزهن من مساكنهن » . انظر المرجع السابق، ص 3) . ونقرأ في كتاب (رحلة من اليمن السعيدة، ص 83 ، 1716 امستردام) : « ان نساء مخا يلبسن خفافا صغيرة معمولة من الجلد المراكشي » . ويذكر علي بيك (الاسفار ، ص 106 ، ج 2) الخفاف النصفية (Half boots), Demi-bottes الجلدية الصفراء التي تلبسها نساء مكة .

---

(1) راجع بشأن هذا النص الملاحظات الصائبة للعلامة فليشر في كتابه المعنون : (De glossis Habichtianis) — ص 26)
اما عن فعل زركش المستعمل بمعنى زين — فراجع احدى التعليقات الواردة في كتابي هذا .

ويقص علينا اوليفييه فى كتابه (رحلة الى الامبراطورية العثمانية ومصر وفارس ، ج 4 ، ص 382) : « ان نساء بغداد يمشين حافيات الاقدام فى بيوتهن ـ وهن يلبسن الانعلة لدى خروجهن من منازلهن » . ويقول فريزر فى كتابه (رحلات الى كردستان وبلاد ما بين النهرين ، ج 1 ، ص 278) ان نساء بغداد يلبسن جزمات صفراء » .

Des Bottines jaunes

ويقول ابن بطوطة (الرحلة ـ مخ دي كايانكوس ـ ص 83) فى معرض حديثه عن نساء شيراز « وهن يلبسن الخفاف » (1) .

وسأفرغ من هذه المقالة مختتما بحثي هنا كذلك بايراد كلمات نفس الرحالة ـ الذى عبر عن مكنوناته ـ وهو يجتاز جدود الامبراطورية البيزنطية ـ للوصول الى استراخان ـ بهذه العبارة : « وذلك فى اشتداد البرد . وكنت البس ثلاث فروات ـ وفى رجلي خف من صوف وفوقه خف مبطن بثوب كتان وفوقه خف من البرخالى وهو جلد الفرس مبطن بجلد ذئب » . ص 153 . ولا شك ان البرخالي هو الجلد البلغاري .

التخفيفة

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

أن فعل خف فى الصيغة الثانية ، يعني بصورة عامة خلع الملابس الثقيلة ولبس الملابس الخفيفة ، وبصورة خاصة ملابس الليل . فنحن نقرأ فى كتاب الف ليلة وليلة (ط هابيخت ، ج 1 ص 63) : « وهو شاب مليح مخفف اللباس بقبع كشف وقميص بلا سراويل » . ونطالع فى موضع آخر (ج 2 ، ص 116) : « خففي من لباسك كما كنت فى ليلة دخل عليك » . وفى طبعة مكناكتن (ج 1 ، ص 193) ورد فى هذا المكان : « وامر ابنته ان تخفف نفسها كما كانت ليلة الجلاء فى الخلوة (2) . وبعد ذلك نقرأ فى الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 1 ص 225) : « خففوا ما عليها من الملبوس » . ونفس الفعل يعني فى الصيغة الخامسة نزع ثيابه الثقيلة . فنحن نقرأ فى المطمح لابن خاقان (مخ سان بطرسبورك ، ص 67) : « فأمره بخلع ثيابه والتخفف من جسمه » . واشتقت كلمة تخفيفة من فعل خف الذى ، كما نرى بسهولة ، يذكرنا بالصيغة الثانية للفعل . وقد سبق للعلامة كاترمير (ملاحظات ومقتبسات ، ج 8 ص

---

(1) اذا وجدنا لدى اولياريوس (جولة فى موسكوفا وبلاد التاتار وفارس ، ص 817) النص التالي عن الاحذية الفارسية : « ان الاحذية التى تسمى Kefs مدببة الانف للغاية ومنخفضة القاعدة والاعقاب كثيرا ـ بحيث يمكن لبسها ونزعها بسهولة ـ كما نفعل بمداساتنا Nos pantoufles اذا وجدنا هذا النص فينبغي الحذر من حسبان كلمة Kefs هي كلمة خف العربية مع S ـ علامة الجمع لدى الفرنسيين . على ان نتذكر ان هيئة الخفاف بفارس تختلف عن هيئة الخفاف المستعملة عند العرب . وان كلمة Kefs التى ذكرها اولياريوس هي الكلمة الفارسية كفش ـ التى كتبها كامفر فى كتابه (تحف نادرة ، ص 128) كذلك هكذا كفس ـ مع س بدلا من ش .

(2) تعني كلمة خاوة غرفة صغيرة ، مقصورة ، صومعة ، جوسقا فى بستان . وفى القصة الانجليزية التى عنوانها (الفصل الثامن عشر) مغامرات حاجي بابا ، هذه الكلمة ترجمتها Private room . ونقرأ فى رحلة ابن بطوطة (مخ دى كايانكوس ، ص 74) : وبها مدرسة عظيمة حافلة فيها نحو ثلاثمائة خلوة ينزلها الغرباء القادمون لتعلم القرآن » . والحديث عن واسط . وبعد ذلك (مخ ، ص 102) وهو يتحدث عن ناسك . يقول : « وله خلوة متصلة بالمسجد فرشها الرمل لا حصير بها ولا بساط » . وفىموضع آخر (ص 92) وهو يتكلم عن حمامات بغداد : « وفى كل حمام منها خلوات كثيرة ». وفى المطمح لابن خاقان (مخ سان بطرسبورك ، ص 67) : « وحضر عند الحكم المستنصر بالله يوما فى خلوة له فى بستان الزهراء على بركة ماء . ولكن كلمة خلوة تشير بصورة خاصة الى مقصورة العرس . راجع مثالا آخر لهذه الكلمة للمقريزي (لدى دي ساسي ، طرائف عربية ، ج 1 ، ص 365) . والكلمة نفسها تشير كذلك الى عملية الوصال . فنحن نقرأ لدى ابن بطوطة (مخ. ص 227) بأن نساء القبائل الهندية « مشهورات بطيب الخلوة ووفور الحظ من اللذة » . وبعد ذلك (ص 230) : « ولهن من طيب الخلوة والمعرفة بحركات الجماع ما ليس لغيرهن » .

295) ان لفت انظار المستشرقين الى هذه الكلمة ، بايراده عدة امثلة مقتبسة من مؤلفات مؤرخين عرب من مصر . وقد ظن هذا العالم الجليل وجوب اثبات ان كلمة تخفيفة تشير الى ضرب طاقية Bonnet . وهذا الامر لا يبدو لي وكأنه فى غاية الصحة ، بل انني افترض ان كلمة تخفيفة تشير الى عمامة خفيفة، على نقيض العمامة الضخمة الكبيرة الحجم ، التى كان يتعمم بها الفقهاء والتى كانت تسمى عادة عمامة. والواقع انني اكاد اعثر دائما على كلمة تخفيفة مستعملة ضد كلمة عمامة . وقد سلف لنا ان راينا (ص 85) ان قاضيا ارغم على حضور قصف لدى الامير ، قد تجرد من ملابسه التى كانت تليق بمنزلته ، فتعمم بتخفيفة ، بدلا من عمامته الضخمة، بوصفه فقيها (وتعمم بتخفيفة) . ونقرا فى تاريخ مصر لابن اياس (مخ 367 ، ص 37) : « قلع تخفيفته ولبس عمامة وجوخة من فوق ثيابه » . وفى تاريخ مصر للنويري (مخ ، ص 58) : « وقلع شاش التشريف والكلوتة وضرب بهما الارض ولبس تخفيفة » . ونجد فى الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 3 ، ص 162) العبارة التالية : « قالت له اخلع ثيابك وعمامتك والبس هذه الخفيفة » . وانني لا اتردد فى احلال التخفيفة محل الخفيفة ، فاترجم النص على انه : « قالت له اخلع ثيابك وعمامتك والبس هذه التخفيفة » .

الخفتان او القفطان (القفطان)

انني اجهل زمان تبني العرب لهذه الكلمة التي هي من ارومة اجنبية ، واجهل كذلك عصر انتشار هذا اللباس الذي تشير اليه هذه الكلمة لدى ابناء هذا الشعب وبناته . فان محمدا (صلى الله عليه وسلم) لم يستعمل القفطان . ويبدو ان الكلمة نفسها كانت مجهولة فى عهد الرسول . ومع ذلك فنحن واجدون هذه الكلمة لدى المؤلفين القدامى نسبيا ، امثال المسعودي : (لدى كوزكارتن ، طرائف عربية ، ص 108) . وكان خفتان الخليفة المقتدر مصنوعا من الحرير ، ومكفتا بالفضة ، ومن معمولات تستر ، وكان خفتان ابنه محوكا من الحرير (او من الديباج) الرومي ، ومزركشا برسوم ونقوش وصور (المرجع السابق) .

وكان للطراز المستحدث تاثير على هذا اللباس ، كما سنرى . ولنستهل بحثنا بافريقية الشمالية . لقد اعرب دييكو دي هيدو عن الموضوع فى كتابه (خطط مدينة الجزائر ، مج 1 ، 2 ، ص 20) فى معرض حديثه عن اتراك مدينة الجزائر على هذه الصورة : « ويرتدون عادة فوق هذا اليلك Jalaco ؛ رداء (Una ropa) يسمونه القفطان ، وهو مشابه لقمباز الكاهن Soutane لانه مفتوح من الجهة الامامية ، ومزرر بالازرار من ناحية الصدر (1) .

وهذا الرداء له كمان قصيران ، يصلان الى المرفقين ، وقد يتدلى حتى يبلغ منتصف الساقين ، بل قد يهبط اكثر من ذلك . وعلى كل حال فهو يتجاوز الركبة . وهو على الوان شتى : فالاغنياء يتخذونه من الاطلس ، والسيدات يفصلنه من القطيفة والمخمل ، ومن انواع اخرى من الحرير . وهذا الرداء ، شانه شان اليلك Jalaco (الصديري) لا ياقة له ، بحيث ان التركي مكشوف الرقبة على الدوام . ويتحدث دارفيو D'Arvieux كذلك فى كتابه (مذكرات ، ج 5 ص 283) عن قفطان الاتراك فى مدينة الجزائر الذي يلبسونه فوق الصديري ، فيقول : « ويلبسون فوقه سترة من الجوخ تدعى قفطانا . وهذا القفطان يشبه لدينا Un juste-au-corps (2) فله طوله

---

(1) نقرا دائما ، نتيجة خطا مطبعي متصل ، فى كتاب دييكو دى هيدو-كلمة Tafetan وقد تناول التشويه هذه الكلمة اكثر فاكثر من قبل الطباعين فى هذا الكتاب الممتع : (يوميات رحلات دي مونكوني ، 1647 ـ 1648) حيث نجد فى (ج 1 ، ص 279 ، 282) كلمة Cafferan دائما . ففي هذا الموضع يتحدث دى مونكوني عن موكب الـ Casena . ولا بد ان هذه الكلمة ليست سوى الخزانة Le Hazna التي ذكرها تيفنو فى كتابه (قصة رحلة الى المشرق ، ص 277) . او هي خزينة المولى الاعظم المرسلة الى القسطنطينية من قبل باشا مصر . وعلى هذا طال الحديث فى نص تيفنو الاخير عن القفاطين . ولا مشاحة فى ان دى مونكوني قد اخطا فى ايراد كلمة Cafferan بدل كلمة Caffetan فى يومياته .

(2) وردت الكلمة فى قاموس لاروس هكذا موصولة : Justaucorps بمعنى لباس يتدلى حتى الركبتين ويشد الجسم شدا . (المترجم) .

كما له تفصيله. وهو مفتوح من القبل Par le devant ليدع الصديرية تظهر ، وهي دائما من لون مختلف . وهم لا يوصلونها الا نحو وسط الجسم ، حيث يشدونها بمنديل بالغ السعة بحيث انه يبلغ حقو الانسان » .

ونحن نقرأ في كتاب هوست (اخبار من مراكش وفاس ، ص 115) : « ويرتدون فوق القميص قفطانا او سترة مزودة احيانا بكمين قصيرين او طويلين ، على هوى مزاج اللابس ، وهي (تشبه الفرجيات Feredges التركية) ، ولكن هذا الثوب لا كمين له في معظم الحالات . وعادة تكون هذه الاثواب مصنوعة من الجوخ الاحمر او الازرق او الاخضر . وبعض هذه القفاطين مؤلفة من مختلف الالوان التي تكون اما مربعة واما مخططة . وبعض الاشخاص لهم قفاطين مطرزة بالذهب ، ولو ان هذا التصرف يعد انتهاكا لاوامر الدين . والقفطان لا يتعدى الركبة الا قليلا ، وهو ليس طويلا مثل الدوليمان التركي Doliman وازرار هذا الثوب الصغيرة متقاربة من بعضها . وبوسعنا رؤية هيئة هذا الثوب في اللوحة الخامسة عشرة ، الصورة الاولى والثالثة » . ولا بد ان دييكو دي توريس قد تحدث في كتابه (قصة الشرفاء ، ص 85) حين قال ان رجال مراكش يرتدون : « سترات من الجوخ الملون تصل الى الركب » . واعتقد ان العبارات التالية لمارمول تعني ايضا القفاطين . فهو اذ يتحدث عن ثياب مراكش يقول ، في كتابه (وصف افريقيا ، مج 3 ، ج 2 ، ص 33) : « يرتدي عوام الناس الآخرون ثيابا اقل كلفة ، ولكن على نفس النمط . فالكثيرون منهم يلبسون سترات من الجوخ الملون (Unas jaquetas) وهي مزررة ، ومطوية اربع طيات (De quatro faldas) ولها اكمام قصيرة » . ويقول في موضع آخر (ج 2 ، ص 102 ، مج 2) متحدثا عن سكان فاس : « يرتدي العمال والرجال الآخرون من سواد الناس ، ولا سيما الجنود المشاة ورماة البنادق ورماة السهام الخيالة، سترات، مثنية اربع ثنيات (De quatro haldas) ، قد تصل الى ركبهم » .

وفي انمرجع نفسه كذلك : « يرتدي التجار والصناع البسة من الجوخ ، سوداء خالصة السواد احيانا او زرقاء ، او من لون آخر ، وهم يلبسون صايات (Los sayos) بالغة الطول ، تنزل الى منتصف سيقانهم ، مطرزة من الباطن (Cosidos a girones) واكمامها نصف اكمام قصيرة لا تصل ابدا الى اعلى المرافق الا قليلا . ويتحدث دابر ايضا في كتابه (رحلة الى اقاليم افريقيا الشمالية ، مج 1 ، ص 240) عن قفطان من الجوخ كان يرتديه احد السفراء الذين جاءوا الى امستردام عام 1659 . راجع كذلك ، حول ارتداء القفطان في مراكش (سانت اولون ، الحالة الراهنة للامبراطورية المراكشية ، ص 90) . وانظر كرابر دي همسو في كتابه (مرآة ، ص 80 ، 81 الخ). والقفطان في طرابلس الغرب رداء طويل مطرز من القبل ومن الكمين . راجع النقيب ليون ، في كتابه (اسفار في الشمال الافريقي ، ص 6) . وترتدي النساء القفاطين في مراكش وفي فاس . فنحن نقرأ في كتاب هوست (اخبار من مراكش ، ص 119 ، الخ): « ترتدي بعض النساء نوعا من قفطان فوق القميص ، شبيه كل الشبه بقفطان الرجال » . ويخبرنا لمبريير في كتابه جولة في مراكش (ص 386) ، وقد اتيحت له بوصفه جراحا فرصة مخالطة حريم امبراطور مراكش ، ان قفطان النساء ثوب واسع لا كمين له ، وهو يتدلى حتى يبلغ القدمين او يكاد ، ويصنع طورا من الحرير والقطن ، وتارة من الديباج .

اما القفطان المصري فيختلف كثيرا عن قفطان افريقيا الشمالية . فانظروا كيف يصفه لين في كتابه (المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص 39 – 41) : « انه سترة طويلة من القماش الحريري والقطني العامر بالخطوط . وهذه الخطوط قلما تكون خالصة بنفسها بل انها على العموم مزينة بالرسوم او بالازهار . وهذه السترة تتدلى حتى تبلغ كعب القدم ، ولها كمان طويلان ، يتمديان نهاية الاصابع ببعض العقود ، ولكنهما مشقوقان فوق المعصم قليلا ، او نحو منتصف الذراع، بحيث ان اليد تبقى مكشوفة على العموم . ومع ذلك ، ففي حالات الضرورة ، يمكن تغطية اليد بالكم : ذلك لان التأدب يقضي ستر اليدين امام شخص من الطبقة العليا » .

وها انني اقرأ في قصة هيليمريتش (تقرير حقيقي موجز عن رحلات ، ص 393) ان رجال القاهرة يرتدون تحت اللباس الذي افترضه الجبة « سترة (Ein wammes) من القماش الحريري ، المتعدد الالوان المختلطة بعضها ببعض . اما كما هذا الرداء فطويلتان لغاية ، بغية استطاعة شبكهما على قبل الجسم » . ويبدو ان القفطان كان في ايام نيبور (رحلة الى البلاد العربية ، ج 1 ، ص 152) يتجاوز الاقدام . وقد وصف الكونت دي شابرول القفطان في كتابه (وصف مصر ، ج 18 ، ص 138) على هذا المنوال : « انه

ثوب مفتوح من الجهة الامامية ، وله كمان واسعان بافراط ، وهو يلبس فوق المشد Le corset .

اما ثوب نساء مصر الذي يشبه كثيرا قفاطين الرجال فلبس اسمه قفطانا بل يدعى يلكا Yelek . واما قفطان مصوغ فيشبه كل الشبه قفطان افريقيا الشمالية ، ولا يشبه القفطان المرتدي في مصر الا قليلا . فنحن نقرأ في رحلة روبل (رحلة الى الحبشة، ج 1 ، ص 119) : « والفرد هنا يرتدي فوق هذا القميص قفطانا (Leibrock) من القطن المدبج بالحرير ، وهو يتدلى حتى يبلغ ربلة (او بطة) الساق، ولا كم له ، ويشد حول الجسم بشريط دقيق من الكتان . وتقع على القفطان في الساحل السوري ، وهو في نظر دارفيو (مذكرات ، ج 1 ، ص 353) كساء من الحرير الابيض الموشى » . ويرتدي بدو سورية كذلك القفاطين ، او هم على الاقل كانوا يلبسونها ايام زار المستشرق الذي ذكرته توا ديار الشرق . ويقول في كتابه (رحلة من فلسطين صوب الامير الاعظم ، ص 206) ان امراء وشيوخ البدو يتخذون لباسهم الشتائي القفطان المصنوع من الاطلس او من الحرير المتموج الموار Le moire على هيئة قمباز الكاهن الذي يبلغ منتصف الساق ، وله كمان واسعان » . وبعد ذلك (ص 210) يخبرنا ان النساء البدويات لهن ايضا قفاطين مصنوعة كالقمصلات يتزملن بها في الشتاء ويصل طولها الى الارض . وهن يشمرن عن اقسامها الامامية ويدسسنها في اطراف الحزام ، لتحقيق غرضين هما المشي بحرية داخل المنزل وابراز التطريزات ، وهي على هيئة الازاهير الظاهرة على القمص والسراويل » . ويقول اخيرا في موضع آخر (ص 211) : « يلبس العرب بصورة عامة قفطانا من النسيج القطني الغليظ » . واذا آمنا بما يقوله علي بيك في كتابه (اسفار ، ج 2 ، ص 106) فان نساء مكة يرتدين « قفطانا من القطن الهندي » .

ويعلمنا كيرورتر في كتابه (رحلات الى جورجيا وبلاد فارس وارمينيا وبابل القديمة، ج 2، ص 226) ان شعب Kanaki (خانقين ؟) على ديالى ، في الشمال الشرقي من بغداد يرتدي : « قفاطين واسعة ذات اكمام عريضة » .

وبالرغم من ان المؤلفين القدامى قد رسموا هذه الكلمة هكذا (خفتان) ، فان لفظة (قفطان) يبدو انها هي الشائعة الاستعمال منذ عدة قرون : ولعل اسم هذه الكلمة قد تحور بعد فتح الاتراك لمصر . وان كلمة قفطان وجمعها قفاطين ترد دائما في كتاب (تاريخ اليمن ، مخ 477 ، ص 177 ، 298 ، 319) كما اننا نصادفها كذلك في كتاب الف ليلة وليلة .

وقد رأينا آنفا ان هوست والكونت دي شابرول يكتبان هذه الكلمة على نفس الرسم ، ويكتبها دونباى في كتابه (النحو المغربي العربي ، ص 82) هكذا (قفطان) .

واخيرا فان لين في كتابه (المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص 40) يؤكد ان الكلمة تلفظ (قفطان) ولكن الاشيع من ذلك لفظها (قفطان) .

الخفية

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس ـ بوصفها اسم لباس .

والرحالة كيربورتر في كتابه (اسفار ـ الخ ـ ج 2 ، ص 392) في معرض حديثه عن الزيديين في العراق العربي ـ قرب بغداد ـ يعرب عن افكاره بهذه الكلمات : « يراهم الراؤون بصورة دائمة ولا غطاء لهم الا الخفية Kaffia او الرداء المصنوع من قماش مخطط بخطوط عريضة للغاية . وهذا الرداء هو اللباس الاعتيادي (Domestic attire) الذي يبدو فيه هؤلاء الاعراب قرب منازلهم » .

ولما كان فعل خفى ـ في الصيغة الثانية وفي الصيغة الرابعة يعني ـ Abscondit, occultavit, celavit ويعني في الصيغة الاولى Abscondit se وان كلمة خفاء تعني Operimentum, tegimentum فانني اعتقد ان حفية ربما تعني كساء واسعا يغطي الجسم كله (1)

Un grand manteau qui couvre tout le corps

---

(1) سأحملكم على ملاحظة ان الصيغة الخامسة لفعل خفى لا وجود لها في القاموس ـ وانها تعني التنكر . فنحن نقرأ في كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ـ ج 2 ـ ص 292) : « تخفيت انا وغلامي » . ويستعمل ابن الخطيب في كتابه (الاحاطة ـ مخ كابانكوس ـ ص 37) صيغة مماثلة للتعبير عن نفس الفكرة ـ لانه يستعمل فعل خاف (يخيف) . واليكم كلماته : « فصار متخفيا الى مالقة ليركب منها البحر الى جهة ابن مردنيش» . ولكن ربما ينبغي احلال متخفيا مكان متخيفا .

الخلـــي

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

واذا آمنا بما يقوله النقيب ليون فى كتابه (اسفار فى الشمال الافريقي) فان كلمة Kholi تشير لدى اعراب طرابلس الى نوع من البركان ، الذى يقف موقفا وسطا بين العباءة ، التي هي غاية فى الغلاظة ، وبين الجريد ، وهو غاية فى النعومة .

الخمـــر

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ويعلمنا الرحالة بنكهام فى كتابه (اسفار في بلاد ما بين النهرين ، ج 1 ، ص 7) انه حمل سفتجته ونقوده واوراقه « مخفية فى حزام سري » Inner girdle يسميه سكان البلاد Khummr خمرا ، ويستعمل هذا الجزام بصورة عامة لهذا الغرض ، ما دام لا يمكن اضاعته ، ولا يمكن انتزاعه من المسافر اللهم الا اذا جرد تجريدا تاما من ملابسه » . وستذكرون ان فعل خمر يعني(Operuit, texit, etc)

الخمـــار

يبدو أن هذه الكلمة كانت معروفة معرفة وافية لدى الجوهري والفيروزابادي ، وانها لم تكن بحاجة الى الشرح والتفسير . ولكن يجب ان اعترف لنحس طالعي انني لم اقع على هذه الكلمة لدى مؤلف بمقدوره ان يشرحها لي شرحا صحيحا ، لذلك ليس فى طاقتي أن أخوض فى اى حديث عن نوع البرقع او الستر او الحجاب او القناع الذي تدل عليه هذه الكلمة . واذا لم اكن متوهما ، فان كلمة خمار لم يتطرق اليها المؤرخون العرب فى عصر النويري والمقريزي ومن لف لفهما . واستطيع ان اتجرأ فاقول مؤكدا عبث عملية التنقيب عنها فى كتاب الف ليلة وليلة .

وانني غير واجدها كذلك فى كتب الرحاليين الاوربيين الذين جاسوا خلال الشرق فى مختلف الحقب .

ويخيل الي ان هذا النقاب كان مستعملا فى عهد كوليوس ، لان هذا العالم يؤكد انه برقع امراة ، وانه يغطي مقدمة العنق ، ويستر الذقن والفم ويتعلق بقمة الراس » . ولما كان كوليوس لم يذكر لا طول ولا نوع قماش ولا لون هذا الستر ، فمن التطويح بالامانة العلمية ان نطبق على وصفه ـ الذي تعوزه الدقة ـ اقوال الرحالين الذين زاروا الشرق وقت زيارة كوليوس له (1) .

الخميصة

تشير هذه الكلمة ، حسب مذهب الجوهري ، الى ثوب مربع اسود ، مزين بحاشيتين مختلفتي اللون . ويرى مؤلف عيون الآثار (مخ 340 ؛ ص 189) ان الرسول (ص) ترك فيما ترك حين وفاته خميصة . وفى صحيح البخاري (ج 2 مخ 356 ، ص 168) نقرا الحديث التالي مرويا عن عائشة وعبد الله بن عباس : « لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه. فاذا اغتم (2) كشفها عن وجهه . فقال وهو كذلك : لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد . يحذر ما صنعوا .

وفى الكتاب نفسه نرى الحديث التالي مرفوعا الى زوجة الرسول الحبيبة الى نفسه : قالت : « صلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فى خميصة له لها اعلام . فنظر الى اعلامها نظرة . فلما سلم ، قال : « اذهبوا بخميصتي (3) هذه الى ابي

---

(1) ان كلمة خمار تدل كذلك على : منديل يغطي به الانسان عينه . فنحن نقرا فى الكتاب المعنون مجمع الانهر (ط . القسطنطينية ، ج 2 ، ص 259) : ولا بأس ان يشد خمار اسود من الحرير على العين الرامدة او الناظرة الى الثلج .

(2) هكذا ، اذا لم اكن متوهما ، معنى الحالة الثامنة لفعل غم فى عبارتنا . راجع الصيغة السابعة فى القاموس .

(3) من المعلوم ان المشرع الاعظم للجزيرة العربية قد نهى عن اداء اي عبادة لاي بشر هالك ، هذه العبادة التى يجب ان تكون لله وحده .

جهم فانها الهتني آنفا عن صلاتي وايتوني بانبجانية ابي جهم بن حذيفة بن غانم من بني عدي بن كعب (1) .

ونقرا كذلك الحديث التالي ترويه ام خالد بنت خالد (ص 169 ، والحديث نفسه ص 170) . قالت ام خالد بنت خالد : « اتى النبي صلى الله عليه وسلم بثياب فيها خميصة سوداء . فقال : من ترون ان نكسو هذه ؟ فسكت القوم . فقال : ايتوني بام خالد . فاتي بها تحتمل . فاخذ الخميصة بيده فالبسها وقال : « ابلي واخلقي . وكان فيها علم اخضر او اصفر . فقال : يا ام خالد هذا سناه » (2) (وسناه بالحبشية حسن) . .

واخيرا فان انس (المرجع نفسه) يقص ما يلي : « لما ولدت ام سليم قالت : الي يا انس انظر هذا الغلام ولا يصيبن شيئا (3) حتى تغدو به الى النبي صلى الله عليه وسلم يحنكه (4) . فغدوت به فاذا هو في حائط وعليه خميصة حديثية . وهو يسم الظهر الذى قدم عليه فى الفتح . فاذا عارضنا هذه النصوص ببعضها ، وهي نصوص قيمة لا ارتاب فى انها تهم المستشرقين من عدة وجوه ، فاننا سنحصل من

---

(1) ان النووي فى كتاب (تهذيب الاسماء ، مخ 357 ، ص 241) يزودنا حول هذا النص بالتفصيلات التالية : « ابو الجهم ، ويقال له ابو جهم ، بحذف الالف واللام ، الصحابي رضي الله عنه بفتح الجيم واسكان الهاء مذكور فى المختصر والمهذب فى الخطبة فى النكاح ان فاطمة بنت قيس قالت: خطبني معاوية وابو الجهم . ومذكور فى المهذب ايضا فى باب ما يفسد الصلاة فى حديث الخميصة ذات الاعلام وانبجانية واسمه عامر وقيل عبيد بضم العين بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عبيد بفتح العين وكسر الباء بن عويج بفتحها ايضا بن عدي بن كعب القرشي العدوي — اسلم يوم الفتح وصحب النبي صلى الله عليه وسلم وكان معظما فى قريش ومقدما فيهم . قال الزبير بن بكار : كان ابو الجهم عالما بالنسب . وكان من المعمرين . شهد بنيان الكعبة فى الجاهلية. وشهد بنيانها فى ايام الزبير وفى (لا يوجد عنوان) انه توفي فى ايام معاوية . وهو أحد دافني عثمان بن عفان وهم اربعة : حكيم بن حزام الخ ..»
وانني اعترف بجهلي لماذا اضاف الرسول هذه الكلمات . فقد بحثت عبثا عن كلمة انبجانية فى كتاب تهذيب الاسماء للنووي ، حيث كنت اؤمل ان اجد بعض الملاحظات الخاصة لانارة هذا النص .

(2) فى الحكاية الاخرى لنفس الواقعة نجد سنا . وهي كلمة حبشية . وقد ولدت ام خالد فى الحبشة ، حسب تقرير عيون الاثر (لدى هاكر ، حصار منفيس والاسكندرية ، ص 71) .

(3) معنى ذلك انه لن يمص ثدي حاضنته .

(4) نقرا لدى النوري (تهذيب الاسماء ، مخ 357 ، ص 334) : فصل حنك . قوله فى المهذب فى باب العقيقة : يستحب ان يحنك المولود بالتمر . واستدل بحديث انس رضي الله عنه فى ذلك . وهو حديث صحيح . قال صاحب المطالع : التحنيك هو ان تمضغ التمرة وتجعلها فى فم الصبي وتحنك بها حنكة بسبابتك حتى تتخال فى حلقه . والحنك اعلا داخل الفم . والله اعلم . قال الهروي: يقال : حنكه وحنكه يعني بتخفيف النون وتشديدها . والله اعلم . ويجب علي ان الفت الانظار هنا ، بمناسبة هذه العبارة ، الى ان كلمة مستحب لقيض كلمة فرض ، وان الكلمة الاولى تعني : ما اصبح عادة عامة ، ما تبناه الناس بصورة شاملة ، دون ان تأمر به شريعة . فى حين ان كلمة فرض تعني ما امرت به الشريعة فى الحقيقة والواقع . وهناك عبارة للنويري (نهاية الارب ، مخ 373 ، ص 592) تبرهن بوضوح على هذا المعنى لكلمة مستحب ولكلمة فرض ، المعنى الذي سنبحث عنه فى معاجمنا ولكن دون جدوى . (والاحظ بصورة عابرة ان هناك كلمات قد حركت عن مواضعها فى مخطوطتنا النويرية من قبل الناسخ) . وان جملة : استدل بحديث تعني استخدم الحديث لاثبات ادعائه . وفى مخطوطة لكتاب ابن خلكان عائدة الى ويلمت ، هي الآن جزء من مكتبة معهد البلاد المنخفضة نجد فى الصفحة 22 : استدل بحديث ابي لبابة . وقد بحثت عبثا عن كلمة حريثية التى هي اسم مكان ، فى عدة كتب مطبوعة ومخطوطة . اما عن كلمة ظهر فراجع : كاترمير ، مذكرة حول الميداني ، ص 42) .

كلمة خميصة على النتيجة التالية : انها نوع كساء اسود ، يلبسه الرجال كما تلبسه النساء ، وهو مطرز الاعلام او الحواشي بالالوان المختلفة ، وقد يكون ذا علم واحد او حاشية واحدة . وهناك موضع اسمه حريثة يبدو انه كان مشهورا بحياكة هذا النمط من اللباس . وها انكم ترون فى النصوص التى اوردناها عدم ذكر اي شيء عن النسيج الذى تصنع منه الخميصة ؛ والجوهري نفسه لم يعلمنا اكثر مما اعلمنا سواه . وانني على جهل مطبق بالمصدر الذى استقى منه فريتاك علمه بصنع هذا الملبوس من الصوف والحرير . ترى اين وجد هذه المعلومات ؟ وعلى كل حال فلم يكن بالتأكيد هذا الكساء حريريا فى عهد محمد .

ويذكر الجوهري فى معجمه بيتا بوسعكم قراءته فى قاموس فريتاك يتضمن ان الشعر الاسود لفتاة يافعة يشبه خميصة .

الخنيف والخنيفة

كلمة خنيفة لا وجود لها فى القاموس .

وتشير هاتان الكلمتان الى رداء من الصوف الغليظ ـ يرتدى فى بلاد البربر

يقول مارمول (وصف افريقيا ـ ج 2 ، ص 4 ، مج 1) فى معرض حديثه عن البربر فى ولاية حاحة Héha اشد ولايات المملكة المراكشية غربية: انهم يرتدون كذلك المعاطف Des capotes grossières الغليظة ـ المعمولة من بعض القماش الصوفي الخشن الاسمر ـ وهم يسمون هذه المعاطف « Hañyfas » وفى موضع آخر (ج 2 ، ص 23 ، مج 3) : ترى (سواد الرجال فى مراكش) يرتدون المعاطف الخشنة الغليظة السمراء ـ ويسمونها Hañyfas . واخيرا (ج 2 ، ص 102 ، مج 3) ـ يقول المؤلف نفسه ـ وهو يتحدث عن عامة رجال مدينة فاس : « يرتدون المعاطف الصوفية ـ الخشنة الغليظة السمراء ـ المسماة Hañifas ويقول دابر فى كتابه (وصف حقيقي دقيق لاقاليم افريقيا ـ ص 240 ، مج 1) ضمن التفصيلات التى يوردها حول زي سفراء ملك مراكش وفاس ـ الذين قدموا الى امستردام عام 1659 : « ان السفير ابراهيم دق Duque كان يرتدي هو ايضا الحيك ـ ولكنه كان لابسا فوق هذا الثوب رداء واسعا ـ قد وصل الى حزامه ـ وهو مصنوع من شعر المعزي الاسود ـ او من الصوف ـ ومزود من جهته الخلفية بقبع كبوشي ـ ومزرر بازرار . وهذا الرداء الفضفاض المسمى فى اللغة العربية شنيفا Chanyf او شنيفة Chanyfa يرتدى عادة فوق الحايك .

شنيفة أم خنيفة ؟ شنيف ام خنيف ؟ . .

ولكن تتخذ الحيطة فى الشتاء لتغطية الراس الذي يعمم بالقبع الكبوشي . وحين يرتدي هذا المعطف على هذه الشاكلة يدعى (مغنس « Mugannes » راجع شكل هذا اللباس فى كتاب دابر (ص 240 ـ الشخص الثاني الايسر) . اما عن كلمة Mugannes فيجب علي ان اعترف ـ شئت ام ابيت ـ بانني اجهل كيف تكتب الكلمة فى المغرب . فحسب النطق الهولندي ينبغي ان تكتبها (مغنس) ـ وهي كلمة لا وجود لها فى القواميس واقعيا ـ ولكنها مع ذلك يمكن ان تكون قد استعملت من قبل سكان الشمال الافريقي

الـــدرع

يفسر العرب كلمة درع بكلمة قميص Chemise وانني اجهل ما يميز الدرع من القميص ، ولكن كلمة درع لا تنطبق الا على قميص المراة ، وكثيرا ما استعمل السفراء هذه الكلمة للاشارة الى المراة نفسها . وهكذا نجد فى قصيدة للمعتمد فى كتاب (قلائد العقيان للفتح بن خاقان ، ج 1 ، مخ 306 ، ص 8) (الكامل) :

ان نشرت تلك الدروع حنادسا
ملأت لنا هذي الكؤوس ضياء

لادراك معنى هذا البيت ، ينبغي ان نتذكر أن الشعراء يشبهون الغيد بالليل ، بسبب شعرهن الاسود ، ويشبهون الخمر بالنهار او بالشمس لبريقها ولالائها .

وعلى هذا الاساس اترجم هذا البيت :

« اذا كانت هذه الفتيات (حرفيا : هذه القمص) قد نشرت الظلمة ، فمقابل ذلك هذه الكؤوس قد ملئت لنا بالضياء » .

والشاعر نفسه يقول ايضا (المرجع السابق) (الكامل) :

قد رمت يـوم نزالهـم
الا تحصننـي الـدروع

« لقد رغبت بحماسة متقدة منازلة الاعـداء ، ولكن النساء (حرفيا : القمص) منعتني من ذلك ». وهكذا نرى من هذه العبارات ان كلمة الجمع (دروع) وليس فقط كلمة ادرع ، كما تحاول ان تحملنا علـى الاعتقاد معاجمنا، مستعملة للاشارة الى قمصان المراة، والواقع هو أن الشاعر ابن اللبانة (المرجع السابق ، ص 38) يستعمل هو ايضا كلمة الجمع (دروع) للدلالة على قمصان المراة (1) .

الـدراعـــة

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

واتباعا لراي دابر فى كتابه (وصـف حقيقـي دقيق لاقاليم افريقيا الشمالية ـ مج 2 ، ص 241) نرى ان كلمة Dhiraa دراعة تشير في المغرب ـ الى هذا الرداء الواسع العظيم المسمى كذلك بالازار ـ راجع هذه الكلمة .

الـدراعـــة

لقد اورد سيلفستر دي ساسي بعض التفصيلات عن هذه الكلمة فى كتابه (طرائف عربية ـ ج 1 ، ص 125) ونستخلص من عبارة القاموس ـ التى استشهد بها هذا العالم ـ ان الدراعة قديما لم تكن تعمل الا من الصوف . ويعلمنا المقريزي (المرجع السابق) ان اللباس هو الذى كان يميز الوزراء من بقية ضبـاط القلم او العدالة . وهذا المؤلف يصف الدراعة بانها مفتوحة من الجهة الامامية حتى اعلى القلـب ومزررة بأزرار وعرى . ونحن نقرا لدى نفس المـؤرخ فـى كتاب سيلفستر دي ساسي (ج 1 ، ص 50 . النص العربي) ان الخليفة الحاكم بأمر الله كـان يلبـس الدراعة المصنوعة من قماش احادي اللون .

ونجد لدى ابن خلكان (وفيات الاعيان ، ج 1 ، ص 231) عبارة رائعة للغاية ـ عن حيـاة الوزيـر المغربي . فهذا الرجل ـ المصري المولد ـ كان قـد هجر وطنه ـ لانه كان يخشى الحاكم ـ الذى كان قد اعدم اباه وعمه واخوته . فهام على وجهه متنقلا من بلاط الى بلاط ـ حتى نصب وزيرا من قبل الاميـر البويهي مشرف الدولة ـ ولكن ابن خلكان يضيـف انه لم يتلق لقب شرف ولا خـلع ـ ولم ينقطـع عن ارتداء الدراعة (وقلد الوزارة من غير خلع ولا لقب ولا مفارقة الدراعة) . ويقول البارون دي سلان فى كتابه عن ابن خلكان (ج 1 ، ص 455) : بانه لا يفهم لماذا كان المغربي مرغما على ارتداء الدراعة بصـورة دائمة ... ينبغي ان نعترف بأن المسألـة بالغـة الغموض بحيث يتعذر تاويلها ـ ما دمنا غير واجدين فى اي مكان كان وصفا لزي وزراء السلالة البويهية . ولما كانت الوقائع تعوزنا ـ فأسمح لنفسي باخضاع تخميني لحكم اصلان المستنير . اذن فانني مفترض ان الدراعة لم يكن يرتديها وزراء السلالة البويهيـة ـ وان مشرف الدولة ـ حين ارغم المغربي على ارتداء هذا اللباس على الدوام ـ اراد ان يؤكد على اعتباره اجنبيا بصورة مستمرة (بوصفه وزيرا مصريا) ـ فلم يمنحه ثقته التامة ـ ولم يعتبره أحـد رعايـاه المولودين فى ولاياته .

وحسبما يقول مؤلف كتاب مسالـك الابصـار (تعليقات ومقتبسات ، ج 13 ، ص 216) ان الدراعة كانت ترتدي فى الهند من قبل القضاة والادباء ـ كما كانت ترتديها جماهير الشعب .

ويرد لدى النويري (تاريخ مصر ، مخ 2 ، ص 144) ذكر (دراعة بنفسجي) ـ وكذلـك يفعـل المقريزي (تاريخ السلاطين المماليك ، ج 1 ، ق 1 ، ص 149) . وكانت الدراعة مستعملة فى الاندلس . فنحن نجد لدى المقري (تاريخ الاندلـس ـ مخ دى غوتا ـ ص 373) ان عـرب الاندلـس قد اتخـذوا (الدراريع التى لا بطائن لها) ازارا باشـارة مـن زرياب ـ كما نجد فى موضع آخر لدى المؤلف نفسه (مخ 86) ان لباس الشرف ـ الذى منحه الحاكم الثاني الى اوردونيو الرابع ـ كان يتألف من (دراعة منسوجة بالذهب) ومن برنس .

ونحن ما زلنا واجدين هذا الثوب فى مدينـة الجزائر . فان دييكو دي هيدو يتحدث فى كتابه المعنـون (خطـط مدينـة الجـزائـر ج 8 ، مج 2) : « يرتدي كثير من النـاس قميصـا آخر من الكتان المرسل ـ بدلا من هذه الغلالة ـ وهو

(1) لقد تعسف المستشرق الكبير حتى ضل السبيل (المترجم) .

طويل ـ مفرط فى السعة ـ مغرق فى البياض ويحمل اسم الدراعة Adorra وفى موضع آخر (ص 27 ، مج 2) يقول المؤلف نفسه ان النساء العربيات فى هذه المدينة يرتدين فوق اقمصتهن : القميص المفرط فى السعة والفضفضة ـ الدقيق للغاية ـ الابيض الى ما لا نهاية ـ الشبيه بذلك القميص الذى يرتديه ازواج هؤلاء النسوة المسمون بلدي Baladis او من يدعون بالحضر ـ والذين تحدثنا عنهم آنفا ـ وهن يسمين هذا القميص دراعة Dorat او الدراعة Adorat (1).

ويؤكد ابن بطوطة (الرحلة ـ مخ دى كايانكوس ـ ص 106) ان سكان مقدشرا (راجع خرائطنا عن الساحل الشرقي الافريقي) يرتدون : « دراعة من المقطع المصري معلمة » (2) .

واخيرا فانني اود الفات نظركم مرة اخرى الى وجود من كانوا يلبسون عدة دراعات بعضها فوق بعض . فنحن واجدون فى تاريخ العباسيين

---

(1) اغتنم هذه الفرصة لاناشد المستشرقين ـ ما اذا كانوا يعرفون كلمة عربية ـ لها جرس لفظة Dorre وتدل فى الوقت نفسه على الجوخ الاصفر . فانني اقرا فى قصة رحلة (فان خيستلا ؛ ص 31) ان المغاربة : « يرتدون عادة ثيابا طويلة من النسيج الابيض ـ ذات اكمام واسعة ـ وبصورة عامة لا احزمة لها ـ والكثيرون منهم يلبسونها ايضا على مختلف الطرز ـ ومتنوع الالوان ـ كالاحمر ـ والاخضر الفاقع ـ والازرق والـ Dorre اي الجوخ الاصفر » .

(2) تدل كلمة مقطع على الكتان ـ ذلك لان بيدرو دي الكالا فى كتابه (مفردات اسبانية عربية ، يفسر هاتين الكلمتين Glanda lienco بانهما تونسي ومقطع وجمعه مقاطع ـ ويفسر Avala (aube) بقميص من مقطع . ويعتبر ابن الطيب فى كتابه (الاحاطة ـ مخ دى كايانكوس ، ص 14) ان المقاطع النتوسية من بين الالبسة التي يرتديها الغرناطيون . وينبغي احلال كلمة التونسية محل كلمة النتوسية ـ وترجمتها : « اقمشة الكتان التونسية » . وقد كانت مدينة تونس مشهورة بالكتان الذى يصنع فيها ـ واليكم ما نقرا حول هذا الموضوع فى كتاب مارمول (وصف افريقيا ؛ ج 2 ، ص 241 ، مج 1) : « ان معظم سكان مدينة تونس هم من الحاكة ـ وينسج فى هذه المدينة افخر الكتان الموجود فى افريقيا ـ لان نساء تونس يغزلن الكتان غزلا فى غاية الدقة والنعومة ويبرمنه برما لا مثيل له . ومن هذا الكتان تحاك هذه العمائم المترفة (Tocas) التي تدعى Tunecis (de Tunis) (من تونس) ـ وهي مرغوب فيها بجنون لدى المغاربة » . وهذه العمائم المنسوجة من كتان تونس ـ لم تبق مجهولة لدى شعراء اسبانيا المسيحيين . لاننا نقرا فى (مجموعة من اشعار المويسكيين ، ص 35) : « طاقية غامقة الخضرة ـ مع عمامة من النسيج التونسي » .

ونقرا فى موضع آخر (ص 164) : « Tocas tunecies ـ الدراريع التونسية » .

واعتقد انني وقعت على كلمة مقطع وجمعها مقاطع ـ بمعنى قماش من الكتان ـ فى كتاب مسالك الابصار . اذ اننا نقرا فى ترجمة كاترمير (ملاحظات ومقتبسات ـ ج 13 ، ص 200) ما يلي : « تبعا لما رواه لي سراج الدين عمر الشبيلي ان الثياب التي تجلب من الاسكندرية ومن بلاد الروس ترتدي بصورة خاصة من قبل اولئك الذين ينعم بها عليهم السلطان . اما الآخرون فان اقبيتهم واردیتهم مصنوعة من القطن الناعم . وتصنع من هذه المادة الثياب التى تشبه مقاطع بغداد » . واود ان الفت الانظار الى ان كلمة مقاطع لم تستعمل مطلقا بمعنى الاردية . ولعل النص هذا يعنيها : وتصنع به ثياب تشبه المقاطع البغدادية . ويجب ان اترجم كلمة ثياب هنا بقطع قماش آنفا (ص 1 ـ 22) وارى ان معنى هذه العبارة هو تصنع من هذه المادة قطع من القماش تشبه الاقمشة الكتانية البغدادية» . واود مرة اخرى ان الفت الانظار الى ورود كلمة (رفعة) هذه (المقاطع) La finesse مباشرة بعد ذلك اذا قورنت برفعة الاقمشة الهندية ـ وان هذه الاقمشة توازن بالموصلي (الموسلين) ـ وكل هذا ينطبق كل الانطباق على الاقمشة المصنوعة من الكتان .

للنويري ، مخ ، ص 190) « وفي هذه السنة امر المتوكل بأخذ اهل الذمة بلبس دراعين (دراعتين) عسليين (عسليتين) على الدراريع والاقبية » . وذلك عام 239 .

المدرع والمدرعة

يخيل الي ان هاتين الكلمتين تشيران الى ما تشير اليه كلمة دراعة بالذات ، ويرى القاموس ان المدرع والمدرعة يكونان دائما من الصوف . والحقيقة ان هاتين الكلمتين تدلان على لباس من الصوف الغليظ الذي لم يكن يرتديه الا العبيد او فقراء عامة الناس . فنحن نقرأ في كتاب القرطاس Le Kartas اط. تورنبر ، ص 6) ان عبدا كان يرتدي (مدرعة صوف) . ونجد في سراج الملوك للطرطوشي (مخ 70 ، ص 43) ان شخصا كان يرتدي شملة ومدرعة من الصوف ، دخل على الخليفة معاوية ، وانه زجر عنى انتهاكه للآداب المرعية . ويتحدث Al-Bikaï الذي كوزكارتن ، طرائف عربية . ص 58) عن نساء كن يرتدين المدارع الشعرية ، فيقول : (وعليهن مدارع الشعر) .

الدروزة ، الدروازة

لا وجود لهذه الكلمة الفارسية الاصل في القاموس .

ولكننا نقرأ للمقريزي او بالاحرى لابن سعيد (لدى فريتاك . طرائف عربية ، نحو ، تاريخ ، ص 145) : « وطريقة الفقر على مذهب اهل الشرق في الدروزة التي تكسل عن الكدر » .

يعني فقراء الاندلس الذين لا يجرؤ احد على لمس دروزاتهم لقدارتها (1) .

راجع دي كايانكوس في كتابه (تاريخ السلالات المحمدية في الاندلس . ص 114 وتعليق ص 404) .

الدفء ، الدفاء ، الدفية

لا وجود للصيغة الاخيرة في القاموس .

ان كلمتي دفء ودفاء تشيران الى لباس من الصوف او من الشعر ـ او من الفرو ـ يستعمل للوقاية من البرد . (راجع القاموس ـ ط كلكتا ـ ص 27) . اما في ايامنا هذه فان كلمة دفية مستعملة في مصر . فنحن نقرأ في وصف مصر (ج 18 ، ص 110) : « الدفية هي قميص كبير من البركان الاسود ـ الذي يستعمله اعيان السكان في قرية من القرى » . ويقول لين في كتابه (المصريون المحدثون ، ج 1 ص 45) : هناك افراد عديدون من الشعب يرتدون نوعا من الاردية ـ واحدها اوسع من العباية ـ وهو مصنوع من نسيج صوفي ملون بالسواد او بالزرقة الغامقة ـ ويسمونه دفية » .

الدقرار ، الدقرارة

يرى الجوهري والقاموس ان هذه الكلمة تشير الى ما يدعى بالتبان . راجع هذه الكلمة .

الدلق

يرسم سيلفستر دي ساسي في كتابه (طرائف عربية ـ ج ، ص 269 وفريتاك) هذه الكلمة هكذا : دلق . ويقول لين في كتابه (المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص 346) ان الكلمة تكتب كذلك على هذه الصورة (دلق) . ولكن الناس يلفظونها بصورة عامة كما يلي (دلق) . ويعتقد ان كلمة دلق تستحق الاصطفاء . ولم اتبين العلة في الموضوع . انها دلق الكلمة الفارسية ـ وهناك وزن لقصيدة وردت في كتاب سيلفستر دي ساسي المذكور آنفا ، ج 2 ، ص 45 ، سطر 4 من النص العربي تبرهن بوضوح وقوة على ان كلمة دلق كانت تلفظ في قديم الزمان هكذا (دلق) بمقطعين ، وليس بثلاثة مقاطع .

والدلق هو لباس الفقراء والدجالين من الاولياء ـ ويرى السيوطي في (الطرائف ، ج 2 ، ص 317) ان القضاة والعلماء كانوا يرتدون دلقا واسعا لم يكن مشقوقا ـ بل كانت فتحته من فوق الكتف ـ ويلبس الخطباء دلقا مستدير الشكل اسود اللون ـ وهو اللون الخاص بسلالة العباسيين » . ويرى لين في كتابه (المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص 346 ـ 373) وفي (الف ليلة وليلة ، ج 1 ، ص 139) ان الدلق هو ضرب من الرداء الطويل ـ المؤلف من خرق

(1) اذا لم يكن ثمة خطأ في هذه الكلمة ، فينبغي ان تنطق هذا النطق (تكسل) .

الجوخ المختلفة الالوان . وقد سبق ان قطعت على نفسي وعدا ـ حول كلمة خرقة ـ بالدخول هنا فى التفاصيل عن ثوب المتأملين ـ او عن اشباههم ـ وهم مجاذيب الشرق وبهاليله . واليكم ما وعدت به. فاننا نقرا فى قصة روجيه (الارض المقدسة ، ص 247) : « هناك نوع آخر من العباد يدعون قولي ؟ Quoueli بعضهم حليق الراس ـ وهم يرتدون اردية مؤلفة من الف نوع من الخرق والاسمال ومن مختلف الالوان ـ ولكنها نظيفة للغاية » (راجع الصورة 240 . وفى قصة ستوكوف المعنونة (رحلة الى المشرق ، ص 433 ـ 434) لدى وصفه القاهرة : « والخلاصة لا يوجد فى اية ولاية من ولايات تركية شعب مؤمن بالخرافات مثل شعب القاهرة ، القاهرة التى لا مثيل لها فى حشد هذا العدد الهائل من مشعوذي الاولياء والدراويش . فهناك تجد منهم من يتسكعون فى الدروب عراة كما ولدتهم امهاتهم ـ وهناك آخرون يرتدون جلود الاسود او النمور .. وانك واجد اولياء آخرين يلبسون الف نوع من الالبسة المختلفة المضحكة . وها انني اصادف شخصا لابسا اعجب ملبوس لا تستطيع ان تضحك من شيء اكثر مما تضحك منه ـ وهو يمشي على عكازتين يعلو بهما نحو قدمين ـ وقد الصق بجسمه رداء يصل الى ركبتيه نصفه مصنوع من كل انواع الجلود ـ والنصف الآخر من كل انواع الاقمشة المختلفة الالوان ـ وقد شد على وسطه حزاما من جلود الافاعي ـ وهذا الحزام لم يمنع ثوبه من الانفتاح لدى كل خطوة يخطوها وابانة عورته للسائل والمحروم ـ وقد شد عضوه التناسلي بحلقة ضخمة من الحديد » .

ونقرا لدى دارفيو فى كتابه (المذكرات ، ج 1 ، ص 209) : « يرتدي دراويش مصر ملابس غاية فى الغرابة : فملابس بعضهم حافلة بالخرق والاسمال البالية الملونة بكل انواع الالوان ـ وملابس الآخرين اردية مجللة بالريش الكثير ـ وهناك عراة كل العري ـ ولهم لحى وشعور شبيهة بأشواك القنافذ ». ويقول المؤلف فى موضع آخر (ج 1 ، ص 324) عن درويش فى الصعيد انه كان يرتدي : « سترة مؤلفة من الخرق الكثيرة المختلفة الالوان ـ وان هذا الدرويش بذاته مسخرة قائمة بذاتها . فسعة حزامه قدم وهو يعج بعدد كبير من الحلقات النحاسية » .

المدجاة

يفسر القاموس (ط كلكتا ، ص 233) هذه الكلمة بانها العمامة .

الدنية

الدنية ـ كما ترى المعاجم ـ هي طاقية القاضي ـ لان لها شكل الدن ـ اي شكل برميل كبير للخمر . ونقرا فى رسالة موجهة من قبل حمزة الى القاضي (لدي ساسي ، طرائف عربية ، ج 2 ص 92 من النص) ان حمزة امر ـ فى كثرة ما امر ـ بأن يلبس هذا الاخير دنية طويلة سوداء ـ لها عذبات صفر تتدلى على الصدر .

الدواج

انني اجهل حتى الآن ما اذا كانت هذه الكلمة تعني على العموم رداء او انها تعني ضربا خاصا من الاردية ويفسرها القاموس (ط. كلكتا ، ص 234) بانها (اللحاف الذي يلبس) .

راجع المقريزي (لدي كوزكارتن ، طرائف عربية ص 116) .

الدائرة

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

وهي على راي هوست (اخبار من مراكش ، ص 102 الذى يكتبها ديرة Déira تشير الى رداء ازرق يرتديه الخاطب فوق الحيك ، انني افترض ان هذه الكلمة هي الاسم المؤنث المشتق من فعل دار (ملابس تحيط الجسم
(Vestis) ambiens (corpus)

المداس

استعمل النويري (تاريخ مصر ، مخ 2 ص 21) فى عبارة له كلمة نعل وكلمة مداس بدون تمييز او تفريق . فنستخلص من ذلك ان كلمة مداس تشير الى الكلمة الفرنسية صندل Sandale ، كما تشير اليه كلمة نعل . والواقع ان النقيب ليون (اسفار فى الشمال الافريقي ، ص 156) يؤكد ان المعني بكلمة مداس هي الصنادل المزركشة الجميلة المنظر البارعة

الصنعة ، التى يلبسها الرجال والنساء على حد سواء » . وبوسعنا قراءة حكاية لاذة للغاية بخصوص المداس لدى م. ج. همبر فى كتابه (حوليات عربية لم يسبق نشرها ، ص 41 – 45) .
. Arabica Inedita (pag. 41-45) de M. J. Humbert

الـذيـل

تشير هذه الكلمة ، كما نعلم ، الى ذيل رداء او ذيل ثوب الخ . ولكنها تدل كذلك فى مالطة على : تنورة من النسيج الابيض . (راجع فاسيلي فى كتابه قويميس مالطي ، مجموعة 157) ويكتبها فيسكيه فى كتابه (رحلة الى الشرق ، ص 6) هكذا (ايديل l-deil) ويقول عن الذيل : « تنورة من التيل او القطن الابيض ، ترتديه القرويات فى جزيرة مالطة » .

الترجيـل

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس بمعنى مركوب .

وان النصوص التى نحن واجدوها فى كتاب الف ليلة وليلة (تجدون هذه الكلمة ، بهذا المعنى ثلاث مرات فى الصفحة 87 من الجزء الاول من طبعة مكناكتن) لا تدع مجالا للشك حول هذا المعنى لكلمة ترجيل . والحقيقة ان كلمة ترجيل فى الصفحة المذكورة مستعملة للدلالة على نفس ما تعنيه كلمة مركوب سوليه Soulier فتورنس اذن مصيب كل الاصابة حين يترجم فى كتابه (انس الليالي العربية ، ج 1 ، ص 114 الكلمة الى شوز Shoes وارجو ان يعذرني لين ، كما اومل ، اذا كنت لست مستحسنا ترجمته، حينما يترجم كلمة ترجيل بكلمة صندل Sandales (الف ليلة وليلة ، ج 1 ، ص 163) .

الرخايـة وجمعهـا الرخايـات

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ويترجم بيدرو دي الكالا (مفردات اسبانية عربية) الكلمتين الاسبانيتين على هذه الشاكلة : Escarpins et peal عن (الاسكاربينات) الخفاف التى يسميها رياس Reyas كما يدعوها جاكسون فى كتابه (تقرير عن مراكش ، ص 138) عن الرياحات Bayahat او البانتوفلات الحمراء Pantoufles rouges انساء مراكش .

الرسـة ، الارسوسـة

يفسر القاموس (ط كلكتا ، ص 764) هاتين الكلمتين بكلمة قلنسوة . راجع هذه الكلمة .

الرسـيـة

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

واعتقد انها تشير الى نفس النوع من عمرة الراس المسمى رسة ، ومعنى ذلك القلنسوة ، انني ازعم عدا ذلك ان الكلمات رسة وارسوسة ورسية مشتقات من كلمة راس ، وفى العبرية روش : واقرر اخيرا لفظها رسية . وقد وصف الشاعر الصقلي ابن حمديس احد القصور ، لدى (النويري ، نهاية الارب ، مخ 273 ، ص 106) فقال : (الكامل) :

خلعت عليه غلائلا ورسية (شمس البيت) .

وترجمتها : « خلعت عليه الشمس تكريما له البسة ، وهي الغلائل (الملابس الصفراء) وجبته كذلك رسية » .

امام الشاعر هنا بريق الذهب ولالاؤه اللذان يسطع بهما هذا القصر ، وقد زادته اشعة الشمس توهجا على توهج . فيخيل الي اذن ان بوسعنا ان نستخلص من هذا البيت ان عمرة الراس المسماة رسية كانت ذات لون اصفر (1) .

الرصافيـة

يدور البحث فى عبارة لابن خلكان (ط دي سلان ، ج 1 ، ص 155) عن هذا النوع من العمرة ، وبعد هذا الكلام بقليل سميت سترة الراس هذه قلنسوة . وقد سبق للبارون دي سلان (راجع الترجمة الانجليزية لكتاب ابن خلكان ، ج 1 ، ص 115) ان لفت الانظار الى ان الرصافية كانت على هيئة طاقية ومن نوعها ، وهذه الهيئة لم نعد نعرفها اليوم على وجه الدقة والتحديد ، وانني اجهل ما اذا

(1) توهم المستشرق الكبير فحسب ان الواو فى كلمة ورسية هي حرف عطف فاخطأ . وبنى افتراضه على خطأ ، فوصل الى نتيجة خاطئة خطأ مركبا ! (المترجم) .

كانت الرصافية التى كانت تلبس فى بلاط بغداد هي من نوع العرقية Calotte والمسماة فى مصر (كلوتة) أم من نوع الطاقية Bonnet أم هي قلنسوة (1) .

الرطفل

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

اما فى الاندلس فيطلق اسم رطفل على نوع عصابة راس لها شكل الشبكة – وهي شبيهة بالشبكة التي تدعى بناقة .

راجع بيدرو دى الكالا فى كتابه (مفردات اسبانية عربية) حول هذه الكلمات :

« Alvanega de red y capillejo de muger »

ويرى هذا المؤلف ان جمع كلمة رطفل هو رطفلات وكذلك رطافل .

المرقعة

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس – بالمعنى المراد.

وهذه الكلمة تشير الى نوع دلق او خرقة وهي الثوب المرقع – الذي يستعمله الاولياء والفقراء الادعياء .

ويقول ابن بطوطة (الرحلة – مخ دى كابانكوس ، ص 102) فى معرض حديثه عن احد النساك : « لباسه مرقعة وقلنسوة لبد » . ويقول فى موضع آخر – متحدثا عن قديس او ولي من جبل لمعان : « وعلية مرقعة وقلنسوة لبد – وليس معه ركوة ولا ابريق ولا عكاز ولا نعل » . ونقرأ لدى ابن اياس (تاريخ مصر – مخ 397 – ص 133) : « فلما قرأ مراسيم السلطان اخذ على راسه المصحف وتشفع بانه ما بقى يلبس الولاية ولا وضع على راسه كلوته . وقد لبس مرقعة وصار من جملة الناس » . ونقرأ فى (رحلة ابن بطوطة – مخ – ص 89) : « وامره فى الكرم غريب . وربما جاد بكل ما عنده . وبالثياب التي عليه ويلبس مرقعة . فيدخل عليه كبراء المدينة . فيجدونه على تلك الحالة فيكسونه » .

هذا النوع من اللباس المرقع ترتديه النساء ايضا . فنحن قارئون فى كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ج 2 – ص 238) : « ولبست مرقعة ووضعت على راسها ازارا عسليا». والحديث جار حول احدى العجائز .

المركوب وجمعه المراكيب

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

وهي تشير الى مداس – وتوجد احيانا فى كتاب الف ليلة وليلة . راجع مثلا (ط مكناكتن – ج 1 ، ص 86 – 87) وانظر كذلك (طها بيخت – ج 1 ، ص 319 – 220 – 222) . فنحن نقرأ فى وصف مصر (ج 18 – ص 110) : « هناك زوجان من المركوب او فردتان من المداس حمراوان » . ويؤكد لين فى كتابه (المصريون المحدثون – ج 1 ، ص 42) : « ان المراكيب تصنع من الجلد المراكشي الاحمر السميك – وهي مدببة وانوفها شامخة الى العلاء » . ويرد فى رحلة ستيفنس (حوادث رحلة الى مصر وسبطرا العربية والارض المقدسة – ص 225 ، ج 1) ذكر المراكيب الواسعة الحمراء – لاحد تجار القاهرة – التي يلبسها فوق المز الاصفر (Yellow slippers) .

وهذه الكلمة – حسبما اعلم – لا تستعمل الا فى مصر .

الرويزي

يرى القاموس ان الرويزي هو الطيلسان . راجع هذه الكلمة .

الريطة – الرائطة

نقرأ لدى الجوهري (ج 1 ، مخ 85 ، ص 507) ان الريطة هي : « الملاءة اذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقين » .

وجاء فى القاموس (ط كلكتا – ص 941) : « الريطة كل ملاة غير ذات لفقين كلها نسيج واحد وقطعة واحدة او كل ثوب لين رقيق كالرائطة » . وكلمة ريطة لها المعنى نفسه فى شروح مقامات الحريري (المقامات – ص 255) : « الريطة الملاة اذا كانت قطعة واحدة » . قال الشريشي : « الريطة عند

(1) ام هي الجراوية البغدادية بمختصر العبارة ؟ (المترجم)

العرب ثوب رقيق شبه المنحفة » . ويقول التبريزي في (شرح الحماسة ـ ص 492) : « الريطة هي الملاءة » . ويقول بعد ذلك (ص 504) : « هي الملاءة اذا لم تكن ذات لفقين » .

والحقيقة اننا سنرى لدى كلمة ملاءة ان هذا الثوب يتألف من لفقين مخيطين معا ـ اما الحبرة المحدثة فتتألف هي كذلك من لفقين مخيطين معا . واما الرداء الواسع المسمى ريطة فتلبسه النساء (كتاب الاغاني لدى كوزكارتن ـ طرائف عربية ـ ص 137) . راجع البقية في كلمة ملاءة . وكانت ريط الشام على الاخص مشهورة للغاية . (راجع النويري ـ نهاية الارب ـ مخ 273 ـ ص 92) .

ولكن كلمة ريطة ـ كما وردت في عبارة من مقامات الحريري ـ ص 254 ـ لا يمكنها ان تشير الى رداء واسع . فنحن نقرا : « فاذا شيخ عاري الجلدة ـ وقد اعتم بريطة » . ويلاحظ الشارح (ص 255) ـ والحق معه ـ ان كلمة ريطة ليس لها هنا المعنى الذي تشير اليه عادة . فلو كانت كلمة ريطة تدل هنا على رداء ـ لما استطاع المؤلف ان يقول : « فاذا شيخ عاري الجلدة » . وعلاوة على ذلك فانني سأجيز لنفسي ملاحظة ، ان هذه الجملة قد تلتها جملة اخرى مباشرة هي : « واستئفر بفويطة » . وعلى ذلك فلو كانت الكلمة هنا قد اشارت الى رداء كبير لما استطعنا ان نرى الخرقة التي كانت تستر عورة الشيخ . ولذلك قال الشارح ان الريطة تدل على كرزية (حقيقة قوله : شبه الكرازي) ومعنى ذلك خرقة من الصوف تلف الراس . وان الكلمة قد اخرجت عن معناها الاصلي (مغير عن اصله) ـ وكذلك كلمة فوطة ـ التي لم تكن في الاصل تشير الا الى قطعة قماش غليظة مستوردة من الهند ـ ولكنها بعد ذلك اصبحت تشير الى (ضرب مما يعتم به) . وهكذا نرى ان الشارح لا هو ولا مؤلف هذا الكتاب قد اتفق احدهما مع فريتاك حول المعنى الذي يشار به الى كلمة ريطة في هذا النص . (1) .

الزبون

لا وجود لهذه الكلمة التركية الاصل في القاموس.

والزبون اسم نوع من الصديري او الستيرة القصيرة ـ وكل منهما له كمان واسعان ـ مطرزان . والزبون معروف غاية المعرفة في طرابلس الغرب . راجع (رحلة النقيب ليون (اسفار في الشمال الافريقي ـ ص 6) حيث تجد كلمة زبون .

زربول ـ زربون

احيل القارىء الى الكلمة الاخيرة ـ اعتقادا مني بأن هاتين الكلمتين ليستا سوى تحريف لكلمة شربيل.

الزرمانقة

لعدم وقوعي البتة على هذه الكلمة ـ ليس بطوقي ان اضيف شيئا الى التفصيلات المعطاة من قبل فريتاك .

اذن تشير هذه الكلمة الى نوع جبة صوفية . ويرى بعضهم ان هذه الكلمة ان هي الا تحريف للكلمة الفارسية اشتربانه ـ ويقولون ان هذا اللباس قد اكتسب هذا الاسم لانه كان يطلق بصورة خاصة على حداة الابل . (من اشتر وهو الجمل ـ ومن بان وهو الحارس ومن الحرف الملحق الهاء المربوطة) . ويقدر آخرون ان هذه الكلمة هي عبرية (؟) .

الزلحم

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ولكننا نقرا في كتاب هوست (اخبار من مراكش ـ ص 116 و 117) : « ويرتدي بعضهم فوق الحيك زلحما ـ وهو من نفس قماش الحيك . ومزود بقبع كبوشي لتغطية الراس في اوقات سوء المناخ ـ ويعلق بهذا القبع لوزة من الحرير او الصوف تتدلى على الظهر . ويحلى قبل هذا اللباس من الجهة الامامية احيانا بلوزات على الطريقة التركية . وهذه تكون مطرزة الحواشي من الاسفل وذات هدبات صغيرة وحواش بديعة . راجع اللوحة الخامسة عشرة ـ الصورة الثالثة والصورة الرابعة » . ويكتبها لمبريير في كتابه (سياحة في مراكش ـ ص 229 ـ 295) هكذا Sulam

(1) جاء في المستدرك على المعاجم العربية للمؤلف ـ تحت كلمة « ريطة » البيت التالي ـ الوارد لدى النويري في تاريخ افريقيا ـ ص 50 ـ المشير الى المرابطين ولثامهم :

اذا التثموا بالريط خلت وجوههم ازاهر تبدو من فتوق الكمائم (المترجم)

ـ ويقول ان الزلحم رداء فضفاض هفهاف ـ معمـــول من الصوف الاوربي الازرق أو الابيض ـ وهو يتدلى حتى القدمين وقد زود بقبع كبوشي لوقاية الراس . ويكتب ريلي Riley في كتابه (بوار تجارة السفن الشراعية الامريكية ـ ص 196 و 198 و 431) هذه الكلمة على نفس الشاكلة ـ ويعرض علينا هذا الرحالة التفصيلات التالية : « ان المعطف او الـ Sulam مؤلف من جوخ اسود غليظ ازب اشعر ـ والطريقـــة المعمول بها تماثل طريقة عمل المعطف الاوربي ـ وهو مزود بقبع كبوشي . ومع ذلك فهو مقفل من منتصف الصدر ـ وهكذا فلاجل ان يرتديه صاحبه يتحتم عليه ان يدخل راسه من الفتحة العليا ـ وهو يغطي مـــن لابسه الذراع ـ هكذا يرتديه المرتدون » .

ويكتبه همسو دى كرابر فى كتابـــه (مـــرآة جغرافية واحصائية للامبراطورية المراكشية ـ ص 81) هكذا (سلهام) Sulham ويقول انه معطف يصنع عادة من الكشمير الابيض . وهو اوسع من البرنـــس ـ ويلبس بدله . ويقول جاكسون فى كتابه (تقرير عـن مراكش ـ ص 138) ان هذه الكلمة تلفظ وتكتب هكذا (Silham) ـ وهو كما يرى هذا الرحالة معطف من الجوخ الازرق العاتك ـ ومرتدوه هم البربر » . وبعد ذلك (المرجع نفسه) يعلمنا المؤلف نفسه ان رجال البلاط لا يرتدون الحيك مطلقا اثناء مثولهم بين يدي الامبراطور ـ ولكنهم يلبسون الزلحم دائما ـ او يرتدون معطفا مشغولا من الصوف الأبيض .

الزعبـــوط

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ويرى لين فى كتابه (المصريون المحدثون ـ ج 1، ص 44) ان الزعبوط يرتدى فى مصر من قبل الذكور من سواد الشعب ـ وهو معمول من قماش اسمر ـ وتفتح فيه فتحة من العنق الى حدود الحزام وله كمان واسعان . ويلبس عادة فى الشتاء . ويقول بارثي فى كتابه (جولة خلال صقلية والمشرق ـ ج 2 ـ ص 275) « لا يرتدي الفلاحون فى مصر الا دراعة (جلبابا ؟) سمراء غليظة » .

ولا مرية ان هذه الكلمة ليست عربية . وسنرى فى قابل الصفحات ان الكلمة الاسبانيـــة Capote قد تسللت الى اللغة العربية التي يتكلمها الافارقـــة ـ فهي لديهم (كبوط) . ومن المحتمل ان كلمة زعبـوط كانت (كابوت) Capote فلفظ الحرف ç كالسين لالحاق علامة السيدى Cédille بقاعدته فاصبـــح Capote (سابوت) (زعبوط) . ومع ذلك فـــلا تاخذوا قولي على انه اكثر من تخمين .

الزنجـــب ـ الزنجبـــان

يفسر القاموس (ط كلكتا ، ص 58) هاتيـــن الكلمتين بانهما المنطقة ، اى الحزام الذهبي او الفضي.

الزنجبـــة

تشير هذه الكلمة الى ما تشير اليـــه الكلمـــة الفرنسية تورنير : tournure) لفافة ، ويفسرهـــا القاموس (ط كلكتا ، ص 98)) كلمة العظامة .

الـــزنـــــار

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس بالمعنى المراد . ونحن نعلم ان كلمة زنار تدل على حزام ، ولكـن هذا النوع من الحزام لم يكن يلبسه المسيحيون ، كما يؤكد ذلـــك الزمخشـــري : مقدمـــة الادب :

(Lexicon Arab. Pers., part. I, pag. 51 :

وبهذا المعنى نقع على هذه الكلمة لدى الكتاب الشرقيين . وليس من واجب مجهودي هذا التحدث عن الملابس التي يرتديها النصارى فى الشرق ، ولو لم يكن لكلمة زنار حتى الان معنى آخر لما سمحت بقبولها فى قاموسي . ولكن هذه الكلمة كانت تشير فى اسبانيا كذلك الى : مئزر غليظ يلبسه الفلاحون .

ويفسر بيدرو دى الكالا فى كتابـــه (مفـــردات اسبانية عربية) هذه الكلمات :

Capote vestidura rustica وكذلك

Vestidura para el campo

بكلمة زنار وجمعه زنانير . ونجد فى الاحاطة لابـــن الخطيب (مخ دى كايانكوس ـ ص 187) النص التالي: « فرجعت الى داري وقلت اخرج الى الوادي الى باب القنطرة اغسل ثيابي من درن السجن وافر الى العدو. فقلت لامراة تغسل الثياب : « اغسلـــي ما علـــي . وجردتها . ودفعت لي زنارا انبسه . فبينا انا كذلك واذا بالخصى قائد ابن مرذنيش (كذا) يسوق سنين (ستين) رجلا من اهل الجبل لابســـين الزنانيـــر .

فرآني على شكلهم فامر بحملي الى السخرة والخدمة(1) بحصن مشقوط عشرة ايام . فقمت اخدم واحفر مدة عشـــرة ايـــام .

الزنط وجمعه الزنـــوط

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ولكننا نقرا لدى ابن اياس (تاريخ مصـــر ، مخ 367 ، ص 390 ، حوادث سنه 840) ــ اشهر السلطان المنادي فى القاهرة بان لا فلاح ولا غلام يلبس (رنط) (كذا) احمر فامتثلوا ذلك. ونقرا بعد ذلك (ص 401): ثم انه نادى (بان ؟) لا فلاحا ولا عبدا يلبس رنطا (كذا) احمر . وكانت الغاسلة اذا طلبت الى ميتة تفعل كما تقدم (2) . وقيل انه راى فى المنام عربا بزنوط (كذا) حمر شاء حتينه (ختينه ؟) .

ان السبب الوحيد الذي حملني على وضع هذه الكملة فى باب الزاي وليس فى باب حرف الراء هـو اعتقادي بان احتمال اغفال وضع النقطة فوق الـــراء اكثر سهولة من اضافتها الى حرف الراء من قبـــل الناسخ . وعلى كل حال ، فانني اعترف بجهلي التام حول نوع اللباس الذي تشير اليه هذه الكلمة .

السبجة ــ السبيج ــ السبيجة

يقول الجوهري (ج 1 ، ص 142) عن سبجـة انها (كساء اسود) ، ويقول القاموس (ط كلكتا ، ص 236) المقالة نفسها ، ولكنه يضيف ان هذه الكلمـــة تشير كذلك الى البقيرة . اما سبيـــج وسبيجـــه ، فالجوهري يقول : البقير واصله بالفارسية شبي وهو القميص . والمعروف ان الكلمة الفارسية سبي تدل على قميـــص النـــوم (اي شميـــز دى نـــوي Une chemise de nuit) ، كما يقول العرب .

السبلـــــة

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

وهي الثوب الاول من الثياب التي تتالف منهـــا التزييرة ، اى الزى الذي تلبســه النساء فى مصر فوق

---

(1) لقد لاحظت فى موضع آخر فى (الصحيفة الآسيوية ــ 4 ــ ج 3 ــ ص 400) من المحتمل كثيرا ان كلمة خديم تشير الى جندي . والواقـــع ان مويـــت Mouette يؤكد فى كتابه (نهايـــة غزوات مـــولاى Archy ان رماة السهام فى مراكش يسمون Le Codem الخديم . فمن السهولة اذن أن نرى ان كلمة Le Codem ليست سوى الكلمة العربية الخدام ــ وهي جمع خادم ــ والكلمة لها معنى كلمة خديم . وكلمة خدمـــة الموجودة فى نصنا ــ تؤخذ بمعنى خدمة عسكرية . وابن الخطيب (مخ دى كايانكوس ــ ص 110) حين يتحدث عن احد القواد البارزين ــ يعربعن فكرته بهذه الكلمات : « كان له فى الخدمة مكـــان كبير وجاه عريض » . ولعل هذا يجعلنا نفكر بوجوب ترجمة الجملة هكذا : فى الخدمة بوصفه جنديا. وبعد ذلك يجب ترجمة الكلمتين العربيتيـــن (فقمت اخدم ــ هكذا : فقمت اخدم فى هذه القلعـــة بوصفي جنديا . ومع ذلك فلا اعتقد بلزوم تـــرجمة هذه الجملة على هذا المنوال . والصيغة الثانية لفعل خدم تؤخذ على ان لها عدة مفاهيم عبثا يبحث عنها الباحثون فى قواميسنا . وتستعمل بمعنى اشتغل وعمل . فنحن نقرا فى رحلة ابن بطوطة(مخ دى كايانكوس ــ ص 196) : وكان يخدم اصحابه ومماليكه فى خدمة البستان وبنائه ويقول : لا ارضى ان ياكلوا طعامي وهم لا يخدمون . وكلمة خدمة تؤخذ كذلك بمعنى اشتغل وعمل ــ فنحن نقرا لابن سعيد لدى فريتاك : (قـــادرا على الخدمة) . ونطالع لدى ابن بطوطة (مخ ــ ص 201) : كان عبيده يخدمون تلك الارض نهارا . وقـــد راينا فى نص ابن بطوطة المتقدم ان كلمة خدمة قد استعملت بمعنى الفلاحة فى بستان . واخيرا فان هذه الكلمة تستعمل بصورة خاصة فى معرض الحديث عن اعمال البنائين والفعلة الآخرين . ويقدم لنا ابن بطوطة (مخ . ص 86) النص التالي : « ولما بنى اساسه رفع عن اهل المدينة التخديم فيـــه . وصارت الفعلة تخدم فيه (فيها) بالاجرة . وكلمة تخديم الموجودة فى هذا النص الاخير ستبرر لفظي خدم بالصيغة الثانية فى الامثلة المتقدمةوفى نصنا المقتبس من ابن الخطيب ــ الذي لـــه فى الحقيقة شبه كبير بنص ابن بطوطة الاخير .

(2) راجـــع كلمـــة عصابـــة .

ابوابهن الاخرى ؛ حين يبرزن من منازلهن . ونحن نقرا في وصف مصر (ج 18 ، ص 113) : « السبلة قميص كبير من التفتا يغطي كافة الملابس » . « الا الحبرة والبرقع ، فهو يغطي جميع الملابس التي ترتديها النساء في البيوت » « وتتدلى حتى الارض . والنساء يلبسن السبلة عند خروجهن من دورهن ، سواء رحن الى الحمام او قمن بزيارة . وهن لا يخلعنها الا اذا رجعن خلعها من ادين الزيارة لها ، لا سيما اذا كانت من علية القوم » . ويؤكد لين في كتابه (المصريون المحدثون ؛ ج 1 ، ص 61) ان هذا اللباس كساء واسع هفهاف ، وانه يسمى بالثوب فيساوي على وجه التقريب طوله بتمامه ، وهو مصنوع من الحرير ، ويكون عادة قرنفلي اللون ، وقد يكون ذا لون وردي او بلون البنفسج . وليس هناك ادنى ريب بان هذه الكلمة مشتقة من فعل اسبل .

السبنية

ان هذه الكلمة هي بالتخصيص اسم جنس جمعي مؤنث من كلمة سبني ، وهي تشير الى اقمشة مصنوعة في سبن Saban (مدينة قرب بغداد) . ولكن كلمة سبنية في المغرب تدل على حزام او منطقة (Strophium) . هكذا يرى دونباى في كتابه (النحو المغربي العربي ، ص 82) (1) .

التساخين

يرى اللغويون العرب ان هذه الكلمة تدل على نوع من الخفاف وعلى ضرب من الطيلسان .

السدوس او السدوس

حول النطق بهذه الكلمة بوسعكم مراجعة تعليقة للعلامة الجليل هامكر المثبتة في كتاب فيرس المعنون (ابن زيدون ؛ لدى الفتح بن خاقان ، ص 128) .

وهذه الكلمة تدل في مذهب اللغويين العرب ، على طيلسان اخضر .

وهناك بيت لابي عبيدة ، يرويه ابن الخطيب .

راجع (هامكر في كتابه القيم) . وارجع الى الجوهري احول كلمة سندس، ج 1 ، مخ 85 ، ص 42)، وانظر شارح ابن خاقان لدى فيرس ، كتابه القيم ، (ص 37 و 126) ، وهذه كلمات البيت (الطويل) :

وداويتها (2) حتى شتت حبشية
كأن عليها سندسا وسدوسا

« لقد عالجتها بحيث انها الان تستطيع قضاء الشتاء كامراة حبشية (اى : تكاد تكون عارية) ، وبوسعها القيام بهذه العملية بكل امان واطمئنان ، كما لو كانت مكتسية بالحرير او بالسدوس » .

ويخيل الينا ان بوسعنا ان نستخلص من هذا البيت ان السدوس كانت ترتديه النساء في الشتاء بصورة خاصة ، ليقيهن من البرد .

السيدارة

اننا نقرا في القاموس (ط كلكتا ـ ص 549) ان السيدارة هي الوقاية تحت المقنعة والعصابة . اذن فهي نوع من الطاقية .

السربال

انني لا اجرؤ على التاكيد ـ كما صنع فريتاك ـ بان هذه الكلمة هي تحريف للكلمة الفارسية شلوار ـ فهي على اقل تقدير لها معنى آخر مغاير كل المغايرة . ويرى القاموس (طكلكتا ـ ص 1470) ان السربال هو : القميص او الدرع او كل ما لبس . ونجد كلمة سربال مفسرة في شرح اشعار جرير (مخ 633 ، ص 311) بكلمة قميص . ويرى كانيس في كتابه

---

(1) ان كلمة سبنية تدل كذلك على قطعة قماش او على منشفة . ويفسرها المطرزي في كتابه (الاقناع ، مخ معهد البلاد المنخفضة ، رقم 73 ، ص 64)بكلمة شقة . ويقول ابن بطوطة (مخ دى كايانكوس) « ثم جاء احد الفتيان ببقشة . والبقشة بضم الباء الموحدة وسكون القاف وفتح الشين هي السبنية (المعجم) . وبوسعكم مراجعة تعليقات كاترمير حول كلمة بقشة . وقد سبق لي في الصفحة 95 ان المعت الى هذه الكلمات .

(2) في مخطوطة ابن قتيبة نجد (وداريتها) ، و Hamaker يفضل هذه الكلمة ، ومع ذلك فان الجوهري وشارح ابن خاقان متفقان على كلمة النص ، وهي تعطي معنى افضل .

(النحو العربي الاسباني ـ ص 171) ان كلمة سربال تشير الى قميص او الى قباء ابيض يرتديه الجنود والحوذيون لوقاية ملابسهم من الادران .

السرموز ـ السرموزة ـ السرموج ـ الزرموزة ـ الجرموق

ان هذه الكلمات جميعا ان هي الا تحريفات للكلمة الفارسية سرموزه ـ وهي نوع من طماق ـ اى من غطاء من لباد للساق يلبس فوق الخف . وكانت كلمة جرموق تلفظ قديما (جرموق) ـ وهي الكلمة التي يشرحها الجوهري (ج 2 ، مخ 85 ؛ ص 111) بانها الخف الواسع الذي يلبس فوق الخف) . ولكن يبدو ان كلمة سرموز قد استعملت فى العصور المحدثة للاشارة الى ضرب صندل ـ نعل Sandale او ربما لتدل على شبشب تلبسه النساء فوق اخفافهن . وفى ايامنا هذه يستعمل البابوش او البابوج نفس الاستعمال . فنحن نقرا لدى المقريزي (وصف مصر ؛ ج 2 ، مخ 372 ؛ ص 360) : « وبه الى الان سكن بياعي اخفاف النساء ونعالهن التي يقال للنعل منها سرموزة . هو لفظ فارسي معناه راس الخف . فان سر راس وموزه خف . وارى اننا ميالون الى الاعتقاد ـ تحت طائلة نص المقريزي هذا ـ الى ان السرموزة لم تكن تلبسها الا النساء ـ ولكنها كانت تلبس ايضا من قبل الرجال ـ خلال القرن السادس عشر على الاقل ـ عندما كتب كتاب الف ليلة وليلة . (راجع ط مكناكتن ـ ج 2 ، ص 65 ؛ ـ وطها بيخت ـ ج 2 ، ص 34) .

ويبدو ان هذه الكلمة لم تعد تستعمل فى مصر ومع ذلك ينبغي ملاحظة ان الكونت دي شابرول فى كتابه (وصف مصر ـ ج 18 ، ص 109) قد ذكر البابوج والسرمه ـ وهما من الاحذية المصنوعة من الجلد المراكشي التي توضع فيها القدم مغطاة بالمز Mest (راجع كلمة مز) . فحين يدخل الداخلون الى احدى القاعات المفروشة بالسجاجيد يخلعون بوابيجهم والسرمه : هذا ما تقتضيه الآداب . فهل يحق لنا ان نستنتج بأن كلمة سرمة اختصار لكلمة سرموزه ؟ .

السراقيل

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ولا ادري معنى هذه الكلمة بأي وجه من الوجوه . ولكننا نقرا لدى المقريزي (وصف مصر ـ ج 2 ، مخ 372 ، ص 347) ان العواهر كن يلبسن السراقيل الحمر فى ارجلهن (وفى ارجلهن سراقيل حمر) . وان المخطوطة التي تحمل اشارة الباء ((B)) تذهب المذهب نفسه .

السروال ، الشروال ، السرول ، السراويل

اننا نقرا فى صحيح البخاري (ج 2 ، مخ 356 ، ص 167) ان النبي صلى الله عليه وسلم قد حرم على من يحج الى مكة ارتداء السراويل . ويجب ان نحل محل كلمة السراويل الازار ، فاذا لم يستطع الحاج ايجاد الازار فيجوز له ارتداء السراويل . وهكذا نرى ان كلمة سراويل مشتقة من الكلمة الفارسية شلوار ، وكانت مستعملة منذ العهود الاسلامية الاولى .

والسراويل كانت شائعة الاستعمال فى الاندلس. فهناك عدة مؤلفين عرب من شبه الجزيرة هذه قد تحدثوا عنها ، والاسبانيون قد صاغوا كلمتهم (zaraguelles çaraguelles) من الكلمة العربية .

وفى المغرب كذلك يستعمل هذا اللباس . فنحن نقرا فى كتاب دييكو دى هيدو (خطط مدينة الجزائر ؛ مج 2 ، ص 28) : « ان النساء يرتدين جميعا لدى خروجهن من منازلهن تلك السراويل الكتانية ، التي يجعلنها ناصعة البياض للغاية بمفعول الصابون ؛ وهي تتدلى حتى تصل الى مواضع اقدامهن » . ويتحدث دارفيو فى كتابه (المذكرات ، ج 5 ، ص 289) عن رجال مدينة الجزائر فيقول : « ان لبعضهم قمصانا وتبابين (سراويل) ومعظمهم لا يملكونها قط ، وخصوصا فى فصل الصيف ، فان حرارة الطقس تعفيهم من هذه النفقات . اما مغاربة الريف ، الذين هم علماء القوم وفقهاؤهم فان لهم على الدوام اقمصة وسراويل تكريما لهم واعترافا بفضلهم ، وهم يلبسونها احتشاما » . وبعد ذلك (ص 285) : « ولبعض النساء من عليه القوم سراويل » . ويذكر دييكو دى هيدو كذلك (ص 8 ، مج 2) سراويل القنب لسكان مدينة الجزائر. ويقول مارمول فى كتابه (وصف افريقيا ، ج 2 ، ص 102 ، مج 2) فى معرض حديثه عن الرجال فى فاس : « يرتدي كل منهم سروالا من القنب يتدلى حتى كعبي قدميه ، وهو ضيق للغاية من اسفله » .

والسروال القديم (او دى شوس (Le haut-de-chausse الذي يلبسه الرجال فى

مدينة فاس وارد ذكره كذلك لدى دييكو دي توريس في كتابه (قصة الشرفاء ، ص 85) . كما نجد لدى غليوم ليتغوف (ص 17 ، ج 2 ، رحلات بريسة في القرن التاسع عشر (Guillaume Lithgouve) ان « الرجال والنساء في مدينة فاس يرتدون السراويل (Lange broecken) في حين ان كعب القدم مكشوف » . ويؤكد مارمول (ج 2 ، ص 103 ، مج 1) : « ان النساء في فاس ، لا سيما الاسبانيات الاصل يلبسن لدى خروجهن من بيوتهن ، سراويل مفرطة في الطول ، يطوينها طيات متعددة ليظهرن جمال السيقان حسب اهوائهن (Para proporcionar la pierna) ما دامت هذه الثياب (Las marlotas) لا تصل الا الى منتصف الساق » . واذا آمنا بما يقوله دييكو دي توريس (ص 86) فان النساء في مراكش يرتدين السراويل التي هي واسعة من الجهة العليا وتضيق من الجهة السفلى ، وتتدلى حتى ربلة الساق » . ومع ذلك فان مارمول (ج 2 ، ص 33 ، مج) يلاحظ بنفاذ بصيرة ان نساء مراكش لا يرتدين مطلقا هذا الثوب : « No acostumbran traer çaragueles como las de Fez »

وحتى الرجال في فاس لم يكونوا يرتدون هذا اللباس ، اذا كان ليون الافريقي يقرر الحقيقة في كتابه (وصف افريقيا ، ص 319) . واخيرا فاننا نطالع في كتاب هوست (اخبار من مراكش ص 117) : « اما الاغنياء فيرتدون سروالا من القنب الابيض ، الذي يدعى سرولا Serûal والذي هو في معظم الاحوال واسع فضفاض باسراف . واما البحارة فيرتدونه عادة من الجوخ . راجع اللوحة الخامسة عشرة ، الشكل الثاني » .

وكل ما اعلمه ان المغاربة ليست لهم كلمة اخرى للدلالة على هذا اللباس ، وليست الحالة على هذه الشاكلة مطلقا في مصر ، كما سنبرهن على ذلك بعد قليل ، اذ تستعمل كلمة لباس للاشارة الى ما تشير اليه السراويل بالذات ، وحتى في ايامنا هذه ، فان كلمة لباس شائعة الاستعمال للدلالة على السروال او التبان فقط . (راجع كلمة لباس) . ويقرر الكونت دي شاربول ان كلمة شروال (كذا) تشير الى سروال مملوك ، وهذا السروال احمر ومصنوع من الحرير البندقي » . (وصف مصر ، ج 81 ، ص 107) . وفي هذه العبارة يجب احلال كلمة بنطلون Pantalon — محل كلمة كيلوت Culotte . راجع الصورة في كتاب وتمان (رحلات الى تركية الآسيوية وسورية ومصر ، ص 242) .

ويبدو ان بدو مصر لا يرتدون التبان ولا السروال ولا البنطلون ، لا رجالهم ولا نساؤهم .

ولنمض الان من مصر الى سورية .

يقول بلون في كتابه (ملاحظات ، ص 327) في الفصل الذي عقده حول مدينة الناصرة . « لا يلبس اهلها الذكور التبابين مطلقا ولا يستعملون الجوارب ولا يرتدون السراويل ، ولكن نساءها يرتدين هذه الملابس جميعها ، تماما كما يصنع الاتراك » .

ويؤكد روولف في كتابه (وصف حقيقي للرحلات ص 49) : « ان سكان طرابلس الشرق يلبسون وبصورة خاصة في موسم الصيف ، سراويل من القطن واسعة فضفاضة بيضاء بياض الثلج ، وهي تتدلى حتى كعب القدم ، وانها محكمة الضيق من الاسفل وليست كذلك من الاعلى . وهي كذلك محرومة من الرافعات الخافضات ، لاستطاعة غسل الاعضاء الطبيعية (العورة) والاقدام بدون عائق ، اثناء التطهرات الشرعية اليومية ، التي يغسل القوم خلالها سواعدهم وايديهم فيما يغسلون » . وبعد ذلك (ص 50 ، 51) يقول هذا الرحالة عن نساء هذه المدينة ، انهن يرتدين سراويل واسعة شبيهة بسراويل الرجال . وهن يجعلنها طويلة بحيث انهن يدرجن ثيابهن في هذه السراويل من الاسفل احيانا . وتصنع عادة من النسيج الرقيق اللين . وتتالف بحلاوة واناقة من عدة الوان ، وقد طرزت اذيالها الجانبية بتطريزات بديعة » . ويذكر المؤلف نفسه اخيرا بعد ذلك (ص 133) وهو يصف زيه الذي تزيا به للسفر من حلب الى بغداد ، فيقول ان « بنطلونه من القطن الابيض الهابط الى كعب قدمه » .

ويقول داندیني (رحلة من جبل لبنان ، ص 46) عن رجال طرابلس : « انهم يسترون سيقانهم بالسراويل العريضة المصنوعة من القنب او من نسيج آخر ، وهي تتدلى حتى الاقدام » . وبعد ذلك (ص 48) : « وتستعمل النساء كذلك السراويل » . ويذكر دي برين ايضا (الرحلات ، ص 362 ، الخ) : « سراويل نساء حلب التيلية » . ولكنه يضيف قائلا : « على انهن يرتدين السراويل المصنوعة من اقمشة اخرى ، حسب متطلبات الموسم » . انظر هيئة هذا اللباس في الشكل المرقم 189 . ويقول دارفيو في مذكراته (ج 6 ، ص 425) بأن « نساء حلب يرتدين السراويل الطويلة كما يرتديها الرجال » . ويصف لايت في كتابه (رحلات الى مصر والنوبيا والارض المقدسة وجبل لبنان وقبرص ، ص) متحدثا عن

رحلته من يافا الى الرملة والى اورشليم ، ازياء البغالة المسمى واحدهم (مكاريا) (1) فيقول : « ان الشرويل Le sharweel او السروال ، الـ كيلوت La culotte واسع فضفاض ، وهو يتدلى حتى الركبتين ، وقد صنع من الجوخ الأخضر » .

ويقرر دارفيو فى كتابه (رحلة من فلسطين صوب الامير الاعظم ، ص 206) : « ان امراء وشيوخ البدو فى سورية يرتدون فى موسم الشتاء السراويل من التيل ، كما يرتدونها فى الصيف » . (المرجع السابق ص 208 ، انظر المرجع السالف ، ص 174) . « وللسيدات سراويل من الموصلي وهي مطرزة بالحرير من اطرافها وفى مواضع الخياطة » . (المرجع السابق ايضا) « ويرتدي سواد العرب سراويل من التيل » . (ص 211) .

اما عرب الطبقة الوسطى فى اليمن فيرتدون ، حسب رواية نيبور فى كتابه (وصف الجزيرة العربية، ص 58) ، سراويل واسعة . واما عرب الطبقة العليا فيرتدون السراويل ايضا (المرجع السابق ، ص 60). ويرتدي بعض سواد العرب السراويل كذلك . وتستعمل النساء فى المناطق الجبلية هذه السراويل كذلك (المرجع السابق ، ص 61) وسراويلهن مصنوعة من التيل الأزرق ببعض التطريزات الملونة .

ويخبرنا علي بيك فى كتابه (اسفار ، ج 2 ، ص 106) ان نساء مكة يرتدين « سراويلات هائلة ، تتدلى حتى بوابيجهن بل تدخل فيها ، او قد تندس فى خفافهن ، وهي مصنوعة من القطن المخطط المجلوب من الهند » . ويقول بركهارت فى كتابه (اسفار فى الجزيرة العربية ، ج 2 ، ص 339) : « ان لهن سراويل زرقاء ومخططة واسعة بافراط تصل حتى كعوب اقدامهن ، وهي من الاسفل مطرزة بالفضة » . وقد شاع استعمالها بصورة عامة حتى بين رجال مكة . (راجع علي بيك ، ج 2 ، ص 108 مع بركهارت ، ج 1 ، ص 336) .

واننا واجدون هذا اللباس فى الاقطار الشرقية فقد ذكر بكنكهام فى كتابه (رحلة الى بلاد الرافدين ، ج 1 ، ص 6) الشروال المصنوع من الجوخ الازرق ، Sherwal . (وتجدون ان هذا الرحالة يلفظ كلمة شروال بالشين كما يلفظها الكونت دى شابرول) . راجع بيترو دلا فاله (رحلة الى تركيا وفارس ، ج 1 ، ص 161) .

وقد انتشر استعمال هذا اللباس بصوره عامة فى الجزيرة وفى العراق العربي . اذ يعرض لنا رووولف فى كتابه (وصف حقيقي للرحلات ، ص 190) وصفا رائعا يبعث على التأمل حول رحلته الى مناطق الفرات. وبعد ان يتحدث عن مدينة Schara الصغيرة وقبل ان يتكلم عن عنه ، يصور لنا من يسميهم Moren الذين يقارنهم بمن يدعون Zigeuner (الغجر) . ولعلهم البدو ممن يعرفون ببني سعيد ، ما دام فريزر فى كتابه (رحلات الى كردستان وبلاد ما بين النهرين الخ ، ج 1 ، ص 366) يسميهم قبيلة بني سعيد Beni Saeed ، وهم العرب الذين يوجدون اكثر ما يوجدون فى الشمال على الفرات ، فى شيرين Shereen . ويقول رووولف بهذا الصدد : «ان الرجال لا يرتدون السراويل ، ولكن نساءهم وحدهن يرتدينها، وسراويل هؤلاء النسوان معظمها من اللون الازرق ، وهي تصل الى كعوب اقدامهن ، مثلهن مثل النساء التركيات » .

---

(1) تتواجد هذه الكلمة كثيرا لدى الرحالين . ونجدها محرفة الى Mucrelli فى قصة بومكاراتن فى كتابه (الزيارة ، ص 57) . وللمؤلف جان زوالار فى كتابه (الرحلة المثلى الى اورشليم ، ص 72 – 74) فصل تام عنوانه المكارون : Des Mouqueres ، حيث يقص علينا كيف يتحتم على زوار بيت المقدس التصرف مع هؤلاء الرجال . ويبدأ الفصل على هذا المنوال : « ان المكارين هم اولئك الذين يعلفون ويواجرون الحمير التي يمتطيها النصارى للتجول فى الحقول ، من مكان الى آخر ، وهم يقومون بخدمة ومتابعة هؤلاء الزوار ، كما يقوم بنفس العملية من نسميهم الفيتوريين فى ايطاليا Vetturins . ولكن المكارين اشد بربرية من اولئك الايطاليين ، اذ انهم رجال قساة ضعفاء المروءة : ومعظمهم يدعون انهم نصارى : ولكنهم من اولئك المارونيين المسيحيين ذوي الانطقة . وهم ليسوا الطف ولا ارق من العرب ، ولا تستطيع تمييزهم من العرب الا بقبعاتهم السوداء الموضوعة على رؤوسهم، وهذه القبعات غير مغطاة بقماش ابيض كقبعات المغاربة المحمديين ولا كقبعات العرب » .
ومن كلمة المكاري وضع البرتغاليون والاسبان كلمتهم المكرف : Almocreve .

وسأتحدث فى قابل الصفحات عن تعبير سراويل الفتوة . (انظر كلمة لباس) .

السقمان

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ويحدثنا المقريزي فى كتابه (وصف مصر ، ج2 مخ 372 ، ص 350) ان الامراء والجنود والسلطان نفسه كانوا يلبسون ، ايام حكم السلالة التركية (الجركسية) فوق الخف ، السقمان (وفى ارجلهم من فوق الخف سقمان وهو خف ثان)

السلارى

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

وكان السلارى او القباء السلارى (قباء الامير سلار) هو اللباس الذي كان يسمى فى غابر السنين (بغلطاق) . راجع هذه الكلمة .

السلطة

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ويرى لين فى كتابه (المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص 58) ان هذه الكلمة تشير الى سترة Jaquette تصنع عادة من الجوخ او من القطيفة ، وهي مطرزة على طراز تطريز الجبة ، ان النساء فى القاهرة يرتدينها فى غالب الاحيان بدل الجبة . ويكتبها فيسكيه (سلته) فى كتابه (رحلة الى الشرق، ص 41) ، ويشرح هذه الكلمة بأنها سترة فوقانية للرجال والنساء .

السليفة

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ويقرر هوست فى كتابه (اخبار من مراكش ، ص 119) انها نوع زينة او اكليل للراس يشبه العذبة وتستعمله النساء فى مراكش . ويكتب كرابردى همسو الكلمة (سفيفه : Sfifs) فى كتابه (المرآة الخ — ص 80) . ولكن ربما كانت هذه الكلمة خطأ مطبعيا .

المسماة

هل تكون المسماة طماقا اى غطاء من لباد للساق والحذاء ؟ لاننا نقرا فى القاموس (طكلكتا ، ص 1895): « واستعمى الصائد لبس المسماة للجورب او استعارها لصيد الظباء فى الحر وطلبها فى غيرانها عند مطلع سهيل » .

السنتبر

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ويحدثنا دابر فى كتابه (وصف حقيقي لاقاليم افريقيا ، مج 1 ، ص 341) ان احد الخدام الذين رافقوا سفراء ملك فارس ومراكش ، والذين وجدوا عام1659 فى امستردام ، كان يرتدي « ثوبا مبطنا بالفرو ، مفتوحا من الجهة الامامية ومزودا بقبع كبوشي يتدلى على الظهر ، وله كمان مسدلان . ومن هذين الكمين تدخل الذراعان احيانا . ومن الاعلى الى الاسفل من الجانبين الامامين توجد قطع حمراء صغيرة ومستديرة مع شرائط مبرومة او قياطين فى الوسط تصلح لربط هذا الثوب ، وهم يشدون الاقسام العليا منها بصورة خاصة . وهذا الثوب يدعى لديهم sant à barre (سانتابار) كما يسمى كبوطا kabbout (راجع كلمة كبوط) ، وهو يرتدى فى اغلب الاحيان من قبل البحارة وخصوصا فى الشتاء . والحقيقة انه لباس مريح ملائم لاولئك الذين يتحتم عليهم ان يعملوا ، ذلك لانهم يخلعونه ويلبسونه بيسر وبسهولة » .

وانني اعتقد ان هذه الكلمة اسبانية الاصل ، ولكن حتى يومنا هذا لم استطع اكتشاف الكلمة الاسبانية التي شملها الافساد والتحريف فتحولت الى (سانتابار sant à barre) .

السياج

هذه الكلمة حسب مذهب القاموس (طكلكتا ، ص 240) هي الطيلسان الاخضر او الاسود (الطيلسان الاخضر والاسود) (1) .

(1) قال المؤلف فى ترجمة هذا النص : الاخضر او الاسود (المترجم) .

السيقـــان

ان هذه الكلمة ، وهي جمع ساق ، تشير بصورة خاصة الى (السيقان) ، ولكن يجب اضافة الى القاموس ان تؤخذ كذلك بمعنى السروال الواسع بافراط . ويترجم بيدرو دى الكالا (Pedro de Alcala) في كتابه (مفردات اسبانية عربية) (vocabulario Español-Arabigo) كلمة ساهون (çahon) بكلمة سيقان ، واعتقد ان الكلمة الاسبانية ساهون ليست سوى تحريف للكلمة العربية سيقان ، ويبدو ان العلماء الاسبان في عهد كوبارو فياس (Cobarru vias) قد حكموا نفس هذا الحكم ، وعلى كل حال ، فان هذا اللغوي يؤكد ان كلمة ساهون هي عربية الاصل .

الشامـــي

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس، بالمعنى المراد.

في كتابه (اسفار (Lyon) ويقرر القبطان ليون في افريقيا الشمالية، ص 117) .
(Travels in Northern Africa)

« ان النساء في مرزوق يرتدين اقمصة من الحرير المخطط الذي يطلقن عليه اسم الشامي . ويضيف هذا الرحالة ان الناس في هذه المدينة يرتدون هذه الاقمصة المصرية ، ولكن ، لما كانت كلمة شامي تعبر عما هو وارد من سورية ، فانني اعتقد ان هذه الانواع من القمصان مصنوعة في سورية ، وانها تعبر هذا القطر الى مصر ، وان سكان مرزوق يظنونها صناعة مصرية ، ذلك لانهم يبتاعونها من تجار مصر . ويخيل الي ان الناس قديما كانوا يقولون (قميص شامي) ، ولكن غبرت ازمان فغبر معها اسم قميص وظل اسم شامي باقيا ليعرب عن القميص الحريري المخطط .

الشايـــة وجمعهـــا الشيـــات

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

وقد استعار عرب الاندلس هذه الكلمة من جيرانهم المسيحيين . استعاروها من الكلمة الاسبانية سايا وسايو (اعتبرهما المؤلف كلمة واحدة فجاريناه ـ المترجم) .

التي هي كما تعلمون ، مشتقة بدورها من الكلمة اللاتينية ساكوم Sagum . ويترجم بيدرو دى الكالا في كتابه (مفردات اسبانية ـ عربية) كلمات Sayo de muger بكلمة شاية ، وجمعها شايات ، ويترجم على نفس النمط كلمات Sayo de paron ونحن نعلم ان كلمة Sayo تشير الى عباءة واسعة لا ازرار لها ، ويرتديها القرويون الاسبان » . اما Saya فهي تنورة امراة (1) .

ونحن نقرأ في الاحاطة لابن الخطيب (مخ دى كايانكوس ، ص 178) ، عن حياة محمد الاول ، ملك غرناطة : « وحدث ابو محمد البسطي . قال : « عاينته يوم دخوله وعليه شاية ملف مضلعة اكتافها مخرقة » . وان كلمة مضلع ، الواردة في هذا النص ، تؤخذ على ان لها معاني متعددة ، كما بمقدورنا ان نرى مصداق ذلك في القاموس ، لدى كلمة مضلع . راجع حول كلمة ملف الصفحة 112 من هذا الكتاب ، موضوع الجبة .

وقد دخلت كلمة Sayo كذلك الى لغة المندنكو . وهذا الشعب يلفظها Saio . (راجع مكبرير في كتابه (قواعد اللغة المندنكية ، ص 42) (2) .

الشد وجمعه الشدود

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس ـ بالمعاني المنشودة .

ويرى دابر (وصف حقيقي دقيق لاقاليم افريقيا ـ مج 1 ، ص 240) ان كلمة Sjed او Sied تشير الى قطعة قماش من القطن الرقيق التي يلف بها الراس والتي تستعمل لتاليف العمامة . ويؤكد هوست في كتابه (اخبار من مراكش ـ ص 114) كذلك ان كلمة شد تدل على ما يشير الى العمامة ـ ومعنى ذلك قطعة من الموصلى ـ او من قماش ابيض رقيق آخر ـ يسطح ويرقق فيتخذ منه الناس عدة لفات فنية تسوى فوق العرقية الحمراء (شاشية) . ويبلغ سعرها خمسة ماركات وقد يصل احيانا الى خمسة دوكات » . ويقول هوست ان هذا التاج لا يرتدى الا

---

(1) كلمة صاية دارجة في اللغة العراقية الدارجة .
(2) لغة شعب مالي ؟ (المترجم) .

من قبل الاشراف والحجاج (زوار مكة) والقضاة والرؤساء وطلاب العلم والفقهاء (1) . ويقول مارمول في كتابه (وصف افريقيا – ج 2 ، ص 102 ، مج 3) عن سكان فاس : « لبعضهم عادة الاعتمار بالقلانس (Tocas) الرقيقة البيضاء – وهي مقدرة لديهم كل التقدير – وهم يسمونها (تونسي (Tunecis ويلفونها ست او سبع لفات حول الراس (2) .

وكلمة شد لها نفس المعنى في مصر – كما اثبت ذلك كاترمير بالاستناد الى نص لابن اياس (تاريخ السلاطين المماليك – ج 1 – ق 1 – ص 150) . والشد يشير كذلك في هذا القطر الى : حزام من القطن الابيض البعلبكي (الشد البعلبكي – المرجع السابق) . ولكلمة شد معنى آخر ايضا – فهي تشير الى قطعة قماش تلف بها الرقبة وقاية لها من البرد او الحر – فهي بمثابة رباط Cravate فنحن نقرأ في كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 1 ص 409) : « البسه قميصا رفيعا وثوبا من ثيابه وعمامة لطيفة وحزاما رفيعا ولف له شدا على رقبته» . ونلاحظ هنا بسهولة ان المسألة ليست مسألة عمامة: ذلك لان العمامة قد ذكرت باسمها – ثم ان العمامة لا تلف حول العنق – الا لاظهار الخضوع والطاعة والاستسلام – وعلى ذلك فان هذا الشاب اليافع موضوع بحث نصنا لم يكن ليحمله اى شيء على اظهار هذه الحالة . واخيرا فان هذا المعنى الذي اعزوه في هذا الموضع الى كلمة شد قد ثبت بالبرهان – كما يبدو لي – وذلك بتوافر العدد الكبير من نصوص الرحالين الاوربيين . فنحن نقرأ لدى كوتو فيك في قصته (رحلة – ص 485) : « كانوا اثناء السفر يحيطون رقابهم بقطع من القماش او بالمناديل (Linteola vel sudario) حماية لانفسهم من لفح الشمس » . ونقرأ في الكتاب المعنون (قصة رحلة في مطلع عام 1210 – ص 209) : « يلفون مناشف من التيل حول اعناقهم » . ويعبر روجيه عن الموضوع في كتابه (الارض المقدسة – ص 204) بهذه الكلمات: « يضعون تحت العمامة وفوق رؤوسهم خمارا واسعا من الحرير الاسود – ويلفون به العنق عدة لفات فيتدلى حتى الاكتاف» . (راجع الشكل 1 – ص 206).

ويقول بوكوك في كتابه (وصف الشرق – ج 1 ، ص 327) : « ان شعب مصر يلف حول رقبته قطعة قماش زرقاء اللون تكون مفرطة في السعة احيانا . وهو يغطي بها الراس ايضا – وقاية من البرد ومن اشعة الشمس » .

ونجد في كتاب لين (المصريون المحدثون – ج 1 ، ص 41) : « وفي الشتاء يضع كثير من الناس حول رؤوسهم واكتافهم شالات من الموصلي او من قماش آخر – شبيه بالنسيج الذي يستعملونه لتكوير العمائم » .

المشدة

ذكر فريتاك (المشدة هي التاج – اذا صحت قراءة نص « تحفة الاخوان ») . ولعل كلمة مشد تشير كل الاشارة الى تكويرة راس شبيهة بالعمامة او بالاحرى شبيهة بالشد . وعلى اقل تقدير فان الكلمة موجودة في اللغة العربية للدلالة على : طرحة مشدودة حول رقبة الحصان . (المقريزي – تاريخ السلاطين المماليك – ج 1 – ق 1 – ص 150 .

الشوذر

اننا نقرأ لدى الجوهري (ج : – مخ 85 – ص 309) : « الشوذر الملحفة . وهو معرب . واصله بالفارسية جاذر » (كذا) . كما نطالع في القاموس (طكنكتا – ص 562) : « الملحفة معرب » . والحقيقة ان الشوذر هو الكلمة الفارسية جاذر – وهذا اللباس يماثل كل المماثلة – من حيث الهيئة – الرداء الواسع او خمار المراة – وهو ما نسميه بالملحفة . والشوذر او الجاذر مستعمل في العراق العربي وفي فارس . فنحن نقرأ في القصة المكتوبة باللغة الاسبانية – لمؤلفها البرتغالي الرحالة Teixeira تيخيرا (رحلات من الهند الشرقية الى ايطاليا – ص 121) : « ان جميع النساء الدارجات في الدروب والازقة (جميع نساء بغداد) مستورات بقطع من القماش تشابه الارز (Como mantos) ويدعى احدها Chaudel

(1) تشير كلمة رئيس الى ربان السفينة . راجع كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن – ج 1 ، ص 93 – 95– الخ . ونحن نصادف هذه الكلمة بهذا المعنى في كافة قصص الرحالين تقريبا – هؤلاء الرحالة الذين زاروا الشرق في مختلف العهود – ومع هذا فان هذا المعنى لم يرد له ذكر في القاموس .

(2) تونسي (نسبة الى تونس . راجع كلمة دراعة – التعليق 2) .

ومع ذلك فان لون هذا الازار ليس اسود » . (كما هو في اسبانيا والبرتغال) . وفي قصة بيترو دلا فاله – ص 752) نقرا عن بغداد : « وختاما فان الازر التي تستتر بها النساء لدى خروجهن من منازلهن تختلف كل الاختلاف عن بقية اجزاء الملابس الاخرى وعن الازر التي رايتها حتى الان : ذلك لان هذه ليست ثيابا من الجوخ – كما هي في القسطنطينية (فراجه) – ولا هي قطع من التيل الابيض – كتلك الموجودة في سورية ومصر (ازار) : ولكن النساء يرتدين بعض القطع المنسوجة من التيل الحاوي على مربعات بيض وزرق – كتلك الملاحف التي ترتديها نفس الطبقة في القاهرة (ملاية – ملاءة) – اما نساء الطبقة الاعلى فيرتدين الاقمشة الحريرية من نفس اللون . وهذه الملابس غاية في الرقة والنعومة والسعة والفضفضة – نظرا للحرارة اللاهبة التي تخيم على هذا القطر . واخيرا فان نساء الطبقة العليا يلبسن – كما تلبس زوجتي الحسناء معاني (Maāni) نفس الاقمشة التي هي احادية اللون – فهي اما بنفسجية خالصة – او زرقاء عاتكة – مع بعض الشرائط حول الحواشي التي تكون من لون مغاير . وهذا اللون داكن ايضا . وهي تشبه كل الشبه الازار الذي ترسم به سيدتنا مريم العذراء Notre Dame » . ونحن نطالع في قصة الاب باسيفيك (رحلة من فارس – ص 412) قوله : « اما اللباس فهو متماثل من الجهة المظهرانية لدى جميع النساء الفارسيات) فهن لا يملكن الا كفنا واسعا ابيض اللون يسترهن سترا شاملا – من الراس الى اخمص القدمين » . ونجد في رحلة اولياريوس (رحلة الى موسكوفيا وبلاد التتر وفارس – ص 819) : « ان النساء (في فارس) لا يسفرن مطلقا عن وجوههن لدى سيرهن في الدروب والازقة – ولكنهن يكن مستورات تحت ازر بيض تصل الى سيقانهن – وهن لا يفتحن منها الا ثقوبا صغيرة في مواضع العيون – وذلك بغية القدرة على المشي . وطالما تغنى شعراء الفرس بهذا الازار قائلين بأن اجساما لدنة غضة بضة كثيرا ما اخفت نفوسا خبيثة شريرة وان تحت مظهر الحياة الصالحة طالما قبع عدد هائل من امهات الرذائل – وقد يستر هذا الازار الابيض في احايين كثيرة – تحت ازياء هي غاية في الروعة والبهاء – امراة هي غاية في القباحة والدمامة » . ونقرا في كتاب تيفنو (تتمة رحلة من المشرق – ص 177) : « اذا طوفت النساء الفارسيات في دروب المدينة فانهن غنيات كن او فقيرات يرتدين ازارا هائلا بل كفنا من التيل الابيض – هو غاية في الرقة والنعومة – ولكن نصفه يعصب جبين المراة حتى عينيها – ويدور فوق الراس – ويصل حتى اخمصيها – اما النصف الآخر فيعصب وجه المراة – تحت العينين ويرتبط بدبوس على الجهة اليسرى من الراس – ويسقط حتى يصل الى نعليها – ويغطي حتى يديها اللتين تمسك بهما جانبي هذا الشراع – بحيث ان المراة تتكيس فيه بتمامها حاشا عينيها » .

ونقرا في كتاب اوليفييه (رحلة الى الامبراطورية العثمانية ومصر وفارس – ص 262 و ج 5) : « تدفن المراة الفارسية نفسها لدى خروجها من بيتها في ازار واسع من النسيج الموصلي او من قماش قطني اقل رقة ونعومة . اما نساء الشعب فيستعملن قماشا من القطن الملون » .

ويؤكد كيربورتر في كتابه (رحلات الى جورجيا وفارس وارمينيا وبابل القديمة – ج 1 – ص 132 – الخ) « نرى النساء (الفارسيات) حين يبرزن من مكامنهن – انهن يمشين مترنحات الخطى – ملفوفات من رؤوسهن الى اقدامهن في شراع آسيوي واسع يدعى بالجادر Chadro » . » .

ويقول المرجع نفسه بعد ذلك : « لدى ذهابي الى القلعة وعند ولوجي في السوق – شهدت بضع نسوة من مختلف الطبقات يمضين لاستنشاق الهواء في كنف الجادر الذي لا يستطيع اختراقه مخترق – ولم يكن سهلا على احد اكتشاف ما اذا كان هذا الكن قد حجب ثروة باذخة ام فقرا مدقعا » . راجع (امراة فارسية مغلفة بجادرها – ج 1 – ص 354) . وفي موضع آخر (ج 1 – ص 208) في معرض وصف ينكشاه (بين اريفان وتكشيفان) : « انهن يلففن اجسامهن بالجادر الذي هو غطاء من القطن الابيض – او من المربعات الزرق والبيض الذي يحيط بهن كما يحيط الكفن بالميت » . واخيرا (ج2 – ص 368) : « ان الجنس اللطيف كله في مدينة بغداد – النساء الغنيات والنساء الفقيرات – يخرجن من منازلهن مرتديات الجادر ذا المربعات الزرق والبيض : في حين ان هذا النسيج باحاطته للجسم لا يترك مجالا للدلالة على اصل المراة العريق التي ترتديه – اللهم الا قطعة من الذهب – مكفتة في احدى حواشيه تومىء ايماء الى نبل محتدها » .

ونطالع في كتاب بكنكهام (رحلات الى بلاد ما بين النهرين – ص 195 – ج 2) : « ان ازياء نساء مدينة بغداد هي كذلك بسيطة بساطة الازياء التي تستعملها

افقر نساء قرى بلاد ما بين النهرين ـ ذلك لان نساء مختلف الطبقات يشتملن بقطع من التيل تحتوي على مربعات زرق وبيض تشبه تلك القطع التي ترتديهـا نساء افقر الطبقات فى مصر (ملاية ـ ملاءة) . ويؤكد فريزر (رحلات الى كردستان وبلاد ما بين النهرين ـ ج 1 ـ ص 119) انه لم يكن فى مقدوره رؤية النساء الكرديات لانهن ـ كما يقول : « لا يظهرن الا على هيئة اكوام من الجوادر او الاغطية الزرق ذات المربعـات البيض والزرق » . ويقول المؤلف نفسه فى موضـع آخر من كتابه (ج 1 ـ ص 378) فى معرض وصفه لبغداد : « ان اغطية النساء الهائلة المصنوعة من التيل الازرق الغامق او من اللونين الازرق والابيض ـ التي تغطي الجسم من الراس الى القدمين ـ تخفـي فى الحقيقة الخصر والقامة والحلة » .

والشعراء والكتاب الفرس يذكرون الجـادر فى مجازاتهم واستعاراتهم وامثالهم ـ ويسرفـون فى التعريض به ويرى القامـوس (ص 562) ان كلمـة شوذر تشير كذلك الى اللباس المشار اليه بكلمة اتب.

الشربيـة

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

وهي كما يذهب اليه دونباى فى كتابه (النحـو المغربي ـ ص 82) عصابة تشدها النساء فى المغرب حول الراس . Strophium capitis .

الشربوش وجمعه الشرابيش والشرابيش

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

وقد سبق لكاترمير فى كتابه (تاريخ السلاطين المماليك ، ج 1 ، ص 245) ان استعار ، من نـص للمقريزي ، الكلمات الجوهرية ، التي تعيننـا بصورة خاصة على فهم هذه الكلمة . واؤمل الا تتضايقوا من ادراج هذا النص بتمامه هنا . فدونكم النص (مخ 372 ، ج 2 ، ص 351) : « واما الخلع فان السلطان كان اذا امر احدا من الاتراك البسه الشربوش . وهو شيء يشبه التاج كانه شكل مثلث يجعل على الراس بغير عمامة ويلبس معه على قدر رتبتـه اما ثـوب نـخ (1) او طرد وحش او غيره . فعرف هذا السوق بالشرابشيين نسبة الى الشرابيش المذكورة . وقد بطل الشربوش فى الدولة الجركسية . وكان بهـذا السوق عدة تجار لشراء التشاريـف والخـلع (2) وبيعها على السلطان فى ديوان الخاص وعلى الامراء . وينال الناس من ذلك ويقتنـون بالمتجـر فى هـذا الصنف سعادات طائلة (3) . فلما كانت هذه الحوادث

---

(1) تشير كلمة نخ الى نسيج من الحرير المذهب . فنحن نقرا فى رحلة ابن بطوطة (مخدى كايانكوس، ص 129) : ولم يبعث الي الا ثوبا واحدا من الحرير المذهب يسمونه النخ بفتح النون وخاء معجـم . وفى موضع آخر (مخ . ص 141) يقول هذا المؤلف ، متحدثا عن جواري الخاتون لـدى بلغـار الفولغا : وعلى كل واحدة ثوب حرير مذهـب يسمى النخ . ونقرا بعد ذلك (ص 149) : علـى الخاتون حلة يقال لها النخ ويقال لها ايضـا الشيخ مرصعة بالجواهر . وعلى راسها تاج مرصع. وتصنع هذه الثياب فى مدينة نيسابور ، لان ابن بطوطة يؤكـد (مـخ . ص 167) ما يلـي : « ويصنع بنيسابور ثياب الحريـر من النـخ والكمخا وغيرها وتحمل منها الى الهند » .

(2) وفى المخطوطة ب (مخ 276 ، ص 566) يرد هذا الكلام : وكان بهذا السوق عـدة تجار لشـراء الشرابيش وقيل لشراء التشاريف والخلع .

(3) لا وجود لكلمة طائل بهذ المعنى فى القاموس . ونحن نقرا لدى ابن بطوطة (الرحالة ، مخ دي كايانكوس ص 194) :اعطاه اموالا طائلة . ونطالع فى مكان آخر (ص 237) : صاحب الاموال الطائلة . ونجد لدى المراكشي (المعجب ، مخ 546 ، ص 258): ما يعدل اموالا طائلة . واعتقد ان كلمـة سعـادة موجودة بنفس المعنى فى هذا النص من كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتـن ، ص 246 ، ج 1) ونقرا فى تاريخ اليمن (مخ 477 ، ص 3) : شمائله سعادات الدولة العثمانية . وفى كتاب سير الاعيان للذهبي (مخ 320 (2) ص 257) : ونال سلار من سعادة الدنيا ما لا يوصف .
وينبغي ان يعني تعبير اهل السعادة لدى المسلمين (اهل السعادة) : ونجد فى كتاب الف ليلـة وليلة (ط مكناكتن ، ج 2 ص 35) هذا التعبير : صارت من اهل السعادة ـ والحديث يخص امراة اعتنقت الاسـلام .
وقد رايتم ورود (دار السعادة) فى مدخـل الكتاب .

منع الناس من بيع هذا الصنف الا للسلطان . وصار يجلس به قوم من عمال ناظر الخاص لشراء سائر ما يحتاج اليه . ومن اشترى من ذلك شيئا سوى عمال السلطان فله من العقاب ما قدر عليه . والامر على هذا في يومنا الذي نحن فيه .

وكان الشربوش العمرة المميزة للامراء ، ولم يكن يلبس من قبل الفقهاء (راجع نص جمال الدين بن واصل ، الذي ذكره كاترمير . (الكتاب القيم ، ص 244 وق 1 وج 1 الخ ...

ويذكر مؤرخو مصر بصورة متصلة هذا النوع من عمرة الراس . فنحن نقرا مثلا لدى النويري (تاريخ مصر ، مخ 19 ب ، ص 132) : « وركب الامراء ـ بالتشاريف والشرابيش على عادة امثالهم » . وفي موضع آخر (مخ 2 م ، ص 215) : انعم على الامير سيف الدين قلاوون بتشريف كامل بشربوش كان قد لبسه ثم خلعه عليه » .

وهذه العمرة كانت كذلك شائعة الاستعمال في البلاد الشرقية الاناى ، في بغداد مثلا ، ذلك لاننا نقرا لدى النويري (تاريخ مصر ، مخ 2 م ، ص 49) : « ان الملك الناصر داود ، يوم كان في بغداد عام 633 شمله التشريف فـ (خلع عليه قباء اطلس وشربوش) .

وقد استعارت احدى مدارس دمشق كما يظهر اسمها من هذا التاج ، لاننى على اقل تقدير اطالع لدى ابن بطوطة (الرحلة ، مخ دي كاياتكوس ، ص 39) : فنزلت منها بمدرسة المالكية المعروفة بالشرابشية .

وقد عبرت كلمة شربوش الى اللغة السريانية (راجع الحوليات لابن العبري ، ص 313 و ج 1 : Bar-Hebraeus, Chronicon Syriacum, tom. I, pag. 313).

ولن نستطيع العثور على هذه الكلمة في القواميس السريانية ، كما اننا لن نعثر على كلمة شربوش في المعاجم العربية .

والخلاصة ان كلمة شربوش ادنى كثيرا انى كلمة سربوش الفارسية من كلمة شربوش اليها ، التى يقول عنها كاترمير : « ان هذه الكلمة العربية تحريف للكلمة الفارسية » .

ولست مرتابا من صحة هذا المذهب ، ولكن يجب علي ان الفت الانظار الى ان الكلمة الفارسية سربوش) حسب علمي ، لا تشير الى عمرة راس رجل ، وانما تدل فقط على اكليل راس امراة .

وكانت هذه العمرة Coiffure معروفة الاستعمال في القسطنطينية ، وفي ازمير وفي مدن اخرى ، ايام بريـن Bruyn فهذا الرحالة يكتب الكلمة هكذا Carpous (كربوس) ، واعتقد بوجوب لفظها بعد اضافة السيي cédille ç الى الحرف (ç) فيلفظ هذا الحرف بصوت السين ، وليس بصوت الكاف ، فتنطق الكلمة على هذا المنوال (شربوس) çarpous) . راجع (الرحلات ص 35 ، 58 ، 59 ، الخ ، الرسم المرقم 18) .

الشربيل ، الزربول ، الزربون

لا وجود لكلمة شربيل وكلمة زربون في القاموس . وانني لاجهل تمام الجهل اين وجد سيلفستر دي ساي ـ راجع كتابه الموسوم : (طرائف عربية ، ج : ، ص 146) ان كلمة زربول ، تعني في الشرق : انعلة ومداسات قديمة ، الامر الذى هو غير مقبول على الاطلاق .

يقول دييكو دي هيدو في كتابه (خطط مدينة الجزائر ، مج 4 ص 27) وهو يتحدث عن نساء مدينة الجزائر : « بعضهن (لا سيما النساء المغربيات) يلبسن نوعا من المداس Pantoufles (Unas servillas) على الطريقة المغربية ، وهي مصنوعة من الجند الملون بلطافة واناقة ، وهن يسمينها Xerecuilla ونحن نقرا في كتاب هوست (اخبار من مراكش ، ص 117) « جميعهم يلبسون احذية مصنوعة من الجلد المراكشي تدعى باسم Scherbil شربيل . وتكون احذية الرجال صفراء ، واما احذية النساء فحمراء . كما نعلم ان مداسات هؤلاء واولئك لا كعوب لها » . وفي قائمة الكلمات العربية التى انشاها بريتنباك في كتابه (وصف رحلات وزيارات ، ص 115) وهو الرحالة الذى زار الشرق عام 1483 ، نجد ان كلمة Serbul مفسرة بكلمة Schuh (مداس) .

ويقول : D. Germano de Silesia (pag. 905) الذى سبق لهابيخت ان ذكره في مسرد الجزء الثالث من طبعته لكتاب الف ليلة وليلة ، ان كلمة زربول وجمعها زرابيل ، هي مداس مزود بكعب : « scarpa con tallone ; calceus cum talo »

وما لم يثبت مثبت العكس، فانني اشعر بكوني مرغما على الاعتقاد بأن الزربول وكذلك الشربيل لا كعوب لهما . وقد نعثر احيانا على صيغة زربون فى كتاب الف ليلة وليلة ، اذ نجد هذه الكلمة مرتين فى الجزء الاول من طبعة مكناكتن . وقد تفضل اماري فاعلمني ان كلمة سربون Sarbon وجمعها سرابين Sraben ما زالت مستعملة حتى ايامنا هذه فى مالطة .

واعتقد ان كلمة شربيل مماثلة للتعبير الاسباني Servilla الذى يشير الى مداس مصنوع من الجلد المراكشي ليس له سوى نعل واحد ، والكلمة مشتقة من Serva (Sierva) ذلك لان الخوادم والجواري كن يلبسن هذا النوع من المداسات . ومن كلمة سربيل تألفت ، حسب رايي ، كلمة زربول ، فان حاول الزاي محل الشين ليس فيه ما يدعو الى الدهشة والعجب ، وستذكرون ان (و) و (ي) فى الشعر العربي يجيئان فى قافية واحدة ، كما هو الامر فى الشعر الالماني . فمن كلمة زربول تألفت كلمة زربون بابدال اللام بالنون ، وهما حرفان من نفس الصنف . وقد قلت ان كلمة Servilla مشتقة من كلمة : Servante Serva (خادمة ــ امة ــ جارية) .

وهناك مسألة تدعو الى الملاحظة وامعان النظر وهي اننا نقرا فى كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 2 ، ص 25) : جعله فى رجليه زربونا على عادة المماليك (Siervos) بالاضافة الى اننا نطالع فى هذا النص ان كلمة زربون مستعملة استعمال اسم جنس جمعي فى كتاب الف ليلة وليلة للاشارة الى فردتين من الزربون . وقد لاحظت آنفا نفس الملاحظة حول كلمة خف (1) .

الشطفة

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ويقرر بركهارت فى كتابه (ملاحظات على البدو والوهابيين ــ ص 27) ان « بعض ابناء عنزه يشدون حول رؤوسهم طرحات يسمونها شطفات ومفردها : شطفة » . Shutfe .

الشعرية

نرى من قاموس فريتاك ان ريسكه قد علق على هامش كوليوس بأن هذه الكلمة تشير الى : « Vitta, quâ caput tegitus » وهذا التفسير خاطيء . فان كلمة شعرية تدل على خمار قصير مصنوع من شعر الخيل ــ كما يدل عليه اشتقاق الكلمة ــ فان الشعرية مشتقة من الشعر Crines . ونحن نقرا فى قصة روجيه (الارض المقدسة ــ ص 260) : « وهن يغطين عيونهن بنقاب من شعر الخيل الاسود ــ ويسمين هذا البرقع شعرية Chaarie . ومن خلال هذا الحجاب ينظرن ليستطعن ان يدرجن ــ ولا يجرؤن على كشف وجوههن اذا اردن التحدث الى رجل كائنا من كان » . وفى قصة بلون (ملاحظات ، ص 233 ــ 234) : « ولكن نساء المدن الكبرى (فى مصر) يتبعن الطريقة التى تعلمنها من النساء التركيات ــ اللواتي يضعن على وجوههن برقعا صغيرا معمولا من نسيج شعر ذيول الخيل » .

وليس هناك من علة تدعوني الى الشك فى حقيقة ما يرويه بلون هنا ــ بل انني ميال كل الميل الى الاعتقاد بأن استعمال الشعرية فى مصر لا يرقى تاريخه الا الى تاريخ غزو هذا القطر من جانب السلطان سليم ــ لانني لم اجد كلمة شعرية لدى مؤلف عربي قد كتب فى فترة ابعد من الفترة التى نشر خلالها كتاب الف ليلة وليلة . وهذه المناسبة دليل اضافي آخر ــ اذا كانت ما تزال هناك حاجة للاثبات بعد التنقيبات الحديثة ــ للبرهنة على ان كتاب الف ليلة وليلة قد دبج بعد اجتياح الاتراك لمصر .

وكانت الشعرية فى مصر برقعا صغيرا قصيرا لم يكن ليستر الا العينين ــ وكان يلبس فوق النقاب . وهو حجاب اكبر اكبر يغطي الوجه ــ محدثة فيه ثقوبا لدى موضع العينين . ونقرا فى كتاب الف ليلة وليلة (ط . هابيخت ــ ج 2 ــ ص 146) : «فشالت الشعرية فنظرت الى احداق سود عظيمة». ونطالع بعد ذلك فى نفس القصة (ج 2 ، ص 149) : « وشالت النقاب فنظرت نظرة اعقبتني حسرة » . ويقول بعض الرحالين ــ وهم اقل دقة من روجيه ــ

---

(1) يقول كوباروفياس (الكنز ، مدريد ، 1611) حول كلمة Servillas «مداس مريح ، له نعل يصلح للبنات والخدم ، وقد تسمى باسم لسهولة المشي به ، مثل القباقيب . الخوادم ، لانهن يلبسن هذا المداس الخفيف

ان هذا البرقع يغطي الوجه . ونقرأ في قصة هيلفريش (تقرير مختصر واقعي للرحلات ـ ص 393) : « وهن (نساء القاهرة) يغطين وجوههن (Jr Angesicht) بقطعة من النسيج الأسود المخرم « Mit einem schwartzen gewirckten Thuchlein المصنوع من وبر البعير (Camelszhaaren) الذي من خلاله يستطعن رؤية كل الناس » . ونقرأ في كتاب مارمول (وصف افريقيا ـ ج 3 ، ص 112 ، مج 3): ويضعن على وجوههن (Delante del rostro) (نساء القاهرة) براقع سودا ـ معمولة من شعر الخيل » . ويقول كوتوفيك في رحلته (ص 488) وهو ادق من سلفه ـ بأن « النساء يغطين عيونهن (Oculi) ببرقع صغير ـ على هيئة شبكة مشغولة من شعر ذيول الخيل الدقيق الناعم » . وكانت الشعرية ما تزال مستعملة في القاهرة في زمان بوكوك (وصف الشرق ـ تع 4 ، ص 330 ـ ج 1) وبوسعنا رؤية شكل هذا الحجاب في اللوحة (59 ـ الصورة 1) . ويقول بوكوك ان هذا الحجاب معمول من شعر الخيل الاسود ومحبوك حبكا فنيا . ولكن منذ تلك الفترة حل البرقع محل الشعرية والنقاب ـ وفي ايامنا هذه يكاد الناس في مصر يجهلون جهلا تاما الشعرية والنقاب ... وقد رأينا آنفا عن طريق نص روجيه بأن الشعرية كانت مستعملة في سورية . وهذه الحقيقة قد تأيدت بشهادة روولف في كتابه (وصف حقيقي للرحلات ـ ص 51) اذ يؤكد بأن النساء في طرابلس الشرق يغطين اوجههن بقطع نسيج سوداء « Schwartzen gewürcken » بعضها في غاية الرقة والنعومة ـ وبعضها مشغول من الحرير ـ ولكن بعض النساء يلبسن البراقع المعمولة من شعر الخيل ـ وهذه البراقع تلبسها نساء الطبقات الدنيا » . ولم تعد الشعرية في يومنا هذا تلبس في سورية ـ اذ هجرت هنا كما هجرت في مصر . ومع ذلك فان الشعرية ما زالت شائعة الاستعمال في الاقطار الشرقية النائية ـ كالجزيرة والعراق العربي . ويقول اوليفييه في كتابه (رحلة الى الامبراطورية العثمانية ومصر وفارس ، ج 4 ، ص 220) في معرض حديثه عن نساء اورفه : « ويلبسن علاوة على ذلك قطعة مربعة من شعر الخيل الاسود تنساب على الوجه فتسمح لهن بأن يرين دون ان يراهن أحد » . واني اعتقد والحالة هذه بتوهم بكنكهام (رحلة الى بلاد ما بين النهرين ـ ج 1 ، ص 152) حين قال عن نساء اورفه : « انهن يلبسن للتبرقع شفا اسود غليظا ناتئا عن الوجه بعقدتين». واظن وجوب احلال برقع من شعر الخيل بدل شف اسود غليظ . وعدا ذلك فان وصف بكنكهام يطابق كل المطابقة هيئة هذا البرقع ـ كما نستطيع رؤية الحقيقة في لوحة بوكوك . ويقول كير بورتر في كتابه (رحلات الى جورجيا وفارس وارمينيا وبابل القديمة ـ الخ ـ ج 2 ، ص 269) في معرض حديثه عن نساء بغداد : « ان هؤلاء السيدات يخفين وجوههن وراء اقنعة اكثر بشاعة وشناعة من براقع الفارسيات البيض التي تشابه المناشف والمناديل والفوط ـ اعني بذلك هذه الحجب السود المصنوعة من شعر الخيل المرزوءة بها وجوه نساء بغداد » .

ويقول كذلك فريزر في كتابه (رحلة الى كردستان وبلاد ما بين النهرين ـ الخ .. ج 1 ، ص 278) وهو يتحدث عن نساء بغداد : « ان البراقع المعمولة من شعر الخيل الاسود ـ المنسوجة نسجا ناعما رقيقا ـ تحمي كل الحماية وجود النساء اللواتي يلبسنها من نظرات السابلة ـ وفي الوقت نفسه بوسع هؤلاء النسوة ان يرين بصورة عجيبة كل ما يخطر امام عيونهن ». لهذا كله اميل الى الاعتقاد بأن بكنكهام (ج 2 ، ص 195) قد توهم كذلك حين قال عن نساء بغداد انهن يغطين وجوههن بقطع من الشف الاسود الغليظ » . وهو يضيف الى ذلك قائلا : « لا تلبس نساء الريف المحيط ببغداد هذه الشفوف مطلقا » .

المشلـــخ

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس .

ويقول بركهارت في كتابه (تعليقات على البدو والوهابيين ـ ص 27) : « في شمال سورية ـ كل معطف صوفي ـ سواء كان ابيض او اسود او مخططا بخطوط بيض وسمر او بخطوط بيض وزرق ـ يدعى مشلخا Meshlakh » وكلمة مشلخ موجودة كذلك بهذه الصيغة في قائمة الكلمات العربية ـ في ختام الجزء . ولكننا في موضع آخر (ص 131) نجد كلمة Meshlab مشلح .

المشـــمـــذ

يفسر القاموس (ط كلكتا ، ص 441) هذه الكلمة بكلمة عمامة Turban .

التشمير وجمعها التشامير

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ويترجم بيدرو دي الكالا هذه الكلمة بالكلمة الاسبانية بالتوك Paletoque فى كتابه (مفردات اسبانية عربية) . وهذه الكلمة مفسرة فى كتاب (كنز اللغات الثلاث ، جنيف 1609) بـ :

Une casaque ou saye, un palletoc, une iacquette

بوصفها : «سترة ، او صاية ، او جاكتة» .

والحقيقة ان مؤلف كتاب

L'Histoire des Abdolwadites

يقول فى معرض حديثه عن طحان : « وهو لابس تشامير » .

الشمريـــر

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ونحن نعلم ان القبعة (البرنيطة ، الخوذة : Chapeau) لم تكن معروفة قديما لدى المسلمين ، لذلك كانوا مرغمين على استعارة احدى الكلمات ، للاشارة الى هذا الشيء ، والمستعار منه احدى اللغات الاوروبية ، فاتخذ المغاربة الكلمة الاسبانية Sombrero . وهذا ما يؤكده هوست فى كتابه (اخبار من مراكش ، ص 114) . ولكن يبدو من قائمة الملابس التى انشأها دونباي فى كتابه (النحو المغربي العربي ، ص 82) ان الشعب قد مسخ كلمة Sombrero فاستحالت الى شمرير .

الشمشك

اننا نجد فى احدوثة ابي الحسن المهرج ، وهي الاحدوثة التى لا توجد الا فى طبعة هابيخت لكتاب الف ليلة وليلة (راجع لين ، الف ليلة وليلة ، ج 2، ص 356) والتى لموضوعها شبه كبير بموضوع المدخل الى ترويض الشرسة لشكسبير .

. Taming of the Shrew de Shakspeare

وشبه ب : Krelis Louwen للانكنديك Langendjik .

اقول ، اننا نجد النص التالي ، الذى سبق لفريتاك ان ذكره : « فقدم له المملوك شمشكا مطبوعا بالابريسم والحرير الاخضر مرصع بالذهب الاحمر فأخذه ابو الحسن ووضعه فى كمه وصاح المملوك وقال : يا الله يا الله يا سيدي هذا شمشك مداس لرجلك حتى تدخل المسترفق (1) . (ج 4 ، ص 357) .

ويترجمه لين هنا (ج 2 ، ص 357) : انه فردتا مداس ... ولما كان المؤرخ الاسحاقي يقص علينا قصة مماثلة ، كما يقول لين ، فسيكون من الاهمية بمكان ان نعلم ما اذا كان يستعمل هنا نفس الكلمة ام كلمة اخرى تفسر لنا كلمة شمشك .

لقد علمنا من

(«M. Fleischer» de glossis Habichtianis, pag. 92)

انه وجد فى مسرد لمعاني كلمات قبطية عربية كلمة (كتسكن) ترجمة لكلمة شمشك . وهذه الكلمة ليست الا الكلمة الفارسية موزه ، التي تعني نعلا او مداسا او جزمة او خفا ، وهي فى اللغة العربية موزج (2) ولم اقع على كلمة شمشك فى موضع آخر .

الشملة ، الشملة ، المشملة

ينبغي اضافة كلمة شملة وجمعها شمل الى القاموس .

وقد رأينا آنفا ـ حول كلمة برد ـ ان الشملة هي البردة ـ وان ما يميز الشملة من البردة هو حياكة شيء اضافي (بعض الزينة) فى حاشية البردة ـ وليست الحالة هي هي بالنسبة للشملة . وقد لاحظنا (سابقا فى هذا الباب) ان هذا الكساء كان شائع الاستعمال فى عهد الرسول (ص) اذ ان احد الرحالين العرب من القرن السابع الميلادي ـ وهو ابن جبير (راجع كلمة خرقة) يعد الشملة من بين

---

(1) النص بالعامية فلا يطالب كاتبها بالتزام النحو .

(2) تذكروا ان المصريين يلفظون الجيم لفظ الفرنسيين لحف (G) امام A و O و U

ملابس البدو . وفي هذا النص ذاته نجد جمع كلمة شملة وهو شمل (1) .

وهذه الكلمة تذكرنا بالكلمة العبرية شملا التى كانت تشير الى رداء كان الفقراء يستعملونه كذلك بمثابة غطاء ودثار اثناء الليل . وقد سبق لنا ان عرفنا ـ فى مجال الحديث عن كلمة بردة ـ ان هذا الكساء كان وما يزال يستعمل نفس الاستعمال .

الشمـــال

يرى القاموس ان هذه الكلمة تدل على الملحفة . راجع هذه الكلمة .

الشنتيـــان

لا وجود لهذه الكلمة ـ التى لا ريب فى اصلها الاجنبي ـ فى القاموس .

وهي تشير فى مصر الى سراويل امراة يلبس لبسة التبان . اما فى ايام الحملة الفرنسية ـ فان كلمة شنتيان لم تكن تدل الا على « سروال شتائي » للمراة ـ فى حين ان التبان او السروال الصيفي كان له اسم لباس . راجع (الكونت دي شابرول فى كتابه « وصف مصر ، ج 18 ، ص 112 » . ولكن فى ايامنا هذه لا توجد الا كلمة شنتيان للاشارة الى التبان او السروال النسائي ـ فى حين ان كلمة لباس مخصصة لتبان الرجال ـ كما يمكننا رؤية ذلك برجوعنا الى كتاب لين (المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص 39 ـ 56 ـ 57 ـ 58) حيث نقع على الوصف التالي للشنتيان : « هناك تبان مسرف فى الفضفضة والسعة اسمه شنتيان ـ وهو مصنوع من القماش الملون المخطط ـ من الحرير او من القطن ـ او من الشاش الثمين الملون او المطرز او الموشي او المفوف ـ الابيض اللون ـ الاملس الملمس ـ وهو يشد حول الخصر تحت القميص بدكة (راجع كلمة دكة) ـ ولكنه على درجة كافية من الطول ـ بحيث انه ينساب حتى القدمين ـ او يكاد يصل الى الارض ـ عندما يشد على هذا المنوال » .

ويقرر المقدم نابيه فى كتابه (ذكريات عن سورية ، ج 1 ، ص 144) ان هذا الكساء تلبسه نساء بيروت ايضا . وهذا الرحالة يكتب الكلمة Shintien ويفسرها بهذه الجملة : تبان حريري

---

(1) يرى اللغويون العرب ان الشملة والمشملة تدلان على نوع من القطيفة ـ ولكنهما تختلفان عنها بقلة الفضفضة والاتساع . وكلمة قطيفة تدل على غطاء فراش . اذ يقول مارمول فى كتابه (وصف افريقيا ج 2 ، ص 4 ، مج 2) فى وصفه لحاحة Héha ـ وهي ولاية فى اقصى الغرب من مملكة مراكش : « ان السرر الاعتيادية للرؤساء والاعيان تتكون من القطائف المزابرة التى نراها تجلب من افريقيا ـ وهم يبطنونها بعدة بطانات ويستعملون احداها ـ وهي طويلة ـ بمثابة غطاء فوقاني » . ونجد فى رحلة ابن جبير ، مخ ص 177) : « القطائف الجياد يفترشونها عند رقادهم . والقطيفة تشير كذلك الى نوع بساط او سجادة ـ ذلك لان مؤلف كتاب (مهمة تاريخية فى مراكش ـ ص 5 ، مج 2) يقول ان الملك يجلس فى مجلس الشورى « على بساط او قطيفة من الصوف » . ويترجم بيدرو دي الكالا كلمة Alhonbra (بساط) (سجادة) بكلمة قطيفة . ونقرا فى رحلة ابن بطوطة (مخ ـ ص 259): واتوا بنا الى بستان عليه حائط خشب فى وسطه دار بناؤها بالخشب مفروشة بقطائف قطن . ولكنني سأجعلكم تلاحظون ـ بهذه المناسبة ـ ان كلمة قطيفة تشير ايضا الى المخمل . فنحن نقرا فى كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ـ ج 2 ، ص 199) : رزمة قطيفة ـ وهذا ما يترجمه لين (ج 2 ، ص 304) بما يلي رزمة قطيفة A bale of velvet ويترجم بيدرو دي الكالا فى كتابه (مفردات اسبانية عربية) كلمة Terciopelo (المخمل) بكلمة قطيفة . ونجدفى كتاب تاريخ اليمن (مخ 477 ، ص 62) : « امر له بجملة من الكساء النفيس من ملابيسه من القطائف ونحوها . ونقرا بعد ذلك (ص 65) : « امر له بجملة كساء من الشاش الغالي والقطائف النفيسة » .
ولكلمة شملة ايضا معنى آخر لا وجود له فى القاموس . فهي تشير ـ حسبما يقول بركهارت فى كتابه (تعليقات على البدو والوهابيين ، ص 39) وهو يكتب الكلمة شملة Shemle ـ انها كيس مصنوع من وبر ابل ـ ويستعمله البدو لحجب ضرع الناقة عن حوارها لكيلا يرضعه » .

فضفاض Loose silken drawers ويتوهم فيسكيه قليلا فى كتابه (رحلة الى الشرق ، ص 41) فيكتب الكلمة شكسيـــان . Chakseïann .

الشـــوبـــر

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ونحن نقرا فى احد كتب بركهارت (ملاحظات حول البدو والوهابيين ، ص 28) انّ النساء لـدى البدو يضعن على رؤوسهن طرحة تدعى Shauber (شوبـر) او Mekroune مقرونـة ، وترتـدي الفتيات اليافعات هذه الشوابر من اللون الوردي ، اما النساء الطاعنات فى السن فيتخذنها من اللـون « الاسود » . وهذه الكلمة مكتوبة على هذه الصورة (شوبر) فى قائمة الكلمات العربية فى نهاية الكتاب.

المشـــود ، المشـــواذ

يفسر القاموس (ط كلكتا ، ص 441) هاتين الكلمتين بأنهما العمامة . فهل يا ترى تشير هاتـان الكلمتان الى نفس عمارة الراس Coïffure كوافير التى تشير اليها كلمة مشوش ؟

الشـاش وجمعـــه الشاشـــات

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

وقد اورد عالمان من الطراز الاول بعض التفصيلات عن كلمة شاش ــ الا وهما سيلفستـــر دي ساســـي (طرائف عربية ، ج 1 ، ص 199) وكاترمير (تاريخ السلاطين المماليك ــ ج 1 ، ق 1 ، ص 137). وكما هو ديدني ــ لن اورد اي نص ــ سبق لهذين العالمين ان ذكراه ــ دون تنبه القاريء لمن انا مدين له بالشكر.

تشير كلمة شاش الى : قطعة من البز تلف حول طاقية او عرقية او كلوتة العمامة . فنحن نقرا لدى النويري (تاريخ مصر ، مخ 2 ص 192) : « تعمم بشاش دخاني عتيق » . ونجد نفس الكلمات لـدى المقريزي (تاريخ السلاطين المماليك ــ ج 1 ، ق 2 ، ص 63) . وفى موضع آخـر (مخ 19 ، 135) : فأكرمه السلطان واحسن اليه وانعم عليه بتشريـف اطلس معدني زركش وشاش رقم وحياصة ذهـب مجوهرة على عادة اكابر نواب السلطنة الشريفة » .

وفى مكان آخر مخ 19 ، ص 135) : « ركب فـى الموكب بالاقبية الاسلامية والكلوتة والشاش على عادة العساكر المصرية » . ونطالع فى كتـاب الف ليلـة وليلة (ط مكناكتن ، ج 1 ، ص 159) : « فاخذ بدر الدين حسن الرقعة وطواها وخيطها بين البطانة والظاهرة ولف عليها شاشة » . (فى هـذا النـص يتحتم اضافة (فى شاشيته) بعد (وخيطها) ــ وهذا التصحيح يصبح اكثر احتمالا لـدى حكايـة نفـس الواقعة فى (طبعة هابيخت ــ ج 2 ، ص 29 ، سطر 3) وفى موضع آخر (طبعة مكناكتـن ــ ج 1 ، ص 165) : وكان عليه الطربوش والشاش . وفى (طبعة هابيخت ــ ج 2 ، ص 44) : وعليه شاش بطرفين ». واخيرا (ط مكناكتـن ــ ج 1 ، ص 171) : وقلـع شاشه وعلقها على الكرسي » . (الكرسي المخصـص لوضع العمامة عليه ــ راجع كلمة عمامة) . ونقرا فى حكاية عربية (لدى كوسان دي برسفال ــ النحو العامي ــ ص 9 من النص العربي) : «اشترى قرطاس حلاوة وجعله فى عمامته ... فراى فى شاش الحكم حلاوة » . والحديث عن حاكم اشترى وخليفة راى. ونجد فى الكتاب المعنون (قصة رحلة فى مطلع عام 1610 ــ 63) ان الشاشيات Shashes « هـي مناديل من البز تلف حول الراس » . ويقول داندیني (رحلة من جبل لبنـان) ــ ص 44، ــ 45) عـن طراباس الشرق : « ويلفون لفا محكما حول الطاقية قطعة من القماش القطني الابيض يسمونه Sessa فيكورون عمامة كبيرة او صغيـرة حسـب منـازل الاشخاص واقدارهم . فهؤلاء الذين يعلـون علـى الآخرين ــ بمولدهم او بوجاهتهم ــ يلبسون العمائم الضخمة ــ وبينهم من يبالغ فى تضخيم عمامتـــه الى حد الافراط والاسراف ». ونجد فى كتاب (يوميات رحلات مونكوني ــ ص 381 ، ج 1) : « ان الشرفاء يلبسون الشاش الاخضر » . ونقرا فى رحلة م . ج. ب الى الاراضي المقدسة : « ان القلانـس المخمليـة الحمراء والشاشات البيضاء التى لا يجوز التعمم بها الا من قبل المسلمين وحدهم ــ محرمة على النصارى اذا لم تكن مشوبة بلون آخر » . ويقـول تافرنييـه (الرحلات ــ ج 1 ، ص 630) عن الفـرس : « ان شاشهم الذى نسميه نحن عمامة مصنوع من نسيج حريري غاية فى النعومة والرقة ومرصع بالذهـب والفضة ويكاد يشبه شكل يقطينة مكورة من يقطيننا. وهو مسطح قليلا من اعلاه حيث ينتهـي طـرف من القماش المزين بأزهار ذهبية او فضية بشرائط تشبه طاقة ورد . وهذه القلانس ثقيلـة الـوزن كثيـرا

ـ لاسيما تلك التي يقل فيها الحرير ـ والتي تكاد تتألف من الذهب والفضة وحدهما . وهذه غالية الثمن بحيث ان اهونها يكلف مائتين من الايكوات Ecus ونجد من هذا النوع على راس الملك وعلى رؤوس الكبراء والاعيان بحيث يبلغ سعر القلنسوة الواحدة اربعمائة او خمسمائة قطعة من العملة المذكورة . ومن النادر رؤية ضابط كبير لا يضع في قلنسوته بعض الاحجار الكريمة » .

ونقرا في كتاب دي لا موتري (رحلات الى اوروبا وآسيا وافريقيا ـ ج 1 ، ص 11) : « ان الشاش هو قطعة من الموصلي او من نسيج القطن الذي يحيط به الشرقيون طاقيتهم ـ فاذا طوقت الطاقية على هذه الصورة سميت (دلبند : Tulbend) ـ او طربان Turban عمامة ـ حسب نطقنا بالكلمة » . ونقرا في كتاب نيبور (وصف الجزيرة العربية ـ ص 59 (1) : « وهم يحيطون هذا الحشد من الطاقيات بقطعة كبيرة من القماش الموصلي المسمى بالشاش ـ وهو مزدان من الجانبين بحواش وهدابات حريرية بل وحتى ذهبية ـ ويدعها حاملوها تنساب على الظهر بين الاكتاف » . والحقيقة ان كلمة شاش موجودة بهذا المعنى في تاريخ اليمن (راجع رتجر ـ ص 159) . ولما كانت كلمة الشاش تستعمل للدلالة على قطعة من البز تطوق الطاقية او العرقية او الكاوتة او الكلوتات ـ فلن ياخذنا العجب اذا قرانا ان هذا الشيء يستعمل استعمالات اخرى ايضا . (يستعمل استعمال العمامة ويقوم مقامها احيانا) . وفي تاريخ مصر للنويري (مخ 2 ، ص 87) نجد : « فخنقوه بشاش عليه وقيل بوتر وعلقوه بعمامته واظهروه انه شنق نفسه » . ففي هذا النص ـ كما ترون ـ هي معادلة لكلمة عمامة .

وجمع شاش شاشات ـ والكلمة موجودة في بيت ذكره السيوطي (راجع سيلفستر دي ساسي ـ طرائف عربية ـ ج 1 ، ص 145) ـ وانني اقرا لدى المقريزي (وصف مصر ـ ج 2 ، مخ 372 ، ص 351) : « لبسوا الشاشات » .

ولكن كلمة شاش كانت تشير كذلك في العهود القديمة الى شيء آخر ـ فهي ـ كما برهن على ذلك كاترمير (كتابه القيم) مستندا الى كتاب السلوك للمقريزي « عصبة ابتكرتها النساء عام 780 ـ وكانت تشبه سنام البعير . وهي تبدا فوق جبين المراة وتنتهي قرب الظهر . ولبعض هذه العصائب طول يقارب الذراع ـ ولها ارتفاع يبلغ اقل من ربع الذراع » .

والواقع انني اطالع في تاريخ مصر لابن اياس (مخ 367 ـ ص 16 ـ حوادث سنة 787) « وفي رجب جرت حديثة وهي ان امراة صالحة رات النبي صلى الله عليه وسلم في منام وهو يقول لها : قولي للنساء ان ينتهوا عن لباس الشاش . وكان شيئا قد اقترحته النساء يلبسنه على (روسهم) مثل صنم (سنم) (يلبسنه على رؤوسهن ؟) .. (سنام ؟) الجمل . وطوله نحو ذراع وارتفاعه ربع ذراع ويزخرفونه بالذهب واللؤلؤ . وبالغوا في ذلك . وكان بدعة سيئة من السيئات ..

وكلمة شاش ـ بمعنى قطعة القماش التي تحيط بالكلوتة او الطاقية او العرقية ـ كانت معروفة الاستعمال في الجزيرة العربية وفي سورية ومصر وفارس ـ كما راينا. ومن هذه الكلمة كون الانجليز كلمتهم Sash التي يستعملونها اشارة الى طرحة او حزام او نطاق او زنار .

الشاشية

بالرغم من اضطراري مرارا الى اتهام القاموس بكونه ناقصا ـ فان من العدل كل العدل ان اقول ان كلمة شاشية قد وجدت في هذا القاموس مرتين . المرة الاولى يوم وضعها فريتاك (ج 2 ، ص 419 ، مج 2 ، بمعنى كلوتة ـ عرقية ـ طاقية ـ في الحديث عن كلمة ششاء ـ والمرة الثانية (ج 2 ، ص 464 ، مج 2) في موضعها الاصلي ـ في معرض الكلام عن كلمة شوش ـ بوصفها تشير الى الشاش الموصلي .. في الموضع الاول لم يكن يكلف احد نفسه عناء البحث عن هذه الكلمة ـ فالحقيقة ان الكلمة قد وجدت في موضعها هذا عن طريق الخطأ ـ ذلك لان لعبا بالكلمات قد حدث في بيت نقله السيوطي (دي ساسي ـ طرائف عربية ـ ج 1 ، ص 145) ـ حول كلمتي تشويش وشاشات يضاف اليهما كلمة مشوش ـ وهذا اللعب يؤكد بصورة لا تقبل الشك ان عربيا صميما لو كان في محل هذا الدخيل لوضع كلمتي شاش وشاشية في باب كلمة شوش . وقد سبق

(1) ذكر هذا النص سابقا كل من دي ساسي وكاترمير .

لكل من سيلفستر دي ساسي (طرائف عربية ، ج 1 ، ص 199) وكاترمير (تاريخ السلاطين المماليك ، ج 1 ق 1 ، ص 137) ان تحدث عن هذه الكلمة ـ في تفسيره لكلمة شاش .

وتشير كلمة شاش في المغرب ـ كما كانت تشير في مصر ـ الى الكلوتة التي توضع على الراس ـ والتي تلف حولها قطعة قماش لتتكون العمامة على هذا المنوال . ونحن نقرا في كتاب الرحالة المغربي ابن بطوطة (مخ دي كاياتكوس ـ ص 35) : « ضربوه بالايدي والنعال ضربا كثيرا حتى سقطت عمامته وظهر على راسه شاشية حرير فانكروا عليه لباسه . وفي موضع آخر (ص 189) : والنقباء بين يديه على راس كل واحد منهم شاشية مذهبة وفي وسطه منطقة (والحديث يجري عن النقباء ونقيب النقباء في Dehli) وبعد ذلك (ص 191): ويمشي بين يديه عبيده ومماليكه وكل واحد منهم تكون على راسه شاشية ذهب وعلى وسطه منطقة ذهب وبعضهم يرصعها بالجوهر . واخيرا (ص 224) : عشر شواشي من لباسه احداها مرصعة بالجوهر . ويقول دابر في كتابه (وصف حقيقي دقيق لاقاليم افريقيا ـ ص 241 ، مج 1) ان احد خدام سفراء ملك مراكش » كان على راسه طاقية من الصوف الاحمر ـ مرتفعة قليلا ـ وهي تسمى شاشية Hieissya وكان رفيق هذا الخادم يلبس نفس النوع من الطاقية (المرجع السالف) .

ويقول دييكو دي توريس (تاريخ الشرفاء ، ص 86) عن سكان مراكش : يلبسون الطواقي الحمراء من ارجوان طليطلة بدل القبعات ـ ويلبس كذلك كل منهم عمامة او شدا .

ويذكر مارمول (وصف افريقيا ـ ج 2 ، ص 102 ـ مج 3) . ان قلانس سكان فاس هي الطاقيات الارجوانية الشبيهة بالطاقيات التي يحملها التجار الاسبان للبيع » .

ويضيف مارمول الى ذلك قائلا : « ان هناك قلة من الاشخاص تلف قطعة قماش حول هذه الطاقية ». وهذا الزعم مؤيد بشهادة هوست (راجع كلمة شد). والحقيقة ان الناس في المغرب يكتفون على العموم بالطاقية وحدها ـ شأنهم في ذلك شأن الناس في اسبانيا ـ حيث كانت الشاشية تسمى غفارة . (راجع هذه الكلمة) . ويقرر هوست في كتابه (اخبار من مراكش ، ص 114) ان قسما من الرجال المتزوجين لا يلبسون الا طاقية من الصوف الاحمر تدعى ساسية : Sesia ولهذه الطاقية وقع خاص لدى المغاربة ـ بحيث اذا وضعها احد من النصارى او اليهود على راسه ولم ينزعها امام لابسيها من المغاربة ـ فانهم في هذه الحالة يعتبرون هذا العمل تصريحا باعتناق الديانة الاسلامية ـ ولن يستطيع هذا المسيحي او ذاك اليهودي افلاتا من هذا الاعتبار!» اما بالنسبة لمصر ـ فاننا واجدون هذه الكلمة في الاغلب لدى مؤلفي هذا القطر ـ امثال المقريزي ـ ونعثر على هذه الكلمة مستعملة كذلك بكثرة في كتاب الف ليلة وليلة . ولكنني لا افهم على الاطلاق كيف وسع سيلفستر دي ساسي (كتابه القيم) ان يقول: « اعتقد ان الشاشية في نصنا تعني قطعة من الشاش الموصلي ـ ولها نفس الاستعمال في مصر ـ هذه الكلمة هي الاسم الذي يطلق على الشاش الموصلي ».

انني محرج غاية الحرج ان اكون في حالة حتمية القول بوجود اخطاء كثيرة هنا بقدر وجود كلمات . فان العبارة هي (ج 1 ، ص 67 من النص العربي) : « وصار الحاكم يركب حمارا بشاشية مكشوفة بغير عمامة . وهذا ما يترجمه دي ساسي ترجمة حسنة للغاية (ص 109) . والخلاصة ان كلمة شاشية لا تعني الشاش الموصلي البتة ـ كما يؤكد ذلك دي ساسي ـ دون الركون الى اي دليل ـ وكما تقبل هذا المذهب فريتاك بجراة وتهور ، وانما كلمتا شاش وشاشات هما اللتان تحملان هذا المعنى ـ كما اثبت ذلك كاترمير (كتابه القيم) . ولكن ما يضيفه دي ساسي وهو : « ان الطاقيات التونسية الحمراء ـ التي يقلدونها في فرنسا ـ وخصوصا في مدينة اورليان ـ معروفة في مصر باسم طربوش وجمعه طرابيش » مطابق كل المطابقة للحقيقة ـ ذلك لانه يبدو ان كلمة شاشية مجهولة في مصر في ايامنا هذه ـ وهم يسمونها اليوم بالطربوش .

ويظهر ان هذه الكلمة تلفظ في سيوه شاشة ـ ذلك لان هورنمان في كتابه (مذكرات حول رحلة من القاهرة الى مرزوق ص 22 ـ 24) يكتبها تشاشت Tschatschet ـ ويقول انها طاقية من الصوف الاحمر ومن القطن الابيض . وكان لهذه الكلمة معنى آخر في مدينة الجزائر ـ فقد كانت تدل على : طاقية امراة . اذ يخبرنا دييكو دي هيدو في كتابه (خطط مدينة الجزائر ـ ص 27 ، مج 4) ان نساء هذه المدينة يلبسن فوق البناقة ثلاثة انواع من عمارات الراس حين يحضرن الحفلات والاعراس ـ وهن

يضعن على رؤوسهن ـ لا سيما اذا كن موسرات ـ بيريه مستديرة مصنوعة من الخز او من نسيج الاطلس او الدمقس المرصع بالذهب بعذوبة وحلاوة وروعة . وهن يسمين هذه البيريه Xixia ـ وبعضهن يزين هذه العمارة بعدد كبير من الجواهر والاحجار الكريمة ـ ما استطعن الى ذلك سبيلا » .

المشـــوش

لقد لاحظ كوليوس Golius معتمدا على Maroufi ان هذه الكلمة تدل على عمامة صغيرة. اذن يبدو ـ والحالة هذه ـ ان المشوش هو شاشية قصيرة لا تدور الا عدة دورات حول الراس .

الشـــال

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

والشال هو الكلمة الفارسية شال Châle ـ التى تسربت الى عدة لغات اوروبية ـ فنحن نقرا فى بحث الكونت دي شابرول (وصف مصر ـ ج 18 ص 108) : الشال هو قطعة طويلة من الشاش الموصلي او من النسيج الصوفي الذى يطوى ويلف عدة لفات حول الطربوش . ويتخذ الاثرياء هذا الشال من الكشمير » .

ونجد فى كتاب بركهارت (ملاحظات على البدو والوهابيين ـ ص 28) ان جميع نساء روالة يضعن على رؤوسهن طرحا من الحرير الاسود ـ تبلغ مساحة كل طرحة مترين مربعين ـ وهن يسمين هذه الطرحة Shâle kâs (شال قز ـ خز ؟ ـ المترجم) ـ وهي تصنع فى دمشق » . واعتقد ان جملة Shâle kâs تعني شال قاسح اي الشال الكثيف او الكثاف .

الصتيـــة

يذهب القاموس (ط كلكتا ـ ص 185) الى ان الصتية هي الملحفة ـ او بالاحرى هي نوع من القماش (او اللباس) الوارد من اليمن ـ الملحفة او ثوب يمني) . واعتقد ان هذا الكساء كان مخططا .

الصـــدود (1)

توجد هذه الكلمة فى طبعة كلكتا للقاموس (ص 380) مفسرة بكلمة المحول . واجد كذلك هذه الكلمة بحرف ح فى مخطوطات ليدن رقم 375 . ورقم 37 . ولكن مخطوطة المرحوم فان در بالم Van der Palm التى تملكتها حديثا مكتبة ليدن والتى تحمل الآن رقم 1581 ـ تعرض المجول بحرف ج . فاذا كان هذا هو الرسم الحقيقي للكلمة فان الصدود يشير الى : قميص قصير للمراة .
Une courte chemise de femme

الصـــدار

اليكم ما نقرا فى سفر الجواهري (ج 1 و ص 316) : « قميص صغير يلي الجسد » . وفى المثل : « كل ذات صدار خالة » (2) . اي من حق الرجل ان يغار على كل امراة كما يغار على حرمه.

وهذا المثل موجود ايضا لدى الميداني (ط فريتاك ، ج 2 ص 310)، حيث ان الصدار كان كساء قديما قد تبنته النساء كافة دون استثناء . ويفسر القاموس (ط كلكتا ، ص 576) كلمة صدار على هذه الشاكلة : « ثوب راسه كالمقنعة واسفله يغشى الصدر » . ويتفق التبريزي (شرح الحماسة، ص 801) ـ وقد سبق لفريتاك ان ذكره ـ مع القاموس اكثر من اتفاقه مع الجوهري ، اذ يقول ان الصدار هو : « الثوب الذي يبلغ الصدر » .

---

(1) لا اعني كلمة الصداد ، التى ذكرها القاموس (ط كلكتا ، ص 380) . قائلا : « ما اصطدت به المراة وهو الستر » .

(2) كل ذات صدار خالة : الصدار كالصدرة تلبسهاالمراة . ومعناه ان الغيور اذا راى امراة عدها فى جملة خالاته لفرط غيرته .. وهذا المثل من قول همام بن مرة الشيباني وكان اغار على بني اسد ، وكانت امه منهم . فقالت له النساء : « اتفعل هذا بخالاتك ؟ » . فقال : « كل ذات صدار خالة » فارسلها مثلا . قلت ويجوز ان تكون الخالة بمعنى المختالة . يقال رجل خال اي مختال . يعني ان كل امراة وجدت صدارا تلبسه اختالت . (مجمع الامثال للميداني ، 1353 هـ ، ج 2 ، ص 78 ، 79) . (المترجم).

الصدرة

ان تفسيرات الجوهري (ج 1 ، ص 316) والفيروزابادي (القاموس ، ط كلكتا ، ص 576) عقيمة الجدوى . اذ يقول الاول : « الصدرة التي تلبس » ، ويفسرها الثاني بكلمة الثوب . وارى انها تشير الى ما تشير اليه الكلمة الفرنسية Veste قيست ، مثل كلمتي الصدرية والصديري اللتين سنتحدث عنهما بالتفصيل .

الصدرية او الصدرية

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

واننا نجد فى مذكرات دارفيو (ج 5 ص 282 ، 283) : « بقية ثياب الاتراك فى مدينة الجزائر تنحصر فى قمصلة لا اكمام لها ، والقوم يسمونها صدرية Sadderie . وهي محرومة من تقويرة امامية ومن فتحة خلفية ، ولكن لها ثلاث فتحات ، الفتحة الاولى لامرار الراس ، والفتحتان الاخريان لادخال الذراعين . وهم يدخلون الايدي باديء الامر من الفتحتين ، ويرفعون الذراعين بلطف وهوادة ، فتنساب القمصلة دون ان يشعر بها شاعر ، اما الراس فيمر من التقويرة الوسطية ، وهذه الصديرية تصافح الجسم مباشرة » . ونقرا فى رحلة النقيب ليون (اسفار فى الشمال الافريقي ، ص 6) كلمة « صدرية » ، Sidrea ويعرفها بانها صدارى يلائم الجسم تماما ، وهو محروم من فتحة امامية ، وليس له سوى تقويرتين لامرار الراس والذراعين ». وهذا الثوب يلبسه معظم سكان طرابلس الغرب . ويتحدث الرائد دنهام (رحلات فى شمال افريقيا ، ج 1 ، ص 27) عن صدرية من الحرير » « Sidiria تلبس تحت البنش ، راجع كانين (القاموس ، ج 2 ، ص 340 ، حول كلمة جوستيللو Justillo اذ يقول ان الصدرية لباس تحتاني يلامس الجسد ، ولا اكمام له . ويترجم دونباي (النحو المغربي العربي ، ص 82) كلمة انتريولا Interula بكلمة صدرية او صدرية .

وهذا الثوب كان يرتدى ايضا فى مالطة ، وما تزال القرويات حتى ايامنا هذه يرتدين صدريات لا اكمام لها فى هذه الجزيرة ، وهن يسمين واحدتها صدرية Sidria . (راجع فيسكيه ، رحلات الى الشرق ، ص 6 ، وانظر فاسالي ، اللغة المالطية مج 610) .

الصديري

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ولكننا نقرا فى بحث الكونت دي شابرول (وصف مصر ج 18 ، ص 108) : « الصديري مشد صغير Petit corset لا اكمام له » . ونطالع فى كتاب لين (لين ، المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص 39) : « ويرتدي بعض الناس فى الشتاء ، او بصورة عامة لدى حلول البرد ، صديريا ، اي سترة صغيرة لا اكمام لها ، مصنوعة من الجوخ ، او من الحرير والقطن ، ذات خطوط ملونة » . ولا ارتاب مطلقا فى كون هذا الكساء هو الذي يتحدث عنه بوكوك Pocoke فى كتابه (وصف الشرق ، ص 327 ، ج 1 ، وصف الشرق Beschijving van) hat Oosten فيقول : « ان الحلة التركية تتالف قبل كل شيء ، من نوع كساء قصير لا اكمام له ، منسوج من القطن او من التيل ، ويكون هذا الثوب احيانا مقفلا من الجهة الامامية ، ولكنه مثبت باحدى الجهات » . راجع هيئة الكساء هذا فى كتاب بوكوك السالف الذكر ، ج 1 اللوحة 68 .

الصقاع ، الصوقعة

يفسر القاموس (ط كلكتا ، ص 1051) كلمة صقاع « بخرقة تقي الخمار من الدهن » والبرقع كالصوقعة . اما ابن جني (شرح ديوان المتنبي ، مخ 126 ، ص 103) فيميل الى كنمة صقاع بمفهومها الثاني من المفهومين المذكورين فى القاموس . اذن فالكلمة تشير الى ما يسمى ببرقع ، وكلمة صقاع تشير ايضا ، كما تشير كلمة صوقعة ، الى قطعة من القماش تقي الخمار الدهن الذي تدهن به المراة راسها او تعطره . وعلى هذا فالمسالة هي مسالة طاقية .

الصولق (1)

يخبرنا المقريزي (وصف مصر ، مخ 372 ، ص 350 ، 351) ان السلطان والامراء والجنود كانوا يلبسون الصوالق على الاقبية ايام حكم السلالة التركية (الجركسية) : صوالق بلغاري كبار يسع الواحد منهم اكثر من نصف ويبة (2) غلة مغروز فيه منديل طوله ثلاث اذرع . وهذا النص الذى سبق لكاترمير ان ذكره (تاريخ السلاطين المماليك ، ج 2، ق 1 ، ص 152) يزودنا بجمع كلمة صولق وهي صوالق التى ينبغي اضافتها الى القاموس .

راجع كذلك تعليقه كاترمير التى يستخلص منها ان كلمة صولق كانت تشير الى جيب جلدي كان يضم الى الحزام او المنطقة من الجهة اليمنى . ويظهر من عدة نصوص من كتاب الف ليلة وليلة ان حافظة النقود كانت تشد ايضا الى الصولق .

المضامة

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ويقرر هوست فى كتابه (اخبار من مراكش ، ص 115) : ان الفرد المراكشي يلبس فوق القفطان اما حزاما من الحرير واما مضمة Modhéma اي حزاما جلديا بابزيم ، ويلبسه رجال البلاط وجلساء الملوك بمثابة زينة ، راجع اللوحة 15 ، الصورة 3 ، ولكن بعض الناس لا يستغنون عن المضامة ، لانهم يلمون اثوابهم بواسطة هذا الحزام ، وبدونه تربكهم ثيابهم اثناء العمل » . ونرى من اللوحة ان القوم يحملون منديلا فى هذا الحزام .

ولا ريب ان هذه الكلمة عربية الاصل ، واعتقد انها الكلمة المؤنثة من الصيغة الثالثة من فعل ضم ».

وافترض كذلك ان هوست ضل فى كتابتها مضمة ، فى حين انها تلفظ جيدا Modhéma وذلك لان ءا تلفظ فى المغرب é ايه .

اذن فالمضامة تعني تماما :
« Res unam rem cum aliâ coniungens »
اي انها حزام يجعل شطري الجهة الامامية يتلامسان، او ، اذا صادفت هوى فى نفوسنا ، هي الحزام الذى يجعل الثوب الواسع يلاصق الجسم .

وبالرغم من ان هذا التخمين يبدو احتماليا ، فانني لن اسكت عن دونباي (النحو المغربي العربي ص 82) وهو يكتب الكلمة (مضمه) (كذا) وينطقها مضمه . وهو يفسرها بأنها حزام من الجلد :
« Cingulum ex corio, une ceinture de cuir.

الطربوش

ينبغي التمييز بين الطربوش الذي يلبس فى مصر والطربوش الشائع الاستعمال فى سورية والاقطار الشرقية الاناى .

ويرى لين (المصريون المحدثون – ج 1 – ص 41 – 42) ان « العمامة تتألف حاليا فى مصر من ثلاث مواد المادة الاولى الكلوتة الصغيرة المسماة طاقية – والمادة الثانية الطربوش الذى هو طاقية (او كلوتة) من الجوخ الاحمر – الملامس للراس كل الملامسة والمزود بقنزعة من الحرير الأزرق العاتك – اما المادة الثالثة والاخيرة فهي القطعة القماشيةالطويلة التى تلف حول الطربوش » .

ويقول فيسكيه (رحلة الى المشرق – ص 182 – 182) : « ان طربوش مصر هو الكلوتة المستديرة المصنوعة من الصوف الاحمر المليد المنتهية بخيوط حريرية قلت او كثرت » . والنساء ايضا يلبسن الطربوش (لين – المصدر نفسه – ص 58) . ونطالع فى كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن – ج 1 – ص 165) : وكان عليه كما ذكرنا الطربوش والشاش (العمامة) . (راجع لين ، الف ليلة وليلة ، ج 1 ، ص 324) .

وجاء فى رحلة فنسان لبلان الشهيرة (ج 2 ، ص 139) : ان نساء القاهرة يلبسن « طاقية صغيرة

---

(1) يرى هوست (رحلة الى مراكش ، ص 119 (Hôst, Nachrichten von Marokos
ان كلمة صوالف Sualf التى لا وجود لها فىالقاموس تشير الى نوع زينة رأس ، نوع عمارة شبيهة بما يدعى عزابة . ولكيلا يظن بأن هذه الكلمة تدل حقيقة على نوع عمارة فانني سأورد النص التالي لدييكو دي هيدو (خطط مدينة الجزائر ص 27 ، مج 4) التى تثبت لنا ان معلومات هوست خاطئة . فنحن نقرا فيه : « جميعهن ، بصورة عامة ، لهن عادة قص كل شعورهن بالموسى ، الشعور الموجودة حول العنق وحول قفا الراس ، حيث البناقة لا تصل ، وهن يقصصن ايضا جزءا من شعر الجبين : بحيث تبقى لهن من جانبي الراس خصل من الشعر ممشطة بعناية تنساب على الصدر : وهن يسمينها صوالف .
ويكتبها بيدرو دي الكالا (مفردات اسبانية عربية (صالف وصوالف) . ولكن كانيس Canês يكتبها (سالف والجمع سنوالف) ويفسرها بأنها خصل الشعر .

(2) الويبة هي مكيال حنطة وهو يبلغ اليوم سدس الاردب (راجع لين المصريون المحدثون ، ج 2 ، ص 417) .

على الراس من قماش غالي الثمن يعلوهـا قيطـان مبروم فى نهايته ندفة او قنزعة » . ونجد فى بوكوك (وصف الشرق ، ج 1 ، ص 328) ان سواد الشعب يلبس بدل العمامة الطاقية الحمراء التى تلتصق بالراس كل الالتصاق . وهي تلبس ايضا من قبل الاعراب (البدو) ويلبسها كذلك المولدون فى مصر ـ ولكن التجار وحاشية الامراء العرب والقسس الاقباط يستعملون الطاقية الاخرى » . وجاء فى كتاب الكونت دي شابرول (وصف مصر ، ج 18 ، ص 108): الطربوش هو الطاقية او الكلوتة الكبيرة الملبدة ـ التى تغطي الراس حتى الاذنين » . وبعد ذلك فى وصف ازياء النساء (ص 113) : « الطربوش هو الغطاء الذي يوضع فوق الطاقية » . ويخص ستيفنس فى كتابه (حوادث سفر فى مصر ـ ص 225) بالذكر « الطربوش الاحمر » من بين ملابس احد تجار القاهرة . انظر هيئة هذه الطاقية فى كتاب بوكوك ـ اللوحة 58 ـ وراجع كتاب ج فيسكيه .

وها قد راينا بفضل نص اورده بوكوك ان هذه الطاقية هي ايضا يلبسها بدو مصر . والواقع ان منتكازه يقرر فى كتابه (قصة رحلة الى اورشليم ـ ص 112) : « ان فرسان البدو يلبسون طاقية صغيرة من التيل » . ونجد فى كتاب كوبان (درع اوروبا) ما يلي : اما العوام فيستترون بقطعة طويلة من القماش الصوفي يلفونها فى كتاب كوبان (درع اوروبا) ما يلي : « اما العوام فيستترون بقطعة من القماش الصوفي يلفونها حول الجسم (بردة) مع طاقية حمراء مزودة بقطعة من التيل الابيض والاسود». ونقرا فى كتاب ستيفنس (حوادث السفر ، الخ ، ج 1 ، ص 224) : « وسرعان ما ارتدى بول الحلة العربية البدوية الاعتيادية : القميص القطني الازرق والطربوش والنعلين البدويين » .

ويؤكد بارثي فى كتابه (جولة عبر صقلية والمشرق،ج2،ص77): ان البدو المجاورين للأسكندرية كانوا يلبسون«الطاقيات الحمراء الصغيرة». وانما يميز الطربوش المصري عن الطربوش السوري وطرابيش البلاد الشرقية الاخرى ـ هو ان الطربوش السوري لا يلامس الراس تماما ـ ولكن له نهاية متدلية الى الوراء او الى الجانب . ونحن نقرا فى احد كتب بكنكهام (رحلة الى بلاد ما بين النهرين ، ج 1 ، ص 6) : « هناك طربوش واسع ـ او طاقية حمراء ـ تتدلى الى الوراء ـ على الرقبة والكتفين » .

ويقول ريشتر فى كتابه (رحلة الى الشرق الاوسط ، ص 68) عن سكان عكا : « يستعملون كعمرة للراس طاقية حمراء تتدلى الى الجانب ـ وتتثبت فى الراس بقطعتين من القماش مرقطتين». وفى موضع آخر (ص 82) يقول عن سكان بعلبك : « يلبسون على رؤوسهم الطاقية الحمراء التى تتدلى الى الجانب » . ويقول بكنكهام (رحلة الى بلاد ما بين النهرين ، ج 1 ص 151) عن رجال اورفه : « يلبسون الطربوش الواسع الذى يتدلى الى الخلف بصورة عامة » . ولعل اوليفييه يتحدث عن الطربوش ايضا فى كتابه (رحلة الى الامبراطورية العثمانية ومصر وفارس ـ ج 4 ، ص 327) حين يقول عن نساء بغداد : « ان زينتهن الاعتيادية الطربوش المخملي الاسود الكبير الذى يتدلى الى الوراء ـ المنتهى بقنزعة من الحرير الاسود او الذهب : فاذا كانت القنزعة من الذهب فان المغارز تكون مغطاة بالحرير او القصب . وهذه الطاقية مثبتة بالراس بشال كشمير (اللوحة 27) . ولكنني لا اريد ان أؤكد ان القضية هنا هي قضية طربوش ـ لانني لم اقع فى موضع آخر على ان الطاقية تكون من المخمل الاسود . وسأجعلكم تلاحظون ايضا ان الطربوش فى الساحل السوري لا يبدو انه يختلف دائما عن الطربوش المصري ـ ذلك لان ريشتر فى كتابه (الرحلة ـ ص 123 ـ الخ) يذكر فى وصف الحلة التى اشتراها من بيروت ـ للولوج الى داخل سورية : « هناك فيس احمر يدعى هنا طربوشا اي طاقية صغيرة مدورة » .

ولعل هذه الكلمة حين استعملت لم تصل الى العرب الا فى مطلع القرن السادس عشر ـ ولم تكن الا تحريفا لكلمة سربوش الفارسية ـ وهي فى العربية شربوش ... حقيقة ان هذه الكلمات تشير الى نوع من عمرة الراس مختلف ـ ولكن كلمة سربوش الفارسية فى غاية الغموض اصلا ـ ما دامت لا تشير الا الى زينة راس على وجه العموم . فمن الممكن كل الممكن ـ كما اعتقد ـ ان هذه الكلمة قد طبقت على انواع من عمارات الراس .

وتسمى هذه الطاقية فى الجزيرة العربية بـ (فس) وكذلك تدعى فى القسطنطينية . وكان الناس يسمونها قديما فى مصر شاشية ـ وهو الاسم الذي ما تزال تحمله فى المغرب . ومع ذلك فان كلمة طربوش ليست مجهولة فى المغرب ـ ذلك لان دونباي فى كتابه (النحو المغربي العربي ـ ص 83) يترجم كلمة طربوش بكلمتي Galericus nautarum وتسمى هذه الطاقية فى اسبانيا غفارة .

الطرحـــة

سبق لكاترمير ان زودنا فى كتابه (تاريخ السلاطين المماليك ـ ج 1 ـ ق 2 ص 21 ـ 22) بتفاصيل حول نوع الخمار المسمى طرحة . ونلاحظ فى تعليق هـذا العلامة التعمق العلمي الذي يميز كل كتاباته . وقـد تحدث كذلك سيلفستر دى ساسي فى كتابـه طرائف عربية ـ ج 2 ص 269) عن الطرحة ـ واستشهد به فريتاك . وسأحرص على اعطاء هذه المعلومات التـي استصفاها هؤلاء العلماء شكلا ـ ان يكن باهتـا مـن الناحية التاريخية فانه خلاف ذلك من جهة اضافـة ثمرة قراءاتي الخاصة اليه .

ولنشرع بوصف طرحة الرجال . فانها خمـار Voile empesé مصنوع من الشاش الموصلى الذي يلاث على العمامة ـ أو يطرح على الكتفيـن فقـط . فيتدلى على الظهر (والطرحة تشبه الطيلسان ـ وان التباين الذي ظن دى ساسي انه قد عثر عليـه بين الطرحة والطيلسان هو ظن وهمي . اذ يرى هذا العالم ان ما يميز الطرحة من الطيلسان ان الطيلسان يوضع على العمامة وان الطرحة تطرح على الاكتـاف . وان كلمات المقريزي (لدى كاترمير) « فوق عمامته طرحة سوداء » و « البس طرحة على عمامته » تؤكد ان هذا الافتراض افتراض لا يقوم على اساس . ونحن نقـرا كذلك فى تاريخ مصر (مخ كاترمير) : « حضر القاضي وعلى راسه طرحة » . وقديما كان الناس يلبسـون الطرحة مع العمامة (عمامة ـ شاش) كما بوسعنا ان نشهد ذلك فى عدة نصوص للمقريزي وفى مسالـك الابصار ولدى النويري ـ وقد استشهـد بها كلهـا كاترمير .

ويظهر ان الطرحة نفسها قد استعملت استعمال العمامة فى العصور الحديثة ـ لاننا نجـد فى وصف مصر (ج 18 ـ ص 109) : « الطرحة قطعة من الشاش الموصلي او جزء من الشال الذي ينساب الى قفـا الراس بعد ان يكون قد التاث عـدة لوثـات حـول الطربوش ـ وهذا النوع من الخمار يقـف بارتفـاع الكتفين ويحدث تأثيرا فى غاية الحلاوة : ويكون احيانا مطرزا او مرصعا بالذهب فى حواشيه » .

وكانت الطرحة لباس القضاة الخـاص ـ بـل شعار قاضي القضاة . وقديما كان لا يحملها الا القاضي الشافعي . (السيوطي لدى دى ساسي ـ ص 267 ـ مالك الابصار لدى كاترمير) . وفى عام 263 من ايام حكم الملك الظاهر بيبرس ـ تلقى قضاة الأربعة السماح لهم باتخاذ الطرح . (المقريزي ـ السلو ـ ترجمة كاترمير) . وهذا ما يؤيده النص التالي الذي استعيره من النويري (تاريخ مصر ـ ج 2 ـ ص 88) . اذ يقول هذا المؤرخ وهو يقص علينا اخبار حـوادث سنة 716) : « فوض قضاء القضاة الحنفية بمصـر للقاضي سراج الدين عمر بن شهاب الدين بن محمود وخلع عليه بطرحة على عادة القضاة » . ولكنني اجـد من المحتم على ان احملكم على ملاحظة ان هذا الامر لا يطابق البتة احد نصوص السيوطي (حسن المحاضرة ـ مخ 113 ـ ص 346 ـ حوادث عام 773) حيث نقرا : « وفى هذه السنة اراد السراج الهندي قاضي الحنفية ان يساوي قاضي الشافعية فى لبس الطرحة وتقرير القضاة فى البلاد وتقرير مودع الايتام ـ فاجيب الى ذلك . فاتفق انه توعك (1) عقب ذلك وطال مرضه الى ان مات ولم يتم الذي اراده » . وعلى هذا نـرى ان شهادة ابن حبيب (درة الاسلاك مخ 425 ـ ص 579) لا تدع اى مجال للشك بوفاة قاضي القضاة الحنفـي سراج الدين الهندي حقيقة فى عام 773 . فهـل فى المقدور حل هذه المعضلة بافتـراض ان القاضـي الشافعي كان هو وحده يلبس الطرحة بصورة اعتيادية ـ ان القضاة الثلاثة الآخريـن لم يكونـوا يلبسونهـا الا فـى المناسبـات الرسميـة ؟ والـواقـع ان القاضي الشافعي هو الذي كان يتمتع فى مصر باحتلال مركز الصدارة ـ واليه كان يعهد الحكم على قضـاة الطوائف الاخرى . (ليون الافريقي ـ وصف افريقيا ـ ص 706) وان الخطباء كذلك (خطبـاء الجوامـع والمساجد) كانوا يلبسون الطرحة . (السيوطي لدى دي ساسي) .

واول من خلع الطرحة كلباس تشريف يكرم به عظماء الدولة وكبراء ضباطها كان الملك السعيد خان 676 (النويري لدى كاترمير) . ونقرا لدى النويري (تاريخ مصر ـ مخ 2 ـ ص 32) : « خلع عليه خلعة الوزارة . وكانت الخلعة جبة عتابي حمراء وفوقـه فرجية زرقاء مسنجبة (مقنذزة) وطرحه (مقايسة مع كلمة فرجية) . ويخيل الي ان طرحة القضاة كانـت سوداء على الدوام .

وقد قلت آنفا ان الطرحة كانت مماثلة للطيلسان ـ

(1) ان التصريف الخامس لفعل وعك لا وجود له فى القاموس . وبوسعكم رؤية مثال آخر فى كتـاب الف ليلة وليلة . (ط مكناكتن ـ ج 1 ـ ص 43) .

وهذه الملاحظة تحتاج الى بعض التحوير ـ لاننا نقرأ للنويري (لدى كاترمير) : « لبس الطرحة والقى الطيلسان » . فهل الفرق بين الطرحة والطيلسان ينحصر في ان الكلمة الاولى تشير الى الطيلسان المقرر Voile empesé ؟ فان ما يدعوني الى هذه العقيدة هو اننا نقرأ للنويري (لدى كاترمير) : « يلبس الطيلسان المقور ويسمى اليوم بالطرحة » . ويتحتم علينا الان التحدث عن طرحة النساء . وهي كذلك خمار يوضع على الراس ويتدلى الى الوراء ـ ولكن هذا الخمار اطول من الخمار الذي يحمله الرجال . ويخبرنا ابو المحاسن (لدى دى ساسي) ان النساء في مصر قد لبسته ايام حكم الملك الناصر محمد بن قلاوون (693 ـ 741) فاذا آمنا بما يقوله هذا المؤرخ فان هذا النوع من الخمار كان يكلف كثيرا ـ ما دامت كل طرحة كانت تساوي من خمسة الاف الى عشرة الاف دينار . على انني لا اصدق ان هذه الطرح الثمينة كانت تلبس من قبل العموم ـ لاننا نرى من النص التالي للمقريزي ان الطرحة كانت تلبس ايضا من قبل طبقة واطئة من طبقات المجتمع ـ وان هذه الطبقة في الاغلب الاعم كانت فقيرة ـ ومن هذه الطبقة كانت المومسات تلبس الطرح . فنحن نقرأ في كتاب (وصف مصر ـ ج 2 ـ مخ 372 ـ ص 347) : وادركت سوق الشماعين عن الجانبين معمور الحوانيت بالشموع الموكبية والفانوسية والطوافات (1) لا تزال حوانيتها

---

(1) لا وجود لكلمة طوافة ـ وجمعها طوافات ـ في القاموس . وانني بمنحي هذه الكلمة المعنى المشار اليه في ترجمتي اعتقد بعدم مجانبتي للحقيقة كثيرا . ويخيل الي ان الاستعمال الجاري لفعل طاف يؤيد ذلك . ويقول المقري او بالاحرى ابن سعيد (راجع فريتاك ـ طرائف عربية نحوية تاريخية ـ ص 144) ان الطواف بالليل هم رمادة النشاب الحراس الذين يجوسون خلال المدينة ـ اثناء الليل لالقاء القبض على اللصوص . ويسمى ابن خلدون (راجع دى ساسي ـ طرائف عربية ـ ج 1 ـ ص 132 من النص) الجولات الليلية لهرون الرشيد بالتطواف بالليل ـ والقضية نفسها مبحوثة آنفا (المرجع السابق ـ ص 131) بهذه الكلمات : تطوفه بسكك بغداد » . وهناك نصوص اخرى تشير بالتحديد الى الاستعمال الذي يصلح له السراج المسمى طوافه . اما هذا النوع المضحك من المصابيح المسمى بالفانوس فراجع بشأن وصفه وصورته كتاب (المصريون المحدثون ـ ج 1 ـ ص 225 ـ 226) لمؤلفه ليـن .

وتشير كلمة زعر الى البوهيميين المدعوين كذلك بالرمادية . وعن المشاعلية راجع (كاترمير ـ تاريخ السلاطين المماليك ـ ج 1 ـ ق 2 ص 6)اما عن الزنجية فراجع (كوسان دى بير سفال ـ النحو العربي العامي ـ ص 161) الخ ـ حثالة الشعب . فنحن نقرأ لدى ابن اياس (تاريخ مصر ـ مخ 367ـ ص 44) « التف عليه جماعة من الزعر العياق ». وفي موضع آخر (ص 58) : « ومعه السواد الاعظم من الزعر والعشير » . وبعد ذلك (ص 138) :« ثم ان الزعر تزايد امرهم حتى انهم كسروا باب حبس الرحبة » .

وفي موضع آخر (ص 176) : « ومعه السواد الاعظم من الزعر وغيرهم » . وبعد ذلك (ص 414) : « نثر على الزعر الذهب والفضة بيده فاجتمع تحته الجم الحقير من الزعر والعياق (اى : القعد) . واخيرا (ص 477) : « ثار جماعة من العوام على المحتسب ـ امره (والى الشرطة) بان يقبض على جماعة من الزعر والعبيد ويقطع ايديهم . راجع كلمة عياق تعليقة وردت حول كلمة طرطور . وتعابير (اهل الذعرة ـ الذعارة ـ ذوو الذعارة) تشير الى نفس الصنف من الرجال . وان اميرا متحللا من الاخلاق ـ وهو محمد السادس الغرناطي ـ سماه ابن الخطيب في (الاحاطة ـ مخ دى كايانكوس ص 163) : « مالفا للذعرة » . ونقرأ للمقريزي (لدى دى ساسي ـ طرائف عربية ج 2 ـ ص 26 من النص) : « وكان قد ثار بدمشق جماعة من اهل الذعارة والفساد وحاربوا عمال السلطان واشتد مراهم . وكان كبيرهم يعرف بابن المأورد (وفي رحلة ابن بطوطة ـ مخ دى كايانكوس ـ ص 60) : « اتفق في بعض السنين ان اوتي امير الحاج بصبي من ذوي الذعارة بمكة قد سرق بعض الحجاج » . وتشير كلمة دعار كذلك الى البوهيميين . فنحن نجد لدى المقريزي (ايراد دى ساسي ـ طرائف عربية ـ ج 2 ص 29 من النص) « وصار في عدة وافرة من الذعار » .

اذن فكلمتا زعيرات الشماعين تعنيان بصورة خاصة : البوهيميين او المصريات ـ بائعات الشمع . والواقع اننا نعلم ان الراقصات العموميات (بائعات الهوى) هن في مصر من طبقة البوهيميات . ونرى فوق ذلك من نص المقريزي كلمة زعارة تستعمل بمعنى Scortatio .

مفتتحة الى نصف الليل . وكان يجلس به فى الليل بغايا يقال لهن زعيرات الشماعين لهن سيماء يعرفن بها وزي يتميزن به وهو لبس الملاوات الطرح . وفى ارجلهن سراقيل حمر . وكن يعانين الزعارة ويقفن مع الرجال السالقين فى وقت لعبهم . ومنهن من تحمل الجديد معها . وكان يباع فى هذا السوق فى كل ليلة من الشمع بمال جزيل . وقد خرب ولم يبق به الا الخمس حوانيت بعدما ادركتها تزيد على عشرين حانوتا وذلك لقلة ترف الناس وتركهم استعمال الشموع » .

ويخيل الي ان طرح النساء كانت تعمل من الكتان او من القطن – فانني إقرا لدى المقريزي (ج 2 – مخ 372 – ص 354 – 355) : « وفى اوله كثير من البزازين الذين يبيعون ثياب الكتان من الخام والازرق وانواع الطرح واصناف الثياب القطن » .

وفى ايامنا هذه ايضا تعمل الطرحة من الكتان او القطن . اذ يقول لين (المصريون المحدثون – ج 1 ص 60) فى معرض حديثه عن طرز لباس سيدات الطبقة العليا ونساء الطبقة الميسورة : « انهن يضعن على رؤوسهن اما قطعا من الشاش الموصلى الابيض المطرزة الحواشي بالحرير الملون والمرصعة بالذهب واما قطعا من الكريشة الملونة المزركشة بأسلاك الذهب – الخ – او بأسلاك معادن اخرى » . وان الزراكش والتزويقات التي ذكرها لين توضح لنا – مهما بلغت ضآلة هذا التوضيح – السعر الفاحش الذي تباع به الطرح طبقا لرواية ابن المحاسن) وطرحة نساء الشعب ذات لون غامق وهي من الشاش الموصلى او من الكتان . (لين – ج 1 – ص 64) . وتعمل الطرحة فى مصر العليا من قماش صوفي أسمر . (لين – ج 1 ص 69) . راجع هيئة هذا الخمار فى كتاب (لين – ج 1 – ص 57 – 64 – 68) .

واعتقد اننا واجدون الطرحة فى حلب . فعلى الاقل نراها لدى برين فى كتابه (الرحلات – ص 362) اذ يصفها بأنها قطعة كتان بيضاء مشدودة الى عمرونة الراس ومسبلة الى الوراء » . انظر الشكل 189 فى كتابه . على ان طرحة نساء حلب لم تكن طويلة طول طرحة السيدات المصريات . وقد راينا معتمدين على نصين للمقريزي مذكورين آنفا وجوب اضافة كلمة جمع طرحة طرح الى القاموس . وانني اجهل كيف ينطق العرب هذا الجمع – ولكن طبقا لقواعد النحو بوسعنا ان نقول طرح وطرح . (راجع دى ساسي – قواعد النحو العربي – ج 1 – ص 359 – 360) . وقد لاحظ كاترمير (كتابه السالف القيم) ان فعل تطرح قد تولد من كلمة طرحة : اي لبس الطرحة .

الطرطور او الطرطور

لقد سبق لكاترمير (تاريخ السلاطين المماليك ج 1 ، ق 1 ، ص 77) ان تحدث عن الطرطور . ولكن هذا العالم الجليل لم يتحتم عليه ان يؤلف كتابا خاصا عن الملابس عند العرب : اذن فنحن مرغمون على الدخول فى التفاصيل والتوسع فى منعطفاتها ، تلك التفاصيل التي كان بمقدور كاترمير ان يتحفنا بها هنا دون ريب لو انه شاء ، ولكنها لم تستطع ان تحتل محلها فى نطاق شرح على احد المؤلفين .

لا بد ان كلمة طرطور تشير الى : طاقية عالية .

وهذا ما ينم عليه اشتقاق الكلمة . حقيقة ان فعل طرطر لا وجود له فى القاموس الا بالمعنى المجازي : معنى التمجيد Gloriatus fuit ولكن هذا الفعل يعني بصورة عامة الرفعة او الرفع الى الاعلى In altum sustulit elevavit فنحن نقرأ فى كتاب الف ليلة وليلية (ط مكناكتن ج 1 – ص 8) « طرطر ذيله وضرط :

In altum sustulit caudam suam et caca vit

وسنتحدث اول ما نتحدث عن طرطور النساء وبعد ذلك نتناول طرطور الرجال .

نحن نقرأ فى كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ج1 ، ص 161) ان نصابة استطاعت ان تحصل من عشاقها على ملابس نسائية فالبست عشيقها الثالث الوزير (غلالة زرقاء وطرطورا احمر) . ونجد فى هذا الكتاب: (يوميات رحلات السيد مونكوني ج 1، ص 381 (Le journal des voyages de Monsieur Monconys

ان نساء الشرفاء يضعن « شريطا أخضر فيطرطورهن» وعلى هذا فلا اتردد في التفكير بأن بلون Belon يتحدث عن الطرطور وهو الرحالة الذي زار مصر في الاونة التي كتب خلالها كتاب الف ليلة وليلة ، وذلك حين يصف الطاقية العالية التي تلبسها النساء المصريات اذ يتناول الموضوع في كتابه ملاحظات ص 134 (observations) على هذا المنوال : « ان ملاحظة طراز لباس الراس الذي تتخذه النساء المصريات جديرة للغاية بالتسجيل، ذلك لانه يمثل القدم والعتاقة، كما نرى اشباهه مضروبة في الاوسمة وطبع النقود . وقد سماه المؤلفون التاج المبرج او زينة الراس على هيئة البرج (الاشرطة المبرجة)

Vittam turritam او Turritam coranum او Turritum capitis or namentum

كما لو قال القائل « عمارة راس منصوبة على شكل برج » (1) .

وبالنظر لاهمية غرابة هذا الغطاء الراسي فان شعراءنا اللاتين القدماء لم يغفلوا ذكره فقد تناولوه بالوصف«راجع الصوز المخطوطة في كتاب بلون Belon التي هي ولا مشاحة غير مستوفاة الشروط من الناحية الفنية .

واعتقد انني واقع على الطرطور في ساحل سورية في بيروت . فعلى الاقل يقول تيرنر في كتابه : (يوميات جولة في المشرق ص 81 ج 2) (Journal of a tour in the Levant - Türner عن ابنة مضيفه في هذه المدينة انها كانت تلبس طاقية حمراء في غاية الارتفاع مبثوثة فيها انواع قطع النقود التركية امثال ما يدعى Rubiehs sequins وغير ذلك ، تلك القطع التي قد يرتفع عددها الى مائة وخمسين قطعة على اقل تقدير ، وهذه القطع النقدية مجتمعة على اشرطة حريرية معلقة بسلاسل فضية » .

والواقع ان الطرطور تلبسه النساء المارونيات والدرزيات ، ولكنه لديهن مشغول من احد المعادن . وهذا ما يقوله باجيس Pagès بالحرف الواحد في كتابه « رحلة حول العالم ، ط بيرن 1783 ، ص 141 » Voyage autour du monde

« الطرطور Tantoura هو عمارة راس على هيئة مخروط من الفضة تلبسه النساء الدرزيات (2) . وذكر نابييه Napier كذلك الطرطور Tontura في كتابه « ذكريات عن سورية ، ج 1 ، ص 135 » (Reminiscences of Syria) ويسميه قرن نساء بيروت ، وبعد ذلك (1 ، ص 223) يقول : « الطرطور او قرن نساء لبنان » Tontura or horn . وهناك وصف مفصل عن الطرطور الذي تلبسه النساء اللبنانيات في كتاب المؤلف ذاته (ص 262 ، 264). وان كاترمير حين اورد نص باجيس Pagès حسب من المحتم عليه احلال كلمة Tartoura محل كلمة Tantoura ولكن بالنظر الى ان الكلمة توجد كذلك مكتوبة بحرف النون ((n)) في كتاب نابييه Napier ، وان حرف الراء (r) وحرف النون ((n)) هما حرفان ينتميان الى نفس الفصيلة ويمكن ان يعتورهما الابدال بسهولة في معظم الاحيان ، فلذلك لا يبدو لي من الاستحالة بمكان امكان النطق هذا اليوم بالكلمة بلفظ طنطورة لدى الدروز . وعلى كل حال فان هذه الكلمة ليست سوى تحريف لكلمة طرطور .

وقد تحدث عدة رحالين آخرين عن عمارة النساء المارونيات والدرزيات هذه ، ولكن دون ذكر لاسمها . فنحن نقرأ في رحلة لايت Light (اسفار في مصر والنوبيا والأرض المقدسة وجبل لبنان وقبرص ، ص 220) :

(Travels in Egypt, Nubia, Holy Land, Mount Libanon and Cyprus)

«ان النساء المارونيات والدرزيات يضعن على رؤوسهن انبوبة من القصدير او من الفضة على هيئة مخروط له

---

(1) يقول حافظ ابراهيم في وصف عمامة احد المعممين :

يمشي وقد نصبت عليه عمامة كالبرج لكن فوق تل نفاق (المترجم)

(2) ورد ذكر هذا النص من قبل كاترمير (في كتابه الرائع) ولكن في طبعة اخرى .

من الطول حوالي اثنتى عشرة عقدة . ولعل هذا الجسم كان اضخم مرتين من بوق الحوذي » (انظر الصورة). ويقول الرحالة نفسه بعد ذلك (ص 232) فى معرض حديثه عن عروس امير جبل لبنان « كانت تبدو احيانا مرتدية حلة الفطر ، وقد زانت راسها بقرن من الذهب مرصع بالأحجار الكريمة بدلا من القرن العادي الذي تحمله عادة نساء الجبل الاخريات A golden horn ونقرا فى رحلة تيرنر (ج 2 ، ص 7 5) : « لقد رايت بضع نساء مارونيات خارجات من الكنيسة (بيروت) وكن يلفتن النظر بقرن ضيق يبلغ طوله ثماني عشرة عقدة . وهو مغطي بخمار ويرتفع على الجبهة فى نفس الاتجاه وعلى نفس الهيئة اللذين تصور بهما قرن الكركدن او الحيوان الخرافي كحصان بقرن فى جبهته » . وان طبقة النساء تشير اليها ضخامة القرن والمادة المصنوع منها الجسم ذلك لان بعض هذه الطراطير مصنوع من الفضة ، بل هناك طائفة من الطراطير المصنوعة من الذهب » .

وفى موضع آخر (ج 2 ، ص 67 ، قبل لبنان) : « لقد سالت الآباء Padre كيف تعمل النساء لتثبيت القرن على هذه الصورة المرتفعة للغاية بحيث يغطي الجبين ، فاعلمني بأن هذا القرن يثبت على قفا الراس بواسطة عصابة ، وان شريطا معلقا بهذه العصابة يحيط الجبين وان شريطا آخر يحيط بالعنق ، وان ثقل وضغط هذا الاكليل كانا فاحشين للغاية ، بحيث لم تستطع اية امراة حمله ما لم تكن قد اعتادت عليه منذ الطفولة . اما نساء الطبقة العليا فيلبسن الطراطير الذهبية . واما عوام النساء فيضعن الطراطير الفضية او تنحصر اكاليلهن فى قرن اعتيادي او فى قرن مائل اذا كن ميسورات الحال فاستطعن توفير هذا القرن الرائل » . وبعد ذلك (ج 2 ، ص 68 و 69) : « فى هذه الجبال تلبس النساء نوع قرن لكنه اقصر وهو يمر فوق الاذن اليمنى ويرتفع بزوايا قائمة بدلا من الارتفاع بخط مستقيم . وقد صادفت احدى هاته النسوة فحملتها على خلع قرنها ، وذلك باعطائها بعض البارات . وقد وجدت ان هذا النوع من القرن مشدود بكل بساطة بفضل طرحة،ويكون احيانا مثقوبا لاستطاعة تثبيته بسهولة بالغة » . وبعد ذلك (ج1 ، ص 71) نقرا ان الرحالة على علم بأن النساء اللواتي يحملن القرن على الجبين هن مارونيات ، وان اولئك اللواتي يحملنه على الاذن هن كذلك فى الاغلب الاعم مارونيات ولكنهن فى بعض الاحايين درزيات ، ونحن نقرا اخيرا فى موضع آخر (ج 2 ، ص 73) : « لقد اقنعت المراة المارونية بخلع قرنها (وكان يرتفع فى خط مستقيم) وان تريني اياه ، وكان هذا القرن مصنوعا من الفضة ، دون زينة اخرى ، اللهم الا عدة ثقوب صغيرة مستحدثة فيه على مسافات متساوية » . راجع كذلك (ريشتر رحلة الى الشرق ، ص 90 – 91)

Richter, Wallfahrten in Morgenland

وسنتناول الآن بالحديث طرطور الرجال . وقد كانت الطاقية الاعتيادية لبدو مصر . فنحن نقرا فى كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، 1 ، ص 365) ان سيدة فى مقتبل عمرها قالت للامير (شركان) بعد ان صرعته فى مبارزة ، وهي تضحك : « كانك طرطور بدوي تقع من بطشة » . والبطشة هي الضربة . وهذا المثل موجود كذلك فى كتاب بركهارت حول الامثال المصرية العربية المحدثة رقم 398 . ولكن قد اشير اليه بنجمة وهذا يعني انه لم يعد شائع الاستعمال فى مطلع هذا القرن . ونحن نقرا فيه طرطوري يقع من لطشة . وعلى رغم بركهارت ولبو بل برغم فيشر (Arab. proverb) (M. Fleischer - de glossis Mabichtianis, p. 80) الذي يخيل الي انه يذهب نفس المذهب ، فانني لا يسعني التسليم بأن (طرطوري) هو شكل آخر من طرطور اذ انني على النقيض من ذلك اترجم طرطوري بكلمتي mon tartour (طرطوري) اى الطرطور العائد لي . اذن فمعنى المثل الذي اورده بركهارت فى مذهبي « طرطوري يقع من ضربة واحدة (1) ومعنى ذلك انني رجل لين العريكة مطاوع بحيث ان اهون شيء يحملني على تبديل رايي . وفى نص آخر من نصوص الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ، ج 1 ، ص 419) يقسم بدوي بطرطوره فيقول : وحق طرطوري . وبطبيعة الامر يفضي بنا هذا الى البحث عن ماهية الطاقية العالية التي يلبسها بدو مصر فى القرن السادس عشر ، بل فى العصور الاقدم . وعلى ذلك فان مؤلف حكاية (فون خيستلا فى رحلاته ! ص 30 Van Ghistele (T, Votage van Mher Joos va Ghistele)

يقول بالحرف الواحد : « انهم يحملون على رؤوسهم

---

(1) تعني كلمة لطشة فى اللهجة المصرية ضربة لا هي بالعنيفة ولا الخفيفة – تعليق بركهارت . راجع ملاحظة فليشر القيمة فى كتابه : A. de glossis Habichtianis ص 80 .
واعتقد وجوب احلال كلمة لطشة محل كلمةبطشة فى نص الف ليلة وليلة المذكور اعلاه .

برانيط حمراء واسعة . مصنوعة من اللباد المعرط في الكثافة (الكثاف) وهي على هيئة شبه بيضوية مسطحة . اذن فهذا الاكليل يماثل تاج الاسقف ، البرطل ، الطابية Mitre ولكنه ليس مدببا من الاعلى . وحول هذه الطاقية يلفون ثلاث او اربع لفات قطعة من الشاش والعمامة) . ونقرا في كتاب سالينياك (رحلة الى اورشليم ، ج 8 ، ف 2) :

Itinerarium Hierosol. VIII, cap. 2

« انهم يكتسون بجلود الحيوانات وبطاقية عالية ، مثل الاتراك » . ويجزم دلشيور فون سيدلتز ، في كتابه : (وصف حقيقي دقيق لزيارة الاماكن المقدسة ، ص 361)

« Gründliche Beschreybung der Wallfahrt » :

« ان اطفال البدو يعدون بين الماشية وهم لابسون طاقية مدببة سنجابية اللون » .

ونجد في قصة هيلفريتش ، وصف رحلة مختصرة ، ص 379

« Hellfrich (Kurtzer unnd wahrhafftiger Bericht von der Reysz » :

« ان البدو يلبسون في رؤوسهم قبعة حمراء مدببة زباء (مزببة ، محوطة بقطعة من القماش الابيض » . (مسورة بالعمامة ؟) وفي قصة الامير رادزيفيل ، ص 38 ، الحج الى اورشليم

(Jerosolymitana peregrinatio)

ان الطيارة للبدويين Tiara (تاج البابا ، تاج قدماء الفرس) مذكورة ايضا . ونحن نقرا في رحلة مسكازا ص 112 ، قصة رحلة الى اورشلم :

(Relatione del Viaggio di Gierusalemme)

« انهم يضعون على رؤوسهم نوع قبعة عالية محرومة من الثنيات ، لونها اسود ، وترتفع اطرافها من الاعلى مستديرة اكثر قليلا من اصبع .

ولم اجد الطرطور او الطاقية العالية للبدو المصريين مذكورين من قبل الرحالين الذين زاروا مصر بعد منتكازا . (زار منتكازا الشرق عام 1600). ويخيل الي ان الطرطور لديهم قد اقيم مقامه الكلوته المسماة بالطربوش الذي كما سبق ان قلنا آنفا ، في معرض حديثنا عن هذا الاكليل ، كان يلبس سابقا من قبل الفرسان البدو ، ايام كان هذا الرحالة الايطالي موجودا في مصر .

ونحن نعلم ان البداة المصريين ، وهم رجال غلاظ الاكباد قساة القلوب محرومون من الحضارة ، كانوا يعانون ما يعانون من فظائع الازدراء والاستعلاء من جانب سكان مصر المتمدنين المزعومين . اذن فلن يبدو على شيء من الغرابة نظر سكان المدن الى هذا الطرطور الهائل الذي يضعه البدو على رؤوسهم نظرة مضحكة مستخفة ، لواقع انهم كانوا يضعون دائما على راس المجرم ، او على راس العدو المقهور ، طرطورا ويطوفون به على هذه الشاكلة الوحشية في الشوارع والدروب . والحقيقة اننا نقرا في تاريخ مصر للنويري (مخ 2 ، ص 99) : « وابو ركوة على جمل . وعلى راسه طرطور . وطيف به على هذه الصفة وخلفه قرد يصفعه . ثم صلب وضربت عنقه . وجهزت راسه الى البلاد . وفي موضع آخر (مخ 2 ، ص 108) : فحلقوا ذقنه . والبسوه طرطورا . وسمروه . وطافوا به المدينة السلطانية (1) .

---

(1) ابو ركوة امير من البيت الاموي في الاندلس . وقد حاول ان يخلع خليفة مصر الحاكم بأمر الله عن العرش ولكن خانه اتباعه وسلموه . راجع حول الموضوع فيما تراجعه هامر بركستال في كتابه (قاعة الرسم لاعظم سلاطين الاسلام ، ج 3 ، ص 345 – 346) :

« Hammer-Purgstall, Gemäldesaal groszer Mos-limischer Herrscher » :

وان فعل سمر ، في الصيغة الثانية ، يعني تثبيت مجرم بالمسامير على صليب وصلبه . ولما كان هذا الفعل كثير الذيوع لدى المؤرخين ومفسرا اسواء تفسير في القاموس ، فمن المحتم علي ان ادخل بصدد هذا الموضوع في بعض التفصيلات . فان كلمة مسمارة تعني القطعة المعروفة من احد المعادن. فكلمة مسمار تشير الى هذا الجسم المعدني . فنحن نقرا في رحلة ابن بطوطة (مخ دي كاياتكوس ص 194) : ثم صرفه واعطاه اموالا طائلة وفي جملة ما اعطاه جملة من صفائح الخيل ومساميرها . كل ذلك من الذهب الخالص . وقال له : اذا نزلت من البحر فانعل فرسك بها . وفي تاريخ مصر للنويري (مخ 7 ، ص 154) : عشرة مسامير من الذهب . وفي كتاب ابن بطوطة : مسمار فضة . وفي موضع آخر : مسامير الفضة . ومن هذه كلمة مسمار تعني القطعة المعروفة من احد المعادن . للنويري (مخ 2 ، ص 479) : اخرج فسمر على خشبة . وبعد ذلك (ص 482) يقول المؤرخ عن الشخص نفسه انزل شنشول عن خشبته. ونجد في تاريخ مصر للمؤلف نفسه (مخ 19 ، ص 138) : بات في ليلة الاثنين على خشبة التسمير . (وسأتحدث تاليا عن كلمة خشبة وجمعها خشب وعن مختلف مدلولاتها . راجع في كلمة طاقية التعليق (3) . ولكن ليس من الضروري اضافة كلمتي على خشبة او —

وسانشر بهذه المناسبة نصا لابن اياس ممتعا للغاية من عدة وجوه . فنحن نقرا فى تاريخ مصر (مخ 637 ، ص 16 وما جاء بعدها ، حوادث عام 787) لهذا المؤرخ من الحوادث ان السلطان رسم بابطال ما كان يعمل يوم النوروز . وهو اول يوم من السنة القبطية . ومما كان يعمل بالديار المصرية ذلك اليوم انه كان يجتمع فى ذلك اليوم السواد الاعظم من العوام وغيرهم من الاسافل . ويركبون منهم شخصا خليعا على حمار وهو عريان وعلى راسه طرطور خوص فيسمونه امير النوروز ، ويكون ذلك قوى الطباع فيتوجه الى بيوت الاكابر واعيان الناس ويقف على الابواب ومعه السواد الاعظم من الاسافل فيكتب على صاحب تلك الدار الوصولات بالجمل الثقال وكل من امتنع من العطا بهدلوه وسبوه ولو انه اكبر من فى القاهرة . ولا يزالوا مرسمين على بابه حتى ياخذوا منه ما قرروه عليه وياخذوا منه ذلك القدر غصبا وكان منهم طائفة يقفون فى الطرقات ويتراشقون بالماء المنجس او بالخمر ويتراجمون فى وجوههم بالبيض ويتصافعون بالاخفاف على رقابهم ويتراجمون بعمائمهم حتى قيل فى المعنى :

(الطويل)

بداري رجال للجنون ترجلت

عمائمهم عن هامهم والطيالس

فللراح ما زرت عليه جيوبها (حبوبها)

وللماء ما دارت عليه القلانس

مساحب من حر الزقاق على القفا

وصفع بانطاع حبي ريالس (كذا) .

وكانوا يقطعون الطريق على الناس ويمنعونهم من الخروج فى ذلك اليوم الى الاسواق . وتغلق فى ذلك اليوم الدكاكين وتتعطل الناس عن البيع والشرى . وكل من ظفروا به فى الطريق بهدلوه ولو كان من اعيان الناس او من الامراء فيرشونه بالماء المتنجس ويرجمونه بالبيض حتى يفدي نفسه منهم بشيء حتى يخلص من ايديهم فيحصل للناس فى ذلك غاية الضرر ويتعطل عن اسبابهم . وكانوا يتجاهرون ذلك اليوم بشرب الخمر وكثرة الفسوق فى اماكن المفترجات حتى يخرجوا فى اليوم عن الحد . وربما كان يقتل فى ذلك اليوم جماعة مما يعربدوا على بعضهم فى السكر والعياقة . وكان هذا الامر ماشي بمصر على القاعدة القديمة من الدولة الماضية ولا تنكر ذلك من ذلك (فى الدول الماضية ولا ينكر ذلك) وكان فى ذلك اليوم يحمل الى اكابر مصر من الاقباط والمباشرين اصناف الفواكه وغيره من جميع الاصناف . وكان يوم النوروز من اجل المواسم بمصر . فلما تسلطن الظاهر برقوق امر بابطال ما كان يعمل فى ذلك اليوم وارسل الحجاب مع والي القاهرة ومعهم المماليك السلطانية . فطافوا باماكن المفترجات وقبضوا على من وجدوه من العياق من يفعل ذلك وضربوه بالمقارع . وربما قطعوا ايدي جماعة منهم واشهروهم . واشهروا النداء بالتهديد على من يفعل ذلك بالشنق والتوسيط . فرجعوا الناس عن ذلك من يومئذ وانكفوا عما كانوا يفعلونه فى ذلك اليوم فى اماكن المفترجات ونحو ذلك

— على خشب للتعبير عن تسمير احد على صليب . فان فعل سمر يكفي للاعراب عن الفكرة ، فكرة هذا النوع من التعذيب المسمى تسميرا . فنحن نجد فى تاريخ مصر للنويري (مخ 2 ، ص 170) : فطولع السلطان فى امرهم وامر بتسمير الخمسة فسمروا تحت القلعة . وشفع بعض الامراء فى اطلاق المراة . واطلقت وفكت المسامير فماتت بعد ايام . وفى موضع آخر (ص 186) امر بتسمير جماعة كانوا معتقلين بخزانة البنود . وفى مجلد آخرمن نفس الكتاب (مخ 2 ، ص 108) : سمروه وطافوا به المدينة .

وهذه الواقعة ذكرها المقريزي من حوادث سنة سبع وثمانين وسبعمائة (1) .

وليس هناك ادنى ريب فى ان ابن اياس يلمع هنا الى كتاب السلوك للمقريزي ، وهو السفر الذي خلت منه مكتبة ليدن واأسفاه !

ولعل اناسا سيتناولونني باللـــوم على نشـــري وترجمتي للنص بتمامه : ولكن يخيـــل الـــي ان من الغرابة كل الغرابة المثور فى الشرق على عيد يشابه، مهما كانت المشابهة ضئيلة ، عيد مجانين العصـــر الوسيط والكرنفال ، بحيث استطيع ان اقرر نشـــر بضع فقرات فقط من هذا النص ... لذلـــك كـــان لا مناص لي من نشر النص بأكمله . وساحملكم مـــرة اخرى على ملاحظة ان احتفالا مثل هذا يقام فى بعض افطار الشرق ، فى مطلع شهر رمضان . راجع وصف احد هذه الاحتفالات فى كتاب تيفنو ، ص 287 ، 279، حكاية رحلة الى المشرق :

« Relation d'un voyage fait au Levant » :

واعتقد ان المعنى هو الطرطور فى النص التالي لتيفنو فى كتابه المذكور ، ص 69 ، الذي وصف الزينة فى حلب (2) بالعبارات التالية : « ان اجمل ما فى هـــذه الزينات هو رؤية مسيرة اصحاب الحرف . فقد بدات هذه المسيرة بمرور الاساكفة الذين كانوا يمشـــون بنظام . وقد انطلقت المسيرة بادىء ذي بدء يتقدمها

تعليـــق (1) .

(*) راجع حول كلمة خليع فليشر فى كتابه السالف ص 95 .

(*) راجع كذلك لين الف ليلة وليلة ، ج 2 ، ص 377

(*) ان فعل بهدل يعني اهان . راجع الف ليلة وليلة، 7 هابخت ، ج 6 ، ص 143 ، وقويميس الكلمـــات المضاف الى المجلد السابع من هذا الكتـــاب .ونحن نقرا فى موضع آخر من كتابابن اياس (ص 386) ثم قال السلطان) ايش اعظم ما تبهدوا به الناسعندكم . قال نرميهم بثيابهم فى الماء . وارى ضرورة احلال كلمة تبهدلوا محل كلمة تبهدوا ، وتوجد كلمة بهدلة فى نص آخر من كتاب المؤلف المذكور . فنحن نقرا فيه (ص 452) . وقد حصل للقـــاصد من العوام غاية البهدلة منالسبوالرجم وغير ذلك.

(*) يجب اضافة التصريف السادس من فعل رشالى القاموس . وكذلك التصريف السادس من فعـــل صفـــــع .

(*) لقد حذفت البيت الثالث لانني اعترف صراحةاني لا افهم شيئا منه مطلقا ، والمخطوطة كثيرة الاخطاء فى هذا الموضع .

(*) لا وجود لكلمة مفترجات فى القامـــوس . وفىنص آخر من مخطوطة ابن اياس (ص 296) توجـــد هذه الكلمة مكتوبة مشكلة على هذه الصورة مفترجات . ونقرا فيه : وكان يحب التنزه والمفترجـــات (العاهرات) . ونجد فى موضع آخر (ص 74) « ان احدا لا يخرج الى المفترجات قاطبة (منع ذلك السلطان) . وبعد ذلك (ص 297) : وقد تقدمما كان يقع له فى المفترجات . واخيرا (ص 415) : « وهو كلام ملحن مطول . وصاروا يغنون به فىاماكن المفترجات» . ويجب علي ان احملكم على ملاحظة انني لم اجد هذه الكلمة لدى اى مؤلف آخر ، وانالمؤلفين الاوربيين ، الذين يذكرون فى معظم الاحيان الاسم الذي كانت تحملة المومسات فى زمانهم فى الشرق لا يسمونهن ابدا مفترجات .

(*) لا وجود لفعل شهر بهذا المعنى فى القاموس ، الا فى التصريف الثاني . ولكن التصريف الرابع يعبر احيانا عن نفس الفكرة . فنحن نقرا فى موضع آخر من كتاب ابن اياس (مخ ، ص 66) : سمرهـــم واشهرهم فى القاهرة . وبعد ذلك (ص 180) :
اشهرهم فى القاهرة على جمال . وفى موضع آخر (ص 416) : ضربه المقارع واشهره فى القاهرة . وفى مجموعة القطع المختارة الخاصة بالدروز (لدى دى ساسي ، طرائف عربية ، ج 2 ، ص 90 من النص) : اشهارك بالقاهرة المقدسة وبشوارعمصر وازقتها .

(*) راجع حول العذاب الفظيع المسمى بالتوسيط سيلقيستر دى ساسي ، طرائف عربية ، ج 1 ، ص468 وكذلك كاترمير ، تاريخ السلاطين المماليك ، ج 1، ق 1 ، ص 72) . وعلاوة على ذلك بمقدوركم مراجعة اتيين دى كنبنبير وغيره .

(2) راجع حول كلمة « زينة » كاترمير (تاريخ السلاطين المماليك ، ج 1 ق 1 ، ص 29) .

رهط من الصبيان الذين كانت رؤوسهم مغطاة بطراطير ورقية مدببة على هيئة قوالب السكر (1) Pains de sucre . وما يزال الدراويش يلبسون الطراطير . اذ يقول لين بصراحة فى كتابه (المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص 369 ، ج 2 ، ص 190) ان بعض الدراويش يلبسون الطراطير او الطاقيات العالية المعززة قممها بقنازع من قطع الجوخ المختلفة الالوان، والتي عادة لها شكل قوالب السكر . وانني اقرا فى رحلة ستوكوف الى المشرق ، ص 433 ، وهو يتحدث عن دراويش القاهرة :

« كان واضعا على راسه طاقية معمولة على هيئة قالب سكر مغطاة كلها بآلاف الريشات الصغيرة من مختلف الألوان » . وفى حكاية كوبان Coppin (درع اوروبا ، ص 131 : Le Bouclier de l'Europe) « يلبس الدراويش طاقية مشغولة على هيئة قالب سكر » . وفى يوميات اسفار دى مونكونى ، ج 1 ، ص 167 : « انهم يضعون على رؤوسهم طاقية فخمة من اللباد الوردي المعمول على هيئة قالب السكر ، وكانت احداهما تشابه كل المشابهة تاج الاسقف او البرطل او الطابية ، وتحف بها نقوش على صورة ازهار خضراء زاهية اخاذة ، وقد وجدت احدى الطاقيات الملفوفة عليها لفافة بيضاء كتلك التي تكور بها العمامة». انظر للمقارنة الصورة المرقمة 19 ، الملصقة فى الصفحة 346 من الجزء الاول ، وتمعن كذلك فى الشكل الموجود فى كتاب بوكوك ، رحلة الى الشرق ، ج 1 اللوحة 58 .

ولعل من المحتمل الراجح ان دراويش سوريا يلبسون كذلك الطاقيات العالية المسماة بالطراطير ، وهذا مؤيد بشهادة روجيه فكتابه (الارض المقدسة ، ص 245 La Terre Sainte, p. 245) يقول : « انهم يعتاضون عن العمامة بالطاقية البيضاء المشغولة من اللباد الذي يصل سمكه احيانا الى عقدة وارتفاعه الى قدم » . ويقول دارفيو D'Arvieux كذلك فى كتابه (مذكرات ، ج 6 ، ص 465) وهو يتحدث عن دراويش حلب : « ان ما يميزهم عن سواهم هو طاقية من الصوف الابيض ، مفرطة فى الطول ومدببة كل المدببة » .

والطرطور يلبسه كذلك الفرسان الاتراك الذين يطلق عليهم كلمة دلى Delis (راجع بركهارت ، الامثال العربية ، الرقم 149 ، حول مثل : جندي ما قبل شيع طرطوره) .

اما عن طرطور اتراك مدينة الجزائر فبوسعكم مراجعة الوصف الدقيق الذي دبجته براعة دييكو دى هيدو فى كتابه (خطط مدينة الجزائر : ص 20 ، مج 3 و 4) .

وهذا المؤلف يكتب الكلمة على هذا الشكل : تورتسورا : Tortora .

الطلس

يذهب القاموس اط كلكتا ، ص 772) الى ان الطلس هو (الطيسان الاسود) (2) .

الطيلسان ـ الطيلسان

ان التفاصيل التى اوردتها حول كلمة طرحة تجيز لي الايجاز فى معرض التحدث عن الطيلسان .

يقول لين (الف ليلة وليلة ـ ج 2 ـ ص 512) عن الطيلسان ما يلي : « لم تتح لي الفرصة ابدا لفحص الطيلسان وعلى ذلك فليس بمقدوري ان اصفه وصفا دقيقا . ولكنني اعتقد انه نوع بسيط من الخمار الذى يطرح على الراس والكتفين . او يلقى احيانا على الكتفين فقط . وهو خاص بالفقراء او باساتذة الفقه والشريعة (3) . وهذه التفاصيل صحيحة ودقيقة ـ وبوسعكم الاقتناع بالرجوع الى مقالتي عن الطرحة .

وقديما كان الطيلسان لا يلبس الا من قبل علماء الشريعة ـ ومن هنا جاء التعبير الوارد فى كتاب ابن حبيب (مخ 425 ـ ص 383) : اهل السيف والطيلسان ـ ولكننا راينا آنفا ان الطرحة قد ارتداها ايضا كبراء مصر ـ ابتداء من عام 676 فانقطعت عن كونها لا تلبس الا من قبل القضاة واولئك الذين لم يكونوا يمارسون الا سلطة روحية وقضائية.

---

(1) قالب السكر ما نسميه نحن (كلة الشكر !) .
(2) لعل المؤلف اراد ان يكتب (الطيلسان) فخط (الطيسان) . (المترجم) .
(3) ويضيف قائلا : « انني ميال للظن بأن الطيلسان شبيه بأوشحتنا وقلانسنا الاكاديمية ـ ليس من ناحية المظهر فحسب ـ وانما من جهة الاصل .

وكذلك شأن الطيلسان . فنحن نقرأ مثلا فى تاريخ مصر لابن اياس (مخ 367 ــ ص 41 ــ 42) « فلما وقعت عينه على الملك الظاهر جرى وقبل يده وقال للظاهر برقوق : « انت استاذنا كلنا ونحن مماليكك قاطبة » . ثم ان برقوق قام ولبس عمامته ولف عليها طيلسانا كبيرا » .

ونقرأ فى نص للسيوطي (حسن المحاضرة ، مخ 113 ، ص 308) « ان الطيلسان المقور كان يعطى كلباس تشريف (خلعة) لامير الجيوش » .

وفى رحلة محمود بن جبير (مح 320 ــ ص 46) نجد ان الخطيب فى مكة كان يرتدي الطيلسان من الكتان الرقيق (وعليه طيلسان شرب رقيق) . ويذهب ابن بطوطة (الرحلة ــ مخ دي كايانكوس ، ص 64) الى ان الطيلسان كان اسود اللون (عليه طيلسان اسود) .

وفى الاندلس كان الطيلسان معروفا على وجه الاجمال .. كان معروفا وشائع الاستعمال بصورة عامة بين الكبراء ولدى عامة الشعب ــ ولكنه كان يرتدى فوق الكتفين ــ ولم يكن يضعه على الراس الا شيوخ المشايخ (المقري ــ او بالاحرى ابن سعيد ــ لدي فريتاك ــ طرائف عربية ونحوية وتاريخية ــ ص 148) . ولا ريب انهذا الخمار هو الطيلسان الذى نرى الشيخ العجوز يرتديه وسط اللوحة 65 من كتاب Cavanah Murphy الرائع : « الآثار العربية فى اسبانيا :

« The Arabian Antiquities of Spain »

ونقع فى كتاب ريحان الالباب (مخ دي كايانكوس) على النص الذى يبعث على التأمل والملاحظة : « ثم مات هشام ــ ويقال بل قتله المعتضد ــ ومشى فى جنازته دون طيلسان راجلا مشي الحجاب » .

ويتحدث حاجي خليفة (ط فلوكل ــ ج 1 ــ ص 162) عن كتاب معنون : « الاحاديث الحسان فى فضل الطيلسان » . وهناك نسختان من هذا الكراس فى مكتبة الاسكوريال .

الطـــاق

يذهب القاموس (ط كلكتا ، ص 1307) الى أن الطاق هو الطيلسان او بالاحرى الطيلسان الاخضر (ضرب من الثياب والطيلسان او الاخضر) .

الطاقيـــة وجمعهـــا الطواقـــي

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

وتعني فى اللغة العربية كلوتة صغيرة تلبس تحت العمامة . ولعلها من اصل فارسي ــ ولكنني يجب ان أحملكم على ملاحظة ان الكلمه لا تشير فى فارس الى كلوتة صغيرة ــ ولكنها تومىء على ما يبدو الى نوع عصابة توضع على الراس .

يقول مير خوند Mirkhond (ص 66 ــ تاريخ السلاجقة) فى معرض حديثه عن السلطان السلجوقي الب ارسلان « وطاقية » نيزبن سرمي نهاد كويندكه از سر طاقيه تانهايت لحيه ، او دو كز در نظر بيننده آمدي» . اما خوندمير Khondemir (حبيب السير ، ج 2 ، مخ فارسية 296 ، ص 204) فيقرر نفس الواقعة بهذا الكلمات : « وطاقيه طولاني (اقرا نيز) بر سر ميكذاشت ــ جنانجه بيننده از بدايت طاقيه تانهايت لحيه دو كزمي بينداشت » (1) . وهذا النص الاخير يجب ان يترجم على هذه الصورة « كان يلبس فى راسه طاقية طويلة ــ بحيث ان من يرى هذا الانسان يلمح ذراعين من الطاقية ــ انطلاقا من موضع عقد هذه حتى اللحية » . والجدير بالملاحظة ان مير خوند وخوندمير يعدان الطاقية من بين الصفات الحسنة ــ بل من بين الصفات الاخلاقية العالية للسلطان . ومع ذلك فانني اعتقد ان ابن بطوطة (الرحلة مخ دي كايانكوس ــ ص 82) حين يقول ــ فى مقاله عن اصفهان « وطلبت منه ان يلبسني طاقية من راسه » كان الموضوع فى هذا النص موضوع عرقية او كلوتة ــ ذلك ان هذا على الدوام هو معنى هذه الكلمة لدى الكتاب العرب . فنحن نقرأ فى وصف مصر للمقريزي (ج 2، مخ 372 ، ص 358) النص التالي ــ العظيم الاهمية « سوق البخانقيين هذا السوق فيما بين سوق الجملون الكبير وبين قيسارية الشرب الآتي ذكرها

(1) يجب اضافة فعل بينداشتن الى المعاجم الفارسية .

ان شاء الله تعالى عند ذكر القياسر . وباب هذا السوق شارع من القصبة ويعرف بسوق الخشيبة تصغير خشبة فانه عمل فى بابه المذكور خشبة تمنع الراكب من التوصل اليه . ويسلك فى هذا السوق الى قيسارية الشرب وغيرها . وهي معمورة الجانبين بالحوانيت المعدة لبيع الكوافي والطواقي التى يلبسها الصبيان والبنات . وبظاهر هذا السوق ايضا فى القصبة عدة حوانيت لبيع الطواقي وعملها . وقد كثر لبس رجال الدولة من الامراء والمماليك والاجناد ومن يتشبه بهم للطواقي فى الدولة الجركسية وصاروا يلبسون الطاقية على رؤوسهم بغير عمامة ويمرون كذلك فى الشوارع والاسواق والجوامع والمواكب لا يرون بذلك بأسا بعد ما كان نزع العمامة عن الراس عارا وفضيحة . ونوعوا هذه الطواقي ما بين اخضر واحمر وازرق وغيره من الالوان . وكانت اولا ترتفع نحو سدس ذراع ويعمل اعلاها (مدور مسطح) . فحدث فى ايام الملك الناصر فرج منها شيء عرف بالطواقي الجركسية يكون ارتفاع عصابة الطاقية منها نحو الثلثي ذراع واعلاها مدور مقبب بالفواقي بتبطين الطاقية بالورق والكثير فيما بين البطانة المباشرة للراس والوجه الظاهر للناس . وجعلوا من اسفل العصابة المذكورة زيقا من فرو القرض الاسود يقال له القندس فى عرض نحو ثمن ذراع يصير دائما بجبهة الرجل واعلا عنقه . وهم على استعمال هذا الزي الى اليوم . وهو من اسمج ما عانوه . وتشبه بالرجال فى لبس ذلك النساء لمعنيين احدهما انه فشا فى اهل الدولة محبة الذكران فقصد نسائهم التشبه بالذكران لتستملن قلوب رجالهن . فاقتدى بفعلهن فى ذلك عامة نساء البلد . وثانيهما ما حدث بالناس من الفقر ونزل بهم من الفقر والفاقة . فاضطر حال نساء اهل مصر الى ترك ما ادركنا فيه النساء من لبس الذهب والجواهر بل ولبس الحرير حتى لبسن هذه الطواقي وبالغن فى عملهن من الذهب والحرير وغيره وتواصين على لبسها . ومن تأمل احوال الوجود عرف كيف تنشأ امور الناس فى عاداتهم واخلاقهم ومذاهبهم » .

ولعل مؤلف رحلة فان خيستلا (ص 48) يتحدث عن الطاقية — وكان زار مصر عام 1481 — اي بعد وفاة المقريزي باربعين سنة — فعبر عن خواطره فى معرض الكلام عن المماليك بالكلمات التالية : « ثمة ناس يضعون على رؤوسهم البيريهات — اي الطواقي المستديرة العالية . وهذه الطواقي ضيقة من الاسفل وعريضة من الاعلى — والجزء الواطيء منها مصنوع من المخمل ومن نسيج آخر — اما الجزء الاعلى فمشغول من الصوف الاخضر الرديء» . فاذا لم اكن متوهما — فان بيير مارتير السفير الفرنسي لدى قنصوة الغوري عام 1501 يتحدث فى كتابه (سفارة بابلية — ص 401) عن الطاقية ايضا . واليكم كلماته : « ان المماليك الذين هم فى خدمة السلطان يلبسون طواقي من الصوف — وهي ثقيلة الوزن وقاسية الملمس — وتتالف من لونين مختلطين — اللون الاول الاخضر فى الاسفل — واللون الثاني الاسود فى الاعلى » .

وبالرغم من انطباق هذه الاوصاف بعض الانطباق على أوصاف المقريزي — فانني ارى من المحتم علي ان اعترف بأن التفاصيل ليست هي نفسها بالضبط (ولكن ما لنا لا نفترض ان طاقية المماليك كانت عرضة لتحويرات اقتضتها الطرز المستحدثة ؟ الم يخبرنا المقريزي نفسه ان طاقية المماليك قبل حكم الملك الناصر فرج كانت تختلف اختلافا جوهريا عن الطاقية التى يلبسها هؤلاء المماليك فى عهده) .

وفى ايامنا هذه تشير كلمة طاقية فى مصر الى نفس ما تشير اليه العرقية — اي الى كلوتة صغيرة من القطن تلي الراس تماما — كما يقول لين (المصريون المحدثون ، ج 1 ، ص 41) . ويرتديها افراد الجنسين تحت الطربوش (المرجع السالف — ص 58) الذي حوله تلف قطعة من القماش — وعلى هذه الصورة تتشكل العمامة . ويكتب ج فيسكيه (رحلة الى الشرق ، ص 182) الكلمة هكذا Takie — وهي فى نظر الرحالة « عرقية صغيرة من القطن المنقوش الذي يكون عادة مزركشا ومطرزا بنقوش غاية فى الابداع والنفاسة » . بل يذهب بركهارت فى كتابه عن الامثال المصرية المحدثة (الامثال العربية — رقم 101) الى القول بأن هذه الكلمة تشير الى عرقية او كلوتة بيضاء مصنوعة من القطن الناعم المطرز الحواشي عادة — وهي تلي الراس مباشرة وتلبس تحت الطربوش الاحمر » . ويتحدث بوكوك كذلك فى كتابه (وصف الشرق ، ج 1 ، ص 328) عن الكلوتة الصغيرة البيضاء المعمولة من الكتان التي تستعمل لتغطية الدماغ او تلبس تحت الطربوش . وبهذا المعنى كانت هذه الكلمة شائعة الاستعمال فى زمان كتابة الف ليلة وليلة . فنحن نقرأ فى هذا الكتاب (ط مكناكتن ، ج 1 ، ص 172) : « فنظروا

شابا مليحا بقميص وطاقية كشف من غير لباس . (اي لم يكن راسه مغطى بالطاقية الحمراء ـ ولا بقطعة القماش المسماة عمامة) ولم يكن يلبس سروالا ».

وترسم طبعة هابيخت (ج 2 ـ ص 63) هنا كلمة قبع ـ وهي لفظة تشير بأحكام ودقة الى نفس الشيء ـ كما سنرى مصداق ذلك حين نتحدث عن هذه الكلمة .

وفى الفترة التى زار خلالها داندیني سورية ـ اي عام 1599 ـ كانت كلمة طاقية تشير فى هذا القطر الى المادة التى يسمونها اليوم فيه بالطربوش . فنحن نقرا فى (الرحلة من جبل لبنان ـ ص 44) ان سكان طرابلس يضعون على رؤوسهم عرقية يسمونها طاقية ـ وهي معمولة من الجوخ او من الحرير المشوب بالقطن » . وبعد ذلك مباشرة يتحدث الرحالة عن الشاش . ويوغل حتى يبلغ (ص 48) فيقول عن النساء : « انهن يضعن على رؤوسهن طاقية من الجوخ او من الحرير الذى يكون عادة احمر او ازرق ـ وهن يملأن طاقياتهن بتطاريز ذهبية وفضية . ومنهن من يلبسن الطواقي المصنوعة من الذهب والفضة خالصين » .

وما تزال كلمة طاقية حتى يومنا هذا تشير لدى البدو الى نفس العمارة التى تشير اليها كلمة طربوش ـ ذلك لاننا نقرا فى كتاب بركهارت (ملاحظات على البدو والوهابيين ـ ص 27) ان بعض الشيوخ الاثرياء من بين البدو « يلبسون احيانا عرقيات حمراء او طاقيات تسمى فى سورية طرابيش » . وما يماثل فى سورية الطاقية المصرية هو العرقية ـ وتدعى لدى البدو معرقة .

وقد راينا آنفا ـ من نص المقريزي الذي نشرته ـ ان جمع هذه الكلمة هو طواقي (طواق) . وهذا الجمع موجود كذلك فى نص آخر للمقريزي (راجع كلمة حياصة) ـ وفى نص من تاريخ مصر للنويري (مخ 2 ، ص 52) حيث نقع على كلمتي « طواقي الاولياء » . « Les tâkîyahs des Saints »

وتشبه كلمة طاقية كل الشبه الكلمة الفرنسية توك Toque والكلمة الاسبانية توكا Toca ، ولكن يتحتم علي أن أحملكم مع ذلك على ملاحظة ان القدامى من المؤلفين الاسبان والفرنسيين يسمون توكا وتوك العمامة بقضها وقضيضها ـ وانهم لا ينطقون هذا الاسم على الكلوتة . فنحن نقرا ذلك مثلا فى كتاب اسباني ـ مكتوب بالحروف العربية (منشور من قبل دي ساسي فى صحيفة العلماء ـ عام 5 ـ 16 جرمينال ـ رقم 7) : « من تراهم لابسي الطواقي البيضاء هم اتراك ـ اما مرتدو الطواقي الصفراء فهم يهود يتاجرون مع وجهاء الاتراك » .

ويقول برتراندون دي لابروكيير فى كتابه (رحلة عبر البحار ـ ص 504) وقد زار الشرق فى 1432 ـ 1433 انه اشترى من دمشق توكا كاملا « Une toque accomplie » وهذه الطاقية فسرها دوسي الكبير تفسيرا فى غاية الصحة بانها « العمامة المثلى » .

— * —

تعليقات على نص المقريزي

* شارع القصبة ـ ما يزال هذا الشارع حتى اليوم هو الشارع الرئيسي فى القاهرة . ويمتد من باب زويلة حتى باب النصر .

* تشير كلمة خشب بصورة عامة الى المادة المعروفة . فنحن نقرا فى كتاب القرطاس (مخ 17 ـ ص 81) : واذا بطاق فى الدار عليه شباك خشب . ولكن كلمة خشبة وجمعها خشب او خشبات تستعمل فى معان عديدة . فهي تشير :

1 ـ الى جذع شجره . فنحن نقرا فى شرح الشاذلي على رسالة الفقه المالكي لابن ابى زيد (مخ 1193 ـ ص 526) : خشبة ينشرها فيجدها معفونة . وفى رحلة ابن بطوطة (مخ . ص 268) : اتوا الينا فى قوارب صغار كل قارب من خشبة واحدة منحوتة .

2 ـ الى وتد . اذ يقول ابن بطوطة (الرحالة ـ ص 91) فى معرض الحديث عن جسر الزوارق فى مدينة الحلة : « ولها جسر عظيم معقود على مراكب متصلة منتظمة فيما بين الشطين تحف بها سلاسل حديد مربوطة فى كلا الشطين الى خشبة عظيمة مثبتة بالساحل » . وفى موضع آخر (ص 132) : « واخبرنا الناس ان المعدية اسفل من ذلك الموضع . فتوجهنا اليها وهي اربع خشابات مربوطة بالحبال يجعلون عليها سروج الدواب والمتاع ويجذبها الرجل من العدوة الاخرى ويركب عليها الناس وتجار الدواب سباحة وكذلك فعلنا » . (راجع حول كلمة معدية (كاترمير ـ

تاريخ السلاطين المماليك ـ ج 2 ـ ق 1 ـ ص 156) . وبعد ذلك (ص 274) : « لها مرسى عجيب عليه خشب كبار دائرة عليه » . (راجع ايضا ابن بطوطة ـ ص 270 حول كلمة الاخشاب) .

3 ـ الى عارضة . اذ يترجم بيدرو دى الكالا (مفردات اسبانية عربية) خشبة (وجمعها اخشاب) بكلمات فيكابارا ايديفيسيو Viga para edificio . فنحن نقرا فى تاريخ مصر للنويري (مخ 2 ص 477) : انتهب الزاهرة حتى قلعت الأبواب والأخشاب .

4 ـ الى شجرة العصر . راجع الكالا حول كلمات: فيكا دى لاكار : « Viga de lagar » .

5 ـ الى خشبة الصلب ـ الى الصليب . فنحن نقرا فى تاريخ مصر للمقري ، مخ دى غوتا ـ ص 528): « ويبلغ من سرقته انه سرق وهو مصلوب لان ابن عباد امر بصلبه على ممر اهل البادية لينظروا اليه . فبينما هو على خشبته على تلك الحال اذ جاءت اليه زوجته».

وفى الف ليلة وليلة (ط مكناكتن ـ ج 1 ـ ص 202) : « نصب للنصراني خشبة واوقفه تحتها . وجاء المشاعلي رمى فى رقبة النصراني الحبل واراد ان يعلقه » .

6 ـ الى لوحة . فنحن نقرا فى الحماسة (ط فريتاك ـ ص 365) « والمخرش اسم لما يخرش به خشبة كان او غيرها » . ونقرا لدى ابن هيجان (راجع الذخيرة لابن بسام ـ مخ غوتا ـ ص 4) : « خشبة من القنطرة » . ويقول ابن جبير (الرحالة ـ مخ 320 ـ ص 194) فى معرض الحديث عن ميناء مسينا فى صقلية : « ومرساها اعجب مراسي البلاد البحرية لان المراكب الكبار تدنو فيه من البر حتى تكاد تمسكه وتنصب منها الى البر خشبة يتصرف عليها والحمال يصعد بحمله وذلك لافراط عمق البحر فيها » .

ويقول ابن بطوطة (مخ ـ ص 238) واصفا حادثة غرق سفينة ـ عن امراة : « كانت قد التزمت خشبة فى مؤخر الكنك » . ومن هنا فان كلمة خشب فى صيغة الجمع تعني الواحا تؤخذ بمعنى :

7 ـ الروافع ـ كما نرى فى هذا النص لابن بطوطة (مخ ـ ص 10) : « ولها قنطرة خشب ترسو المراكب عندها . فاذا كان العصر رفعت تلك الخشب وجازت المراكب صاعدة ومنحدرة » . (والحديث عن مدينة اشمون الرومان) .

8ـ تشير كلمة خشبة الى باب . فنحن نقرا لدى ابن بطوطة (ص 262) : « ومجلسها مفروش بالحرير وعليه ستور وخشبة من الصندل وعليه صفائح الذهب » . ونقرا لدى ابن هيجان (السالف ـ ص 4) وهو يتحدث عن قصور فخمة شيدت فى فالنسيا : « واتسع الحدس فى عظيم ذلك الانفاق . فمنهم من قدرت نفقته على منزلة مائة الف دينار واقل منها وفوقها حسب تناهيهم فى سروها من نضار الخشب » .

9 ـ واخيرا فان كلمة خشبة تشير كذلك الى غرفة خشبية صغيرة . فنحن نقرا فى رحلة ابن بطوطة (مخ ـ ص 244) : « ولا سجن عندهم بتلك الجزائر. انما يحتبس ارباب الجرائم فى بيوت خشب هي معدة لامتعة التجار . ويجعل احدهم فى خشبة كما يفعل عندنا بأسارى الروم » .

* يشير الزبق بصورة عامة الى كل حافة وحاشية فى الثياب ـ وليس الى ما يذهب اليه القاموس فى هذا الشأن فقط .

* لا يذكر القاموس الا كلمتى ابن مقرض . ولكن الكلمة مكتوبة فى تاريخ مصر للنويري (مخ 2 ـ ص 22) على هذا المنوال : (قرظ). اذ نقرا فيه : «وكان يبعث اليه بعض اصحابه فى الشتاء بفروة قرظ يلبسها » .

* راجع حول كلمة قندس بمعنى حاشية تعليق كاترمير فى كتابه (تعليقات ومقتبسات ـ ج13 ـ ص 217) اذ لم يغفل العالم الجليل ان يورد نص المقريزي هذا .

* يقص علينا المؤرخون العرب والفرس ـ ان الامين بن هرون الرشيد ـ حين انغمس فى اعمال الفسوق والفجور التي يتهم بها معاصريه من المصريين (وهو اتهام ايده تأييدا تاما الرحالون الاوربيون المعاصرون) البست ام هذا الامير المسماة زبيدة اجمل الجواري لباس الغلمان لتحول بين ابنها وبين سلوكه الشائن الشاذ . ومنذ ذلك الحين اطلق اسم الغلامية فى مقاصير حريم الخلفاء على امثال هؤلاء الجواري .

العبـــــروق

لا وجود لهذه الكلمة فى القاموس .

ولكننا نقرأ فى كتاب هوست (اخبار من مراكش وفاس ، ص 119) : « لا يجوز للنساء المتزوجـــات اظهار شعورهن ، لذلك فهن يحطنها بخمار من الحرير، اسمه عبروق Abruk تنساب اطرافه على الظهر ، ويسوى من الامام كما يسوى الشد (العمامـــة) » .

ويكتب كرابر دى همسو هذه الكلمة (مرآة جغرافية واحصائية لامبراطورية مراكش ، ص 81) على هـــذه الصورة (عبروق) .

واليكم ما يقوله : « ان نساء مراكـــش يحطـــن رؤوسهن بعصابة او عصابتين من الذهب والفضـــة المخططين وتسمى هذه الزينة بالعبروق ، وتعقد فى العبروق عقدة بارتفاع الرقبة ، اما أطـــراف هـــذه العصائب المتداخلة فى ضفائر الشعر فتتدلى حتـــى الحـــزام » .